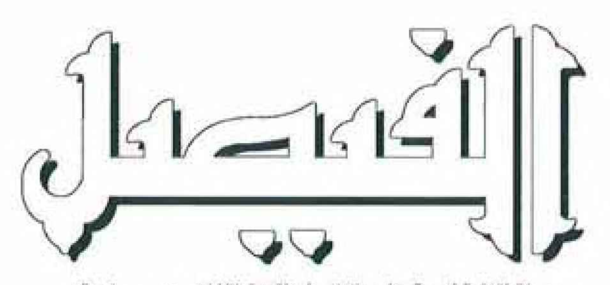


مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٣ - ذو القعدة ١٤٢٦هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 353 - Dec. 2005

- أم درمان: نبع لا ينضب
- قصر الحمراء: ديوان شعري منقوش على الجدران
- الهلال بوصفه شعاراً وطنياً ودينياً في تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٣ - ذو القعدة ١٤٢٦هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - No.353 -Dec.2005

ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تتطلع النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها في أي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحروف اللاتينية.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا التدوير منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

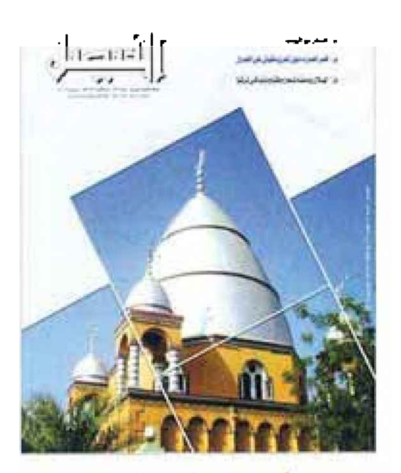
الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات، الكويت ٨٠٠ فلس، الإمارات ١٠ دراهم، قطر ١٠ ريالات، البحرين دينار واحد، عُمان ريال واحد، الأردن ٧٥٠ فلس، اليمن ١٠٠ ريال، مصر ٣ جنيهات، السودان ١٥٠ دينارًا، المغرب ١٠ دراهم، تونس ٢٥٠، ١ دينار، الجزائر ٨٠ دينارًا، العراق ٨٠٠ فلس، سورية ٤٥ ليرة، ليبيا ٨٠٠ درهم، موريتانيا ١٠٠ أوقية، الصومال ٢٠٠٠ شلن، جيبوتي ١٥٠ فرنك، لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية، الباكستان ٢٠ روبية، المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، هاتف: ٤٨٧١٤١٤ (٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠ (٠١)، مصر: مؤسسة توزيع الأهرام، شارع الجلاء، هاتف: ٣٣٩١٠٩٥، فاكس ٣٣٩١٠٩٦، ٢٠٢٠٠، سورية: المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٤١٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٣، ٩٦٣١١، ٠٠٩٦٣، تونس: الشركة التونسية للصحافة نهج المغرب، ص.ب ٧١٩، فاكس ٣٢٢٠٠٤/٧١ ... هاتف ٣٢٢٤٩٩، ٧١، ٢١٦، ٠٠، قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٩٨٢، فاكس ٤٦٦١٨٦٥، ٩٧٤، ٠٠، الأردن: شركة وكالة التوزيع الأردنية ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١، فاكس ٤٦٣٥١٥٢، ٦، ٩٦٢، ٠٠، البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠، فاكس ٢٩٤٢٨١، ٩٧٣، ٠٠، الإمارات العربية المتحدة: مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤، فاكس ٢٦٦٩٨٢٧، ٤، ٩٧١، ٠٠، الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢، فاكس ٢٤١٧٨٠٩، ٩٦٥، ٠٠، المغرب: الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس ٢٤٠٠٠٣١/٣٣، ٢١٢، ٠٠، ت ٢٤٠٠٣٢٢، الجمهورية اليمنية: القائد للنشر والتوزيع ت ٢٠١٩٠١/٦/٦ ، ٢، ٩٦٧، ٠٠، فاكس ٢٠١٩٠٩/٧



أم درمان، نبع لاينضب

تعكس مدينة أم درمان الواقعة على ضفاف النيل صورة مصغرة للسودان، فهي تضم جميع قبائله التي تتعايش في سلام في هذه البقعة، وتضم كبرى مؤسساته السياسية والثقافية والرياضية والاجتماعية، وهي تمثل مع الخرطوم والخرطوم بحري العاصمة القومية، وقد جرت فيها مؤخرًا أغلب فعاليات الخرطوم عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٥م، فكيف نشأت هذه المدينة؟ وما صورتها في الوقت الحالي؟

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١.

المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٣٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية

الإعلانات:

هاتف ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠٥٤٢/١٤
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨



تجليات العولمة

أجمل التهاني والتمنيات بالتوفيق بمناسبة بلوغ المجلة عامها الثلاثين. بداية أود أن أعبر عن إعجابي بركن قضايا معاصرة، لما يطرحه من قضايا تتعلق بواقعنا المعيش، وتأثير الظواهر العالمية الحديثة في مجريات الحياة الفردية والثقافية والاقتصادية للمجتمع. ومن أجمل ما قرأت في هذا الركن موضوع «العولمة والثقافة بين الاحتواء والرفض». وذلك في العدد (٣٥٠) الصادر في سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٥م. والحقيقة أن الكاتب الدكتور يوسف عز الدين أحسن التطرق إلى الموضوع، وتناوله من عدة زوايا، وحدّد تجليات العولمة واتجاهاتها الرأسمالية الجامعة، وانعكاساتها على الثقافة المعاصرة في أماكن متعددة.

واعتقد أن المجلة نجحت بمثل هذه الموضوعات في عصرنة نفسها، ومن ثم كانت ثقافية الهدف، ونقدية الرؤية، وعميقة الخطاب. فشكرًا جزيلاً على هذا الركن.

ثانيًا: مازلت أتساءل عن إمكانية عودة بعض الأركان القديمة مثل «بدايات» و«دائرة المعارف»، وعن سبب احتجاب مجلة الفيصل العلمية عن الأسواق، وما الدواعي إلى ذلك وإذا كانت توزيعها غير ممكن، فلم لا يتم إدماج ملحق علمي على غرار ما أوجدته مجلة العربي الكويتية.

ختامًا: دامت الفيصل رافدًا ثقافيًا وعلميًا فعالاً، وأحمد الله أني بعد ١٣ عامًا وبالتحديد منذ العدد (١٨٠) جمادى الآخرة ١٤١٢هـ. جددت العهد مع جائزة مجلة الفيصل.

نبيل البواب

المنيهر، تونس

التحرير:

نشكر لك هذا التحليل، وهذا الإطراء، وكذلك التهنئة، فنحن نحرص على تنوع المادة المنشورة، والتطرق إلى قضايا مختلفة، مع محاولة أن يكون فيها وبين الواقع رابط وصلة. ولعل الدكتور يوسف عز الدين يطلع على هذا الإطراء الذي خصصت به مقالته، وهو كما تعلم من الذين واصلوا الكتابة في المجلة منذ صدورها قبل ٣٠ عامًا.

وبالنسبة إلى الأبواب الثابتة، فقد رأينا ألا تكون سببًا في تأجيل نشر مواد الإخوة الكتّاب، لأنها كثيرة، ونحاول قدر الإمكان إتاحة فرص النشر لأكبر عدد منهم. و«الفيصل العلمية» لم تحتجب أبدًا، ولكن في بعض الأحيان تكون هناك ظروف قاهرة تؤدي إلى تأخر صدورها، وهي - ولله الحمد - تجد إقبالاً جيدًا ومتابعة من الإخوة. وإذا كنت حريصًا على الحصول عليها يمكنك مراسلة قسم الاشتراكات لتأمين اشتراك لك.

مسابقة للشباب المبدعين

إنني من القراء المداومين على قراءة مجلتنا الغراء «الفيصل» التي ظلت تحافظ على مستواها المتميز على مدى أكثر من ٣٠ عامًا. ومع أن ثقافة الصورة أصبحت هي السائدة اليوم، في ظل سيطرة وسائل الاتصال المرئية، إلا أن «الفيصل» تعد مصدرًا مهمًا ومرجعًا رئيسًا للتواقين إلى الثقافة الجادة، وما تقدمه في أعدادها المختلفة من استطلاعات مصورة تطوف البلدان، ومقالات تتناول ما هو معاصر ومعيش، وما هو تراثي عتيق لدليل على رؤية تتسم بالشمولية وبعد النظر.

ومن الجميل هذا التنوع في جنسيات كتاب المجلة، ومجالات تخصصهم، مما يجعلها قبلة لأصحاب الاهتمامات المختلفة.

إنني آمل أن تكون هناك مسابقة شهرية لأفضل مقال أو قصة أو قصيدة للشباب حتى سن العشرين، إذ أرى في ذلك

تشجيعًا للمبدعين، واضطلاعًا للمجلة بدورها الرائد في ترسيخ الثقافة الجادة، بدفع الشباب إلى المنافسة والمشاركة في ميدان الثقافة والفكر.

أكرر لكم شكري وأمنياتي بالتوفيق والسداد.

ميسر علي خليل

الرياض. السعودية

التحرير:

نشكر لك هذا التواصل، والارتباط بالمجلة والإشادة بمنهجها، ونأمل أن تحقق المجلة هدفها في اجتذاب فئات المجتمع المختلفة، وأن تلبي رغباتهم، وفكرة الجائزة التي تطرحها تستحق النظر، ونأمل أن نتمكن من تنفيذها في القريب، مكررين لك الشكر على إشادتك واقتراحك.

ملحق إبداعي

أتابع «الفيصل» منذ مدة ليست قصيرة، وأعجبني فيها تنوعها وتعدد المجالات التي تطرقها.

وبما أنني من المهتمين بالجانب الأدبي، وبالشعر تحديدًا، فإنني كنت أتمنى لو تستطيع المجلة إصدار ملحق أدبي يتضمن إبداعات الشباب الذين لا تتاح لهم فرص النشر في الدوريات، أرجو أن يجد اقتراحي هذا قبولاً لديكم.

وكنت أتمنى لو تكون إحدى جوائز الفيصل زيارة تهيئونها للفائز إلى المملكة العربية السعودية ليقف على نهضتها، وليعكس للآخرين انطباعاته عنها.

م. عماد نبيه حفظي

القاهرة. مصر

التحرير:

لا يخفى عليكم أن المجلة تتيح للجميع فرص النشر؛ لأن تقويمها يرتكز على مستوى المادة، بغض النظر عن اسم صاحبها، وهذا ما أتاح لكثير من الشباب فرصة إبراز إبداعهم، كما أن هناك مجلة أدبية متخصصة تصدرها دار الفيصل، وتشتمل على كثير من الإبداعات القصصية والشعرية، وليتكم تكتبون إليها. ومع ذلك تبدو فكرة الملحق جيدة، وتستحق أن تخضع للدراسة، وبالنسبة إلى الجائزة المقترحة، فإن هناك اتجاهًا لتعديل المسابقة شكلاً ومضمونًا، ولا شك أن الجوائز سيشملها هذا التعديل، ولعل اقتراحك يكون واحدًا من عناصر هذا التعديل المأمول.

ردود سريعة

الأخ أحمد عمر السقاف ــ حضرموت ــ اليمن:

نشكر لك تواصلك مع المجلة، وحرصك على متابعتها، ونعتذر لك عن الخطأ في كتابة اسمك في العدد (٢٥٠)، ولعلك تعرف من خلال متابعتك الدائمة أن مثل هذا الخطأ وارد لأي سبب من الأسباب. فنشكرك على رسالتك الرقيقة.

الأخت مريم وردة الحمد ــ حلب ــ سورية:

نشكر لك التهاني بمناسبة عيدي الفطر والأضحى، واليوم الوطني للمملكة الذي انقضى منذ مدة، ونقدر لك هذا الاهتمام والتواصل، ونأمل أن تكون المجلة على مستوى تطلعات أمثالك من القراء الحريصين على متابعتها.

الأخ إبراهيم السلامي ــ تونس:

نقدر لك ثقتك بالمجلة، ونعتذر لك عن الإجابة عن سؤالك، ويمكنك الكتابة إلى اللجنة الدائمة للإفتاء، المملكة العربية السعودية، على الهاتف: ٤٥٩٥٥٥٥ ٩٦٦١... ونرحب بمشاركاتك، وستجد طريقها إلى النشر بعد إجازتها.

الأخت أميرة خليل أحمد ــ المندرة البحرية ــ الإسكندرية ــ مصر:

نطمئنك بأننا حريصون على معرفة آراء الإخوة والأخوات الذين لا يبخلون علينا بملاحظاتهم، وهي زاد لنا في أي تطوير نتطلع إليه. أما بخصوص أسئلة المسابقة، فهي تتطلب الرجوع إلى بعض المراجع، ولكنها ليست بالصعوبة التي تذكرين، أما القرعة فلا مفر منها، حتى تتساوى فرص جميع المشاركين في الفوز بالجوائز.



أم درمان: نبع لا ينضب

حاتم إبراهيم دينار

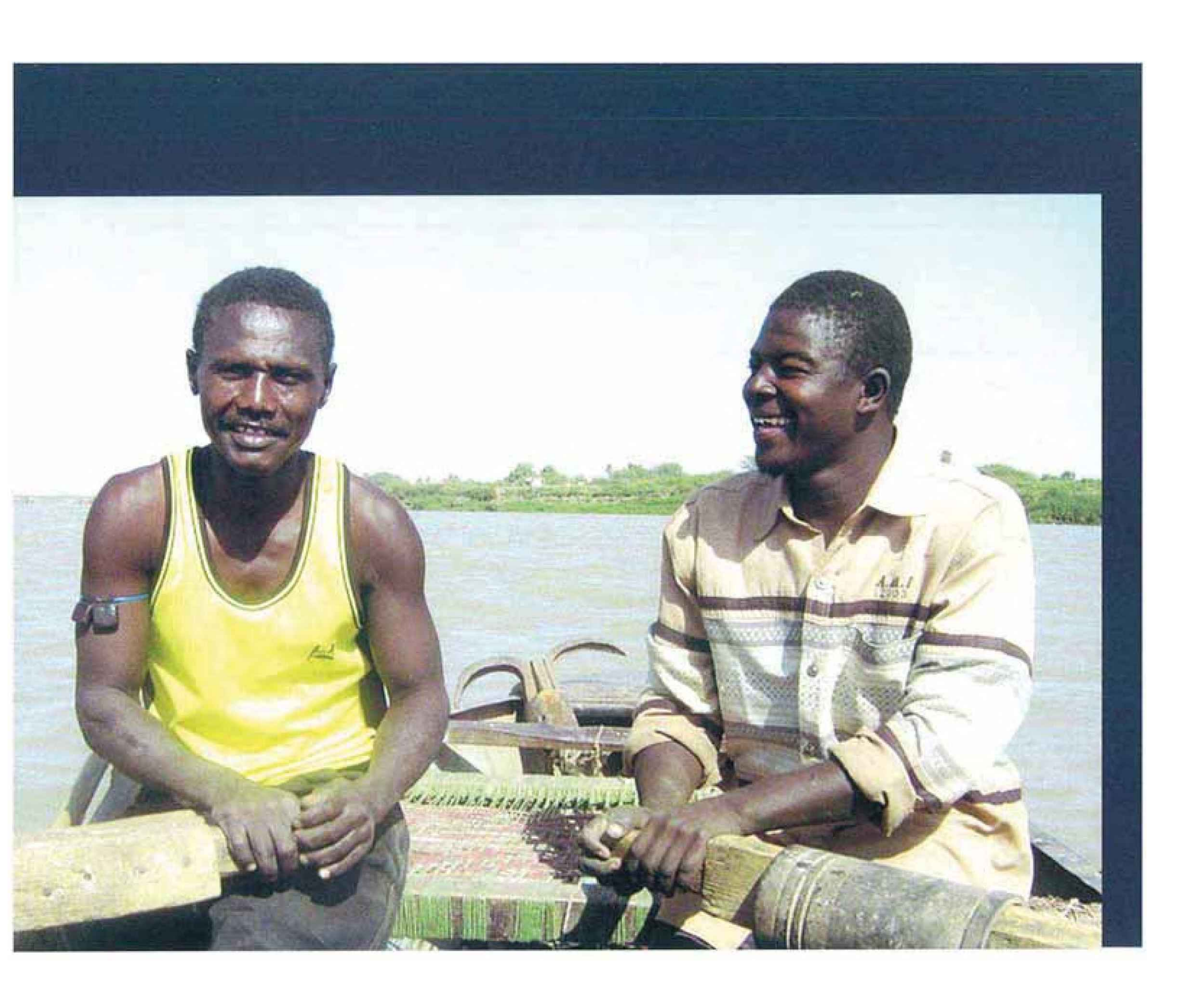
الخرطوم- السودان

أم درمان العاصمة الوطنية التاريخية للسودان، وإحدى مدن الخرطوم الثلاث، ترقد على ضفاف النيل تأخذ منه الحياة، صنعت حضارتها وأصالتها على مر التاريخ بحروف من نور، عاش في محرابها الخلفاء والأمراء والسلاطين، فحكموا فيها بالإسلام دينًا وشرعًا، عهدت ممالك ودولاً، وشهدت معارك وأحداثًا جسامًا، طرقها وشوارعها حتى ممراتها قطع أثرية لم يزدها الدهر إلا بريقًا ولمعانًا

يتجول فيها الشعراء والأدباء والكتاب، فينهلون منها حلو القول، ورصانة التعبير؛ إنها أم درمان بجمال لياليها، تعشقها القلوب، وتدمن سحرها العيون . فهلم بنا نتجول في ربوعها لنتعرف ماضيها وحاضرها ورجالها، وآثارها ودروبها، وقصصها وأخبارها..... إنها جولة في مدينة أم درمان.

أم درمان: اسم حلة صغيرة كانت بالجانب الغربي للنيل في مواجهة الخرطوم، ثم أطلق على المدينة التي قامت في مكان هذه الحلة، فيها نزل إسماعيل باشا بجحافله الزاحفة إلى سنار: عاصمة الفونج؛ ليعبر منها النهر إلى الشرق. وقد تردد اسم أم درمان بعد ذلك كثيرًا في حوادث المنطقة، ولما بنى الأتراك مدينة الخرطوم لم يحفلوا كثيرًا بمنطقة أم درمان، فظلت خلاءً إلا من أهلها، ومن تجار الغرب الذين كانوا يحطون رحالهم فيها، ريثما يعبرون النيل إلى الخرطوم. ولما قامت الثورة المهدية، وبات زحف الأنصار على الخرطوم متوقعًا، بنى الجنرال غردون طابية من الطين في أم درمان ليقي بها المدينة من ضربات الأنصار.

ولما جاء المهدي، وحلّ بأبي سعد(على مبعدة يسيرة من



طابية أم درمان) ركز هجومه في الطابية، فاستسلمت بعد أن استبسلت في الدفاع؛ وبسقوطها دخل حصار الخرطوم في مراحله النهائية، ودنا أجل المقاومة المستميتة. ولما تم للمهدي الفتح عزف عن مدينة الخرطوم، وخرج ينشد خلاء أم درمان؛ ليقيم فيه معسكرًا للهجرة. وقد نما هذا المعسكر بسرعة، وصار مدينة كبيرة، وعاصمة للدولة المهدية، بينما عم الخراب مدينة الخرطوم. وهكذا صارت أم درمان العاصمة البديلة. ولما سقطت دولة المهدية ذهب الفاتحون ليشيدوا من جديد مدينة الخرطوم المهجورة، غير أن مدينة أم درمان لم تمت بانتقال الحكم والسلطان، كما ماتت مدينة الخرطوم من قبل، بل استمدت الحياة من الروح القومية، وحملت لقب العاصمة الوطنية. وصارت العاصمة التوأم للعاصمة الرسمية.

حكاية الاسم

واسم أم درمان اسم قديم، وقد وقفت عليه في وثائق ترجع إلى العهد السنّاري. وقد ذكره ود ضيف الله المتوفى سنة ١٢٢٤هـ في معرض كلامه عن الشيخ حمد

ود أم مريوم. وفي أماكن أخرى. ممّا يعني أن الاسم كان معروفًا في زمنه. بل هناك من الروايات عن أصل الاسم ما يفيد أنه يرجع إلى عصر العنج: أي العصر السابق لعصر الفونج. وقد ذهب الناس إلى تفسير أصل هذا الاسم مذاهب شتى. وأكثر هذه المذاهب رواجًا أنه راجع إلى امرأة كانت تسكن في تلك المنطقة. ولها ولد يدعى درمان. وقد ذهب قوم إلى أن هذه المرأة كانت بنت أحد ملوك العنج. وأنها كانت تسكن منزلاً مبنيًا بالحجر محاطًا بسور متين. وذكروا أن آثار هذا المنزل كانت ظاهرة في حي بيت المال إلى وقت قريب.

نشأة المدينة

عندما سقطت مدينة الخرطوم كان معسكر المهدي في (أبي سعد) إلى الجنوب من أم درمان. وقد زار الإمام المهدي مدينة الخرطوم عدة مرات كان ينزل فيها في قصر أبي بكر الجاركوك الذي خصص له. غير أنه لم يقم في المدينة إقامة دائمة. ويقال إنه ختم إحدى خطبه القديمة في مسجد الخرطوم بقوله تعالى ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم. وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال...﴾ إلى قوله... ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب ﴾ - سورة إبراهيم: ٤٥ - ٥٢.

وقد أشار المهدي بذلك إلى أنه لا يعتزم أن يتخذ عاصمة الترك مقرًا له. وقد سبق له أن رفض الانتقال إلى مدينة الأبيض عندما سلمت له. وبقي معسكرًا بأتباعه في بقعة الجنزارة التي أسسها عندما كان محاصرًا للأبيض حتى أتى حريق هائل على المعسكر. واضطره إلى الانتقال إلى المدينة. ومن المحقق أن المهدي لم يكن يرمي إلى إنشاء مدينة جديدة أو يجعل من المكان الذي اختاره عاصمة.

الطابية خط دفاعي عن المدينة




الإمام محمد أحمد المهدي قائد الثورة المهدية

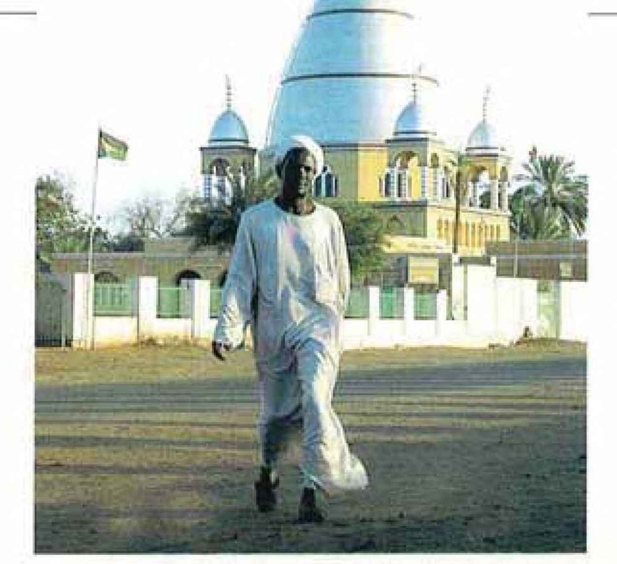

كتشنر

وإنما كان غرضه أن يعسكر في مكان فسيح ريثما يوزع أنصاره للجهاد في الجهات المختلفة.

وقد قيل في مناسبة اختيار الموقع: إن الإمام المهدي خرج في جماعة من أصحابه وهو على جمل أطلق له العنان فصار الجمل من أبي سعد شمالا حتى برك في الموقع الذي فيه القبة الآن. وقد وقع اختيار المهدي على الموضع، وبنى حجرة من الطين في المكان الذي برك فيه الجمل. ولما توفي الإمام دفنه أصحابه في حجرته أسوة بما فعله الصحابة عندما دفنوا الرسول في حجرة السيدة عائشة التي مات فيها. وقد أقام الخليفة عبد الله القبة فوق هذا الموقع. وقد أقام أصحاب المهدي الكبار منازلهم حول منزل المهدي فبنى الخليفة عبد الله، وكبار أمراء رايته إلى الجنوب من منزل المهدي، وبنى الخليفة شريف، والخليفة علي الحلو، وكبار أمراء رايتهما من الناحية الشمالية. أما الجانب الغربي فقد خصص ليكون المسجد. وقد تسابق الأنصار فوفدوا، وأقاموا فيه المنازل بالقش والجلد الشكاب، وما اتفق لهم من مواد، حتى تحول المكان بسرعة إلى معسكر كبير.

أطلق المهدي على هذا المعسكر اسم البقعة. وهو اسم درج المهدي على إطلاقه على الأماكن التي يعسكر فيها. وبروح التفاؤل والاعتزاز والتبرك كان يقال: البقعة المباركة، والبقعة الطاهرة. وعرف الموقع ايضًا بدار الهجرة. وهذا الاسم الذي نقشه المهدي على العملة التي ضربت في عهده. وقد طوى النسيان هذا الاسم فيما طوى بعد أن تحول المعسكر إلى مدينة كبيرة. وبدافع الاعتزاز واليمن وصف الأنصار مدينتهم

قبة المهدي.. أشهر معالم مدينة أم درمان



بقولهم (بقعة أم درمان أمان الخايف ما يأباها غير الخايب) وقالوا أيضًا: (أم درمان)، ويعنون بذلك مكان الدر المأمون. وقد أشاروا إليها في مكتوباتهم بأسماء أخرى كمدينة المهدي، ودار الفلاح، ومركز الإرشاد، وما

إلى ذلك من الأسماء الدالة على الاعتزاز والتفاؤل.

وقد توفي الإمام المهدي بعد انتقاله إلى أم درمان بقليل. وقد تولى الخليفة عبد الله الأمر. وصار يعرف بلقب خليفة المهدي. وفي عهد الخليفة استمر توسع المدينة. بينما بدأت المنازل المبنية بالطين والطوب الأحمر والحجر تحل مكان منازل القش والجلد. وصار المكان يتحول إلى مدينة دائمة بعد أن كان معسكرًا للهجرة. ففي عام ١٨٨٥م وهو العام الذي توفي فيه الإمام المهدي، بنى الخليفة عبد الله بيت المال والسجن المعروف بالساير. وفي عام ١٨٨٧م شيّد الخليفة الدور الأرضي من منزله بمواد أحضرها من مدينة الخرطوم. وقد بنى عليه الدور الثاني في عام ١٨٩١م. وفي عام ١٨٨٨م شيد بيت الأمانة. وهو مخزن كبير للسلاح ومعدات الحرب. وقبة الإمام المهدي. وبدأ بناء سور المدينة الذي أحاط بقلب المدينة حيث قبة المهدية ومنازل الخلفاء، وحرس الخليفة وعصبيته، والمصالح العامة. وفي عام ١٨٨٩م أحاط المسجد الجامع بسور عظيم.

وقد بلغ امتداد المدينة ما بين طابية أم درمان وشمبات. وقد قدر طوله جنوبًا وشمالاً بنحو ستة أميال. وقدر عرضه شرقًا وغربًا بميلين. وقد أخذت المدينة هذا القدر من الاتساع طولاً؛ لأن الناس كانوا يفضلون قرب النيل لسهولة جلب الماء. وقد قدر سكان المدينة قبل مجيء أهل الغرب بما بين ١٥ألفًا و٢٠ ألفًا. وقدر في عام ١٨٩٥م بأربعمئة ألف نسمة.

وفي قلب المدينة تقع قبة المهدي، وبغرب القبة المسجد الكبير. وتكاد هذه البقعة تقطع المدينة إلى قسمين أو جناحين. الجناح الجنوبي: وهو جناح الخليفة عبد الله وأقربائه وحرسه، وأهل الغرب عامة. والجناح الشمالي: وهو جناح الخليفة علي. والخليفة شريف، وأهل البحر عامة. وكان السوق الكبير يقع في الحي الأخير. وقد نصبت المشانق في هذا السوق. وكانت المصالح العامة، كالسجن، وبيت المال، وبيت الأمانة، على مقربة من حي القبة. وقد أحاط الخليفة هذا الجزء الذي فيه المصالح ودور الدولة، ومنزله ومنطقة حرسه، وأهل عصبيته بسور عظيم ظل يبنيه بالحجر من عام ١٨٨٨م حتى عام ١٨٩٥م.

ويبدأ السور من القبة، ويسير شمالاً نحو ١٥٠٠ ياردة، ثم يسير إلى الجنوب نحو ٧٠٠ ياردة حتى البوابة الشرقية الكبيرة. ثم يستمر إلى الجنوب نحو ٩٠٠ ياردة. وكان من المقدر أن يسير السور إلى الغرب، ثم إلى الشمال، حتى يبلغ القبة. غير أن ظروف الدفاع ومواجهة الجيش الفاتح الذي كان يتقدم نحو أم درمان قد حالت دون إتمامه. ومن الملاحظ أن المسجد لم يكن ضمن المباني المحاطة بالسور. وما ينبغي للمسجد أن يكون كذلك؛ لأنه لكل المسلمين.

وفي الطرف الجنوبي من المدينة كانت الطابية التي بناها الجنرال غردون قد حولها الأنصار إلى معسكر للجهادية، وسموها (الكارة)، وكان للجهادية مسجد خاص لبعد المسافة بين الكارة ومسجد المدينة. وكان هناك شارع طويل يصل بين الطابية والقبة، حتى العرضة. يسير فيه الخليفة في موكب عظيم إلى مكان

لما تم للمهدي الفتح عزف عن مدينة الخرطوم، وخرج ينشد خلاء أم درمان؛ ليقيم فيه معسكرًا للهجرة. وقد نما هذا المعسكر بسرعة، وصار مدينة كبيرة، وعاصمة للدولة المهدية. بينما عم الخراب مدينة الخرطوم



بائعو السبح في سوق أم درمان

العرضة لاستعراض جيشه، ثم يعود منه. وكان السكان يدفنون موتاهم داخل المدينة، ثم انقلبوا يدفنون موتاهم في الخلاء الواقع شمال العرضة. وعلى العموم فقد قامت المدينة على عجل، ودون تخطيط، وبنى الناس دورهم حيثما اتفق لهم. وقد وصفت شوارع المدينة بالضيق والفوضى. وقد أمر الخليفة ففتحت شوارع واسعة طويلة تقطع المدينة شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا. وامتدت مدينة أم درمان آنذاك شمالاً وجنوبًا في محاذاة النيل. وهناك شوارع رئيسة تقطع المدينة، كما في وسطها ميدان فسيح يبدأ من النيل، ويسير غربًا، ثم يتجه شمالاً إلى المسجد الكبير، وجنوبًا إلى القطاع الجنوبي من المدينة.

المسجد الكبير

كان المسجد حتى وفاة الإمام المهدي فضاءً محاطًا بالشوك. وقد كانت بيوت أم درمان كلها بالقش حتى ذلك الوقت. وكان البناء الوحيد هو منزل المهدي المبني من الطين، والذي صار مدفنه. وبعد وفاة المهدي بقليل شرع الخليفة عبد الله في بناء سور من الطين حوله. وقد أشار الخليفة عبد الله في خطاب منه إلى حمدان في الرابع من ذي الحجة سنة ١٣٠٢هـ إلى أنه يبني سورًا حول المسجد (وفي هذا إشارة إلى سور الطين) وفي عام ١٨٨٩م أقام سورًا من الطوب الأحمر مكان سور الطين، وطلاه بالجير الأبيض. وقد وصف الشيخ إسماعيل عبد القادر الكردفاني هذه الواقعة في كتابه

المستهدي فقال: إن وضع أساسه كان في يوم الأربعاء الرابع من جمادى الأولى سنه ١٣٠٥هـ. وذكر أن الخليفة عبد الله تولى وضع حجر الأساس للمسجد الكبير في محفل عظيم، وانه باشر ذلك وهو يقرأ سورة الإخلاص. وبعد أن وضع الخليفة عشرين طوبة احتذى حذوه الخلفاء والأمراء، وعلية القوم، ثم عامة الأنصار،وقد كان البناء بالتطوع تبركًا به، ورغبة في الثواب. أما طوب البناء فقد جلب من الخرطوم.

وكان للمسجد ثمانية أبواب. وقد علق الكردفاني على ذلك فقال: إنه قال حسن: لأن أبواب الجنة ثمانية أيضًا. ولكن لا نحسب أن هذه الفكرة قد اعتبرت عند إعداد الخطة. بل كان القصد هو توفير مخارج كافية للمصلين، وقد جعل في كل اتجاه بابان. وكان أهم الأبواب هو الذي يقابل منزل الخليفة. وكان فيه باب كبير من الخشب، بينما كانت الأبواب الأخرى مجرد فتحات لا باب لها. وفي الجانب الشرقي من المسجد كان المحراب، وكان الخليفة يقف فيه، ويصلي بالناس في الأوقات الخمسة ما عدا الجمعة. وكان بالجانب الغربي من المسجد جناح خاص بالنساء. وفي الشرق من المسجد في الشارع الذي يفصل بين المسجد والقبة كان جامع (الصفيح)، وهو مسجد صغير. بل قل: جناح خاص من المسجد. أو

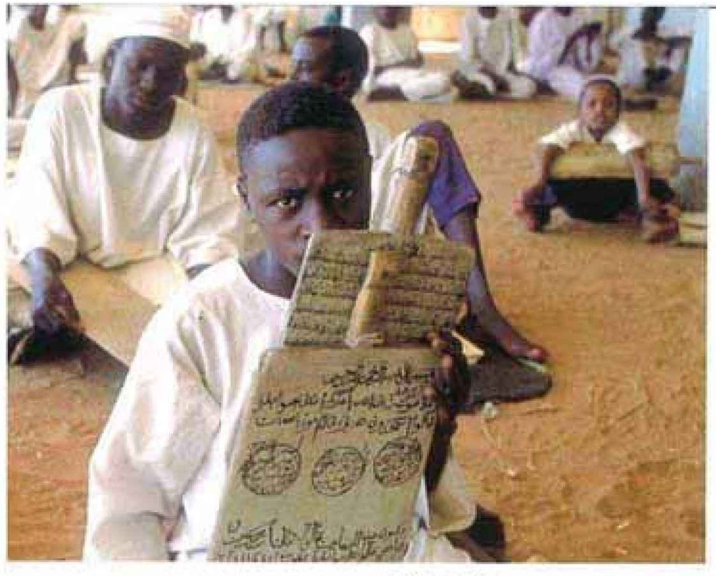
> الخليفة عبد الله تولى وضع حجر الأساس للمسجد الكبير في محفل عظيم، وباشر ذلك وهو يقرأ سورة الإخلاص. وبعد أن وضع الخليفة عشرين طوبة احتذى حذوه الخلفاء والأمراء، وعلية القوم، ثم عامة الأنصار وقد كان البناء بالتطوع تبركًا به، ورغبة في الثواب

> كان المسجد الكبير حتى وفاة الإمام المهدي فضاءً محاطًا بالشوك. وقد كانت بيوت أم درمان كلها بالقش حتى ذلك الوقت. وكان البناء الوحيد هو منزل المهدي المبني من الطين، والذي صار مدفنه. وبعد وفاة المهدي شرع الخليفة عبد الله في بناء سور من الطين حوله

مقصورة خاصة به. وقد أنشئ هذا المسجد للمحافظة على المهدي من داء الجدري الذي كان منتشرًا آنذاك؛ لأن المهدي لم يكن مجدرًا، وكانوا يفصلون بينه وبين الناس في الوابور الذي يقطع بين الخرطوم وأم درمان بمسافة بعيدة حتى لا تنقل إليه العدوى. ولايختلف هذا الأسلوب عن الإجراءات الوقائية التي تتخذ هذه الأيام عند انتشار الأوبئة الفتاكة. وكانت أبعاد هذا المسجد تبلغ ٢٥ مترًا طولاً، و١٥ مترًا عرضًا، وكان يسع نحو ٢٠٠ مصل. وكانت جوانبه محاطة بالخشب بينما كان سقفه بالزنك محمولاً على ١٢ عمودًا من الحديد. وقد سمي بجامع الصفيح بسبب هذا الزنك.

كانت إمامة الصلاة، وإمامة الحكم مقرونتين معًا في النظام الإسلامي، وقد سميت إمامة الصلاة بالإمامة الصغرى، بينما سميت إمامة الحكم بالإمامة الكبرى. وقد عد التغيب عن الصلاة جريمة كبرى؛ إذ كانت وراءه دواع سياسية. وقد وصف الخليفة هذا الموقف وصفًا رائعًا مفصلاً في خطاب منه إلى الأمير محمد خالد زغل وأتباعه في دارفور. وكان محور ما ذهب إليه هو أن التغيب عن الصلاة كمن ينكر خلافته وأن الواقفين خلفه في الصلاة هم المشمولون بالعناية وبركات المهدية.

وبجانب المسجد الكبير، وجامع الصفيح، كانت هناك



خلوة لحفظ القرآن



احتفال شعبي

مساجد أخرى صغيرة، كمسجد الجهادية في الكارة (طابية أم درمان القديمة)، ومسجد الهجرة في شمال المدينة، ومسجد الحرم الذي انشئ لحريم المهدي. إن هذا المسجد أو جامع الخليفة، كما يسمى الآن، مازال يحتل مكانًا عظيمًا؛ إذ مازالت تقام فيه الاحتفالات الكبيرة، كاحتفال المولد النبوي. وقد احتفل السودانيون باتفاقية الاستقلال شعبيًا في هذا الموضع، كما أن ضباط عبود قد احتفلوا فيه بالعيد الأول لانقلابهم.

وكان بقرب جامع الصفيح (كر) القضاة أي حاجز القضاة؛ وهو مقر محكمة الإسلام. ولما بني المسجد انتقلت المحكمة إلى الشمال غرب المحراب. ولهذا جاز لبعضهم أن يشير إلى قضاة هذه المحكمة بعلماء المحراب الصادقين في المهدية. وكانت محكمة الإسلام مكونة من عشرة قضاة يرأسهم قاضي الإسلام، وتصدر أحكامها بالتداول بين الأعضاء. وكانت المحكمة تعقد جلساتها علنًا في الصباح، وبعد صلاة العصر من كل يوم . أما محكمة السوق فكانت تنظر في منازعات السوق ومشكلاته كالموازين، والمكاييل، ومشكلات العملة، وأنظمة السوق، وما إلى ذلك.

القبة

وإلى الشرق من المسجد الكبير وملحقاته كان بيت المهدي. وكان مكونًا من حجرة مبنية بالطين، وهو أول بناء في المدينة. ولما توفي المهدي دفنه الأنصار في الموضع نفسه ثم بنى الخليفة عبد الله فوقه قبة المهدي المشهورة. وقد بدئ في حفر أساس القبة يوم الأربعاء الثاني من ربيع الأول سنة ١٣٠٦هـ. وكان ذلك بمحضر الخليفة عبدالله، والخلفاء، والقضاة، والأمراء، وجمهرة الأنصار. وقد بدأ الخليفة عبدالله الحفر بنفسه. ويذكر صاحب المستهدي أن الحفر استمر إلى التاسع من الشهر نفسه. وكان أساسه يبلغ خمس أذرع عرضًا، وأربع أذرع عمقًا. وبعد بروز الأساس فوق الارض كان عرضه ثلاث أذرع ونصف الذراع، وقد صعد البناء على هذا المقدار. وكان أساسه حتى فوق سطح الارض بالحجر، ثم بني فوقه بالطوب الأحمر. وبدأ البناء مربع الزوايا. وكان



ألوان السبح

مقدار كل جانب منه ١٧ ذراعًا،وبعد أن بلغ ارتفاعه ١٤ ذراعًا صار البناء مثمنًا: أي: بثمانية جوانب، وقد ارتفع البناء على هذا الشكل خمس أذرع، ثم بدأ بعدها التدوير، وقد بلغ ارتفاعه حتى العقد، والتمام ١٤ ذراعًا، وهكذا استوفى ارتفاع القبة خمسين ذراعًا، وكان في علوها هلال، ومن وسط الهلال يرتفع رأس حربة كبيرة. وكان للقبة بابان بنيا بالحجر المنحوت: أحدهما بجهة الجنوب، والآخر بجهة الشمال، ولها ثمانية شبابيك، في كل جهة من الجهات الأربع شباكان، لها ثماني مناور بيضوية في محلات التثمين - أي في كل واجهة من الواجهات الثماني سور واحد، وفي داخل القبة يقع ضريح الإمام المهدي؛ وهو على بعد أربع أذرع من الجدار الغربي، وثماني أذرع من الجدار الشرقي، وخمس أذرع من الجدار الجنوبي، وأربعة أذرع من الجدار الشمالي. وقد طليت القبة بالجير الأبيض اللامع ليكون له بريق في النهار والليالي المقمرة، بينما لا يطويه ظلام الليالي. وحول القبة شيد سور عظيم، وكان للسور بابان يفتحان أيام الجمعة للزيارة، وقد كان للقبة مقام عظيم في نفوس الأنصار، إذ كانوا ولا يزالون ينظرون إليها بالإجلال والاحترام، ويشدون الرحال للتبرك بها.

بيت الخليفة

وبالقرب من القبة كان الحرم؛ وهو بناء شيّده الخليفة عبد الله لنساء الإمام المهدي وأولاده، وإلى الشمال الغربي من الحرم كانت مساكن بعض الأشراف، غير أنهم رحلوا من هذا الموضع إلى (ود نوباوي) بعد الخلاف الذي نشب بينهم وبين الخليفة، وقد صارت منطقة ود نوباوي مركز ثقل بالنسبة إلى الأشراف، وهي كذلك إلى هذا اليوم، وإلى الشمال الشرقي من الحرم كان منزل الخليفة شريف، وإلى الجنوب من القبة كان المقر الرسمي للخليفة عبد الله، وهو بناء يتكون من طابقين، وقد حول الآن إلى متحف، وقد أنشأ الخليفة دوره الأرضي عام ١٨٨٧م، ثم بنى فوقه الدور الثاني في عام ١٨٩١م، ويتكون البيت من عدة حيشان، أو أجزاء محاطة بسور من الطوب الأحمر، ومتصلة بعضها ببعض، ويقع جناح الخليفة إلى جوار المسجد، ويشرف الدور الثاني منه على المصلين وعلى الأحياء الشمالية التي كانت تغلق باب الخليفة، وبشرق جناح الخليفة كان جناح الحريم، وهناك أجزاء أخرى، كالمخزن، وغيره، وقد وصف سلاطين بيت الخليفة وصفًا مفصلاً في كتابه «السيف والنار» كما أن المنزل نفسه باق اليوم، كما كان العهد به.

وبجانب هذه المواضع كانت هناك مصالح عامة كثيرة، أولاها بيت المال العمومي، وقد كان يوازي إلى وقت قريب وزارة المالية؛ ومخازن الدولة، وكان موضعه بالقرب من النهر؛ وهو من الدور المهمة التي تقع خارج المنطقة المسورة، وقد صار بناؤه بالقرب من النيل ليسهل نقل البضائع الواردة بالطريق النهري، وكان من أهم أقسام بيت المال مصنع العملة، وإلى الجنوب من بيت



جلسة في مقهى شعبي

المال العمومي كان سوق الرقيق: وهو بناء شيّد بالطوب الأحمر. وقد حظر الخليفة بيع الذكور من الرقيق إلا للدولة. بينما حظر الاقتناص حظرًا باتًا. وكان بالجانب الشمالي من المنطقة المسورة حي الملازمين: وهم حرس الخليفة الخاص. وقد ارتفع عدد الملازمين ارتفاعًا ضخمًا، وصاروا قوة ضاربة يعتمد عليها اعتمادًا كبيرًا. وقد جعل قيادتهم لابنه عثمان شيخ الدين ليكون ولاؤهم له ولاءً مباشرًا، وكان للملازمين بيت مال خاص، ومخزن للسلاح. ويفصل بين حي الملازمين والجزء الباقي من المنطقة المسورة سور من الطين يسير من الشرق إلى الغرب، وقد بلغ طول حي الملازمين نحو الف وخمسمئة ياردة، وعرضه نحو تسعمئة ياردة، وهذا الحي كغيره من أحياء أم درمان باق حتى الآن.

وكان من المواضع المهمة بيت الأمانة: وهو مخزن كبير للسلاح والذخيرة، ولم يكن مسموحًا لغير ملازمي الخليفة بحمل السلاح إلا في العرضة، أو التوجه للجهاد، وقد صار بيت الأمانة الآن دارًا لرياضة كرة القدم، وإلى الشمال من بيت الأمانة كان هناك مبنى صغير ذو شكل دائري، وارتفاعه يبلغ نحو ٢٠ قدمًا، وقد حفظ فيه الخليفة رايات الجيش وطبوله، وإلى الشرق من ذلك كان مصنع الذخيرة والأسلحة الخفيفة الذي قد يلجأ إليه الخليفة عند الضرورة فيجد فيه

السلاح والبيارق والطبول فضلاً عن الرجال الموالين له.

وكان من المصالح المهمة السجن؛ وهو يعرف بالساير نسبة إلى إدريس الساير، الذي كان أمير السجن. وكان السجن عبارة عن حوش كبير يقع قرب النهر في القطاع الشمالي من المدينة وقد أقيمت بداخله عدة حجرات صغيرة، وكان يؤذن لنزلاء السجن بالإقامة في الحوش في أثناء النهار. أما في الليل فكان عليهم أن يكونوا في الحجرات. وكان على أهل المسجون أن يدبروا مأكله ومشربه؛ لأن الدولة لم تكن تقدم لهم الطعام؛ وقد وصف إبراهيم فوزي في كتابه «السودان بين يدي غردون وكتشنر» الحياة في داخل السجن آنذاك وصفًا مستفيضًا. على الرغم من أن المهدي كان يرمي إلى أن يكون السجن كفارة للخطايا، وطريقًا للخلاص منها، ومنع استغلال السجناء، أو الإساءة إليهم، إلا أنه يقال: إن هذا السجن كان أبعد ما يكون من الإنسانية، وأن رجالاً مهمين من أمثال أحمد علي قاضي الإسلام، والزاكي طمبل الذي قاد الأنصار في واقعة القلابات، وانتصر على الحبشة قد ماتوا في هذا السجن جوعًا وعطشًا.

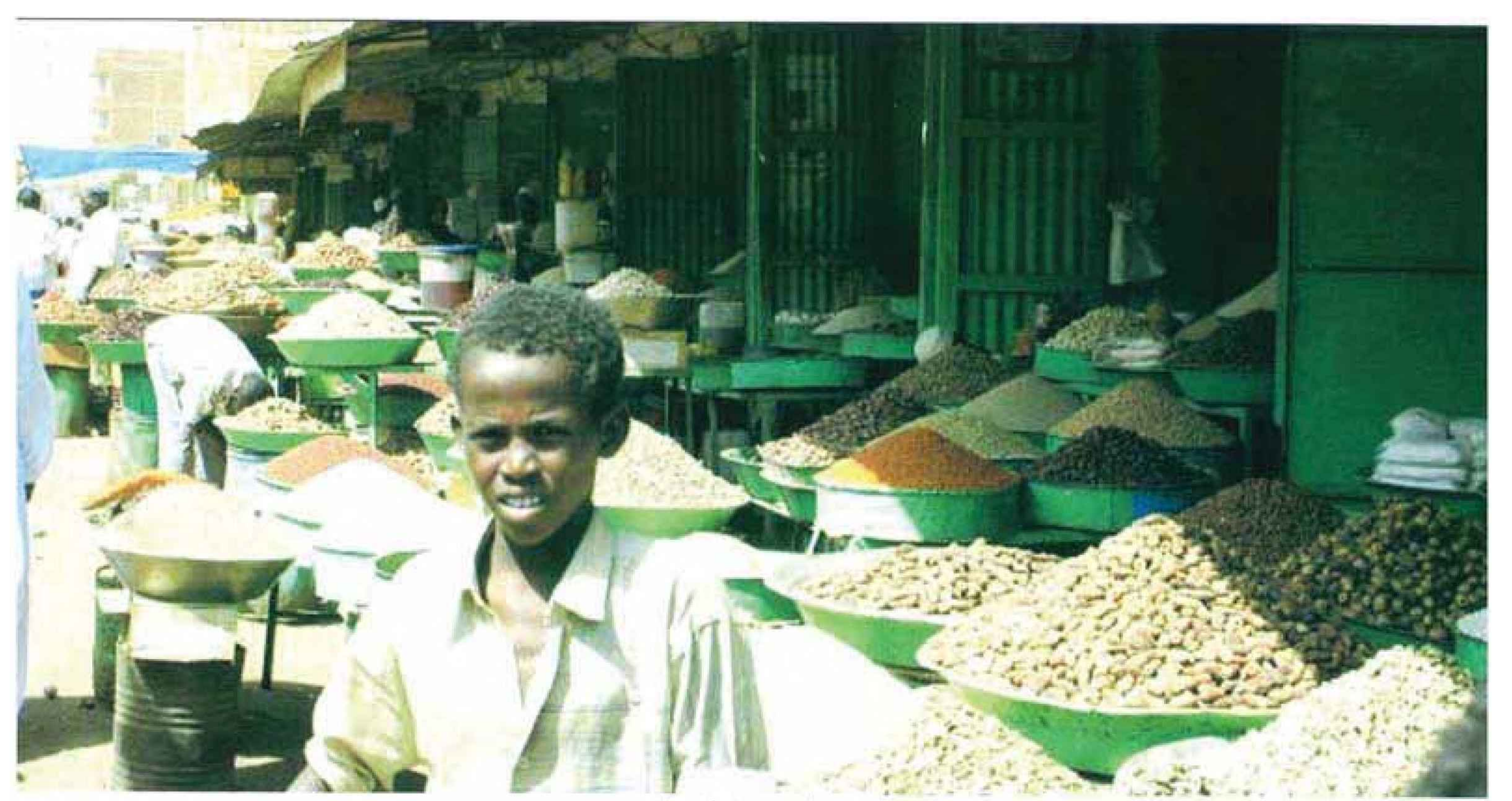
عام الجفاف

لم تفدنا أي مصادر إحصاءات دقيقة، أو بيانات تفصيلية عن التكوين البشري لمدينة أم درمان في فترة المهدية. ولكن كل ما كان يعرف عن طوائف الناس وتحركاتهم وتجمعاتهم، وما كان لهم من النفوذ والسلطان، والتقسيمات البشرية، وعدد سكان المدينة لايتعدى ما نحصل عليه بالاستنتاج من تحركات الجيش من المدينة وإليها، وبعض التحركات الكبيرة كمجيء القبائل الغربية، وبعض تقديرات عن السكان يرويها الرواة، وتنقلها عنهم تقارير المخابرات المصرية، التي كانت ترصد أحوال السودان، وهي تقديرات مصدرها التخمين، ويشوبها الاضطراب والتناقض الشديد.

ومن المعلوم ان كل الذين اشتركوا في حصار مدينة الخرطوم لم ينتقلوا إلى مدينة أم درمان، أو بالأحرى معسكر الهجرة في أم درمان، بل عادت الجماعات القبلية التي استقرت للاشتراك في الحصار إلى بلادها بعد أن تم الفتح مباشرة. وهكذا قدر لمدينة أم درمان أن تبدأ عهدها الزاهر كمعسكر للقوات المسلحة، او ما يسمى بالجيش العامل. وبعد قليل من بدء المعسكر خرجت قوات كبيرة إلى الأقاليم المختلفة. ومن ثم انخفض عدد سكان المدينة. بل كان مجيء أهل الغرب سببًا من أسباب المجاعة الكبرى التي حصدت الناس حصدًا؛ فهم قد أتوا على مخزون الغلال في المدينة والجزيرة، وأضحوا عالة على الزراع، بينما فقدت البلاد سواعدهم القوية المنتجة. وكانت من أسباب المجاعة العامة أن أمطار(١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م) كانت شحيحة، وكان النيل منخفضًا؛ فانخفض الإنتاج، ولما جاء العام التالي، واخضرت الأرض، وعمرت القلوب الأماني أصاب الله عباده بالجراد، فأتى على الأخضر واليابس، واصيبت البلاد بقحط عام، وانتشرت المجاعة تفتك بالناس فتكًا، وصار ما لاقاه الناس من أهوال مثالاً يضرب في البلاد.

وكانت مدينة أم درمان وحدة إدارية قائمة بذاتها،

توفي الإمام المهدي بعد انتقاله إلى أم درمان بقليل. وقد تولى الخليفة عبد الله الأمر، وصار يعرف بلقب خليفة المهدي. وفي عهد الخليفة استمر توسع المدينة، بينما بدأت المنازل المبنية بالطين والطوب الأحمر والحجر تحل مكان منازل القش والجلد



جانب من سوق أم درمان

وكانت تبدأ حدودها الشمالية بولاية غرب النيل الكبير، وهي تمتد شمالاً حتى حجر العسل، وحدود المدينة الجنوبية كانت تبدأ من ولاية النيل الأبيض، وهي تمتد في محاذاة النيل جنوبًا حتى الترعة الخضراء، ومن الشرق كانت ولاية الخرطوم، وهي تبدأ من المقرن وتسير بين النيلين حتى مدني، ثم ولاية شرق النيل الكبير، وهي تمتد من النيل الأزرق حتى حجر العسل، وهذا التقسيم يختلف عن التقسيم الإداري للمنطقة في الوقت الحالي فإن لكل من الخرطوم، وأم درمان، والخرطوم بحري إدارة خاصة.

وقد اجتمع في مدينة أم درمان كل فنون المعمار التقليدي.. وكانت السمة البارزة في أنماطه المختلفة التمسك بالحوش (الفناء الواسع الفسيح) سواء كان المبنى منزلاً خاصًا، أو مصلحة من المصالح العامة، حتى المسجد الكبير كان عبارة عن حوشًا كبيرًا، بل إن منزل الخليفة نفسه كان يتكون من عدة احواش. أما الأنماط فهي الكرنك، وهو بناء من القش، وسقفه مصنوع على شكل ظهر ثور كبير، ثم الدانقة، وهي الحجرة المشيدة

> اجتمع في مدينة أم درمان كل فنون المعمار التقليدي.. وكانت السمة البارزة في أنماطه المختلفة التمسك بالحوش (الفناء الواسع الفسيح) سواء كان المبنى منزلاً خاصًا، أو مصلحة من المصالح العامة، حتى المسجد الكبير كان حوشًا كبيرًا

بالجالوص، ولها طاقات مقفلة وفتحة كبيرة عالية لا باب لها. وكانت هناك القطية، وهي بناء أسطواني صغير. ثم كانت الراكوبة، وهي تشيّد بأعمدة من خشب، وعليها شكاب او جلد أو قش، ولها فتحات بالجوانب. على أنه كانت بالمدينة أعمال هندسية عظيمة اكتسبت أهمية كبيرة بفضل العمل في سور المدينة، وبناء الطوابي المثبتة حول المدينة، كما كانت هناك مصلحة العمارة، وتدل كمية الورق التي كانت تصرف لها على أن أعمالها كانت واسعة، كما أن إنجازاتها الباقية تدل على اجتهاد القائمين بأمرها.

وكانت مدينة أم درمان المدينة التجارية الأولى في عصر المهدية، كما كانت الخرطوم أولى مدن السودان التجارية في العصر التركي،غير أن التجارة لم تكن مزدهرة في المهدية، ولم يكن للتجار ورجال المال ذلك النفوذ العظيم، الذي تمتعوا به في العصر الغابر. وقد كان مجتمع المهدية منصرفًا بكلياته للجهاد والتقشف في الحياة، وقد تدخلت الدولة في التجارة، واحتكرت أنواعًا من البضائع، كالصمغ، وحددت تجارة أنواع معينة، كالرقيق الذي منع اقتناصه في الداخل، وحظر تصديره في الخارج

موقعة أم درمان

في أبريل عام ١٨٩٨م في واقعة عطبرة، أصبح طريق الحملة إلى العاصمة أم درمان ممهدا. (وقد بدأ كتشنر باشا - سردار الجيش المصري، وقائد الحملة) يعدّ العدة للخطوة القادمة، وللقاء الحاسم بينه وبين الخليفة عبد الله، وأبدت الدولتان المصرية والإنجليزية عطفا عظيما لكل ما طلبه. لقد حصل كتشنر على قوات إضافية عززت جيشه، وبلغ رجاله عندما بدأ التحرك جنوبًا نحو خمسة وعشرين ألفا وثمانمئة: منهم نحو الثلث من الإنجليز. كما حصل على عدد من البواخر الحربية، وكميات عظيمة من الأسلحة والعتاد. ومن جانب آخر تقدم خط السكة الحديدية من (ابو حمد) إلى عطبرة، كما ربط بخط التلغراف بين عطبرة (وأبو حمد)، وبين بربر وسواكن، وبين سواكن وكسلا التي سلمتها مؤخرًا السلطات الإيطالية للفاتحين. وقد ازداد عدد المتطوعين من أبناء البلاد التي فتحت، ومن المعادين للخليفة عبدالله: لأسباب سياسية، وصاروا يكونون الجيش الذي عرف بجيش العرب المتحابة، الذي تولى أمر الجانب الشرقي للنيل، وسار على يده احتلال إقليم الخرطوم بحري، ومدينة الخرطوم نفسها في اليوم السابق لوقعة أم درمان.

وفي الجانب الآخر بدأ الخليفة عبدالله يستعد للمعركة الحاسمة، وصمّم ان يكون اللقاء في أم درمان بعد أن ردّد بعضهم اقتراحا للانسحاب إلى الغرب، وجر الجيش الفاتح إلى صحارى كردفان، على أمل أن يذيقوهم ما ذاقه الشلالي، وهكس من قبل عطشًا وانتحارًا.

شرع الخليفة في حشد جيوشه في المدينة، وتدفق الأنصار من الأقاليم، واتخذت المدينة استعداداتها للدفاع معتمدة على الطوابي المنبثة حول المدينة، وما جاورها من المواضع الإستراتيجية، وكانت بواخر العدو تشكل خطرًا عظيمًا: إذ تستطيع ان تلقي حممها على المدينة وأهلها، وهي بعيدة عن منال سيوف الأنصار وحرابها، ولا تقوى بواخر الأنصار على صدها: لذلك أعد الخليفة عدته، وجعل مرمى

من المعلوم أن كل الذين اشتركوا في حصار مدينة الخرطوم لم ينتقلوا إلى مدينة أم درمان، أو بالأحرى معسكر الهجرة في أم درمان، بل عادت الجماعات القبلية التي استقرت للاشتراك في الحصار إلى بلادها بعد أن تم الفتح مباشرة

الطوابي في اتجاه النيل، ونصبت الألغام في المياه؛ لتفتك بالبواخر القادمة، وتقضي عليها، إذا ما مستها على نحو ما يفعل الآن في الحروب، إلاّ أن الخبرة الفنية والمواد اللازمة لم تكن متاحة بالقدر الذي يهدد طريق البواخر.

وفي صباح يوم الجمعة الثاني من سبتمبر عام ١٨٩٨م وقعت الوقعة الحاسمة وقعة أم درمان المشهورة، التي وضعت نهاية دولة المهدية، وأعظم تحدٍّ أعدته القارة الإفريقية لمقاومة التوغل الأوربي. وقد بدأ الأنصار هجومهم بعد صلاة الصبح، وتقدموا نحو العدو صفوفًا، وهم يكبرون موجًا وراء موج، فحصدهم الرصاص حصدًا، وأخفقوا في الوصول إلى الجيش ليقاوموا بسلاحهم الأبيض،وقد استبسل الأنصار استبسالا عظيمًا، وقدموا أرواحهم فداءً لعقيدتهم، ودفاعًا عن دولتهم، ولكن الغلبة آخر الأمر كانت للسلاح الفاتك. ولما أيقن الخليفة أن المعركة خاسرة عاد إلى المدينة، ثم خرج منها بعد أن جمع أخلص أعوانه وأتباعه، وهو ينوي العودة بعزم جديد، وجيش مكين يرد الكفار، ويقضي عليهم، وعاد بعده الأنصار مقهورين وقد خلفوا وراءهم عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، عادوا وقد تحطمت المعنويات، ودخل الجيش الفاتح مدينة أم درمان بعد أن صدته قليلاً قوات عثمان دقنة، واستبيحت المدينة، ورأى الناس أهوال الاحتلال، ووطأة الجيوش الغازية.

وكان كتشنر قد بيت النية على القضاء على مدينة أم درمان؛ لكونها عصبة نظام المهدية، وتمثل روحها، وتكمن في وسطها قبة المهدي، والمسجد الكبير، وإذا بقيت المدينة بقيت روح المهدية مشتعلة في النفوس، وإذا ظلت القبة شامخة ظل إيمان الأنصار شامخًا، فاعتدى كتشنر على القبة فحطمها، ثم أحال المسجد القديم إلى ساحة يستعرض فيها جيشه، ثم أعد كتشنر عدته لإخلاء المدينة من أهلها، وتعمير مدينة الخرطوم من جديد؛ لتكون الخرطوم تمثل العهد التركي القديم، وفيه معنى الانتصار لغردون ذبيح القصر.

ولابد لذلك من صلاة تذكارية لروح غردون في خراب القصر، ولابد من إعادة الحياة للمدينة الخربة، ورفع العلم المصري والبريطاني في موضع السراي؛ إعلانًا للحكم المشترك الجديد؛ وعودًا به إلى العهد القديم، ولكن كيف السبيل لإقناع أهل أم درمان؟ لقد تركت مجموعات من الناس المدينة وعادت إلى قراها، إما رهبة



تظاهرة شعبية في ساحة حمد النيل

وخوفًا. وإما: لأنها جاءت أصلاً إلى القتال، وعادت بعد أن انتهى القتال. وبقي في المدينة أهل المدينة المرتبطون بترابها. ولم يكن من اليسير إقناع هؤلاء بالرحيل إلى الخرطوم: فقد كانت هناك مصاعب الرحيل عبر النهر بالمراكب الشراعية، وكان أمامهم إنشاء منازل جديدة في الخرطوم. ولابد أن

كان كتشنر قد بيت النية على القضاء على مدينة أم درمان: لكونها عصبة نظام المهدية، وتمثل روحها. وتكمن في وسطها قبة المهدي، والمسجد الكبير. فاعتدى كتشنر على القبة فحطمها. ثم أحال المسجد القديم إلى ساحة يستعرض فيها جيشه

تكون المنازل منازل جديدة تليق بالعاصمة الجديدة. فلماذا يتركون منازلهم المشيدة، ويشيدون أخرى غيرها، ويكلفون أنفسهم المشقة؟ وكانت هناك التجارة القائمة على الحرف المحلية، فهل يجد أهل الحرف مكانًا في المدينة العصرية؟ وهل تجد بضاعتهم رواجًا؟ وكان هناك العامل النفسي، والتعلق بالوطن، والقلق الذي يساور نفس الإنسان عندما يبدأ حياة جديدة، أو يعزم على الرحيل.

وكان هناك من يعارض سياسة كتشنر هذه، ويقف ضدها، وكان من هؤلاء القوم اللورد كرومر، الذي كان يرى الإبقاء على أم درمان، وإبقاء العاصمة بها تخفيفًا للنفقات، وتوفيرًا للجهود. ولقد زار المدينة مراسل جريدة التايمز في عام ١٩٠١م، وأخذ على كتشنر تحطيم القبة، وتحويل المسجد إلى ملعب، وانتقد سياسة الرحيل إلى العاصمة المصرية انتقادًا مرًا، واتهمه

أحياء أم درمان وشوارعها

حتى الآن فإن مفتاح مدينة أم درمان ثلاثة شوارع رئيسة تسير جنوبًا وشمالاً. أولها الشارع الذي يسير بمحاذاة النيل، وكان يسمى شارع برميل منسوبًا إلى المستر (برميل). أحد مفتشي مدينة أم درمان المعروفين، ثم سمي في العهد الوطني شارع الشاطئ. هذا الشارع يتفرع من شارع الموردة بالقرب من حديقة الموردة التي شيّدت أيام حكومة الفريق عبود (نوفمبر١٩٥٨ ـ ١٩٦٤م)، ويتجه شارع برميل شمالاً مارًا بمبنى التلفاز والمسرح القومي اللذين تم تشييدهما إبان فترة حكم عبود والشارع الثاني هو شارع الموردة الذي يبدأ من كوبري النيل الأبيض، ويتجه شمالاً حتى المحطة الوسطى بأم درمان، وقد تم توسيع هذا الشارع في الفترة من عام (١٩٦٠ ـ ١٩٦٣م)، ومن المحطة الوسطى يبدأ شارع (أبو روف)، ويتجه شرقًا حتى شاطئ النيل الغربي حيث كانت تبدأ معدية شمبات التي تصل بين الضفتين الشرقية والغربية بنقل الركاب وحاجياتهم من مشروع (أبو روف) إلى مشروع شمبات في الضفة الشرقية، ومن المحطة الوسطى أم درمان يتجه شارع كرري،



النيل شريان الحياة

بأنه يحاول القضاء على ملامح القزمية السودانية التي ظهرت في الثورة المهدية، ثم انتهى إلى أن ذلك كله يفتح مجالاً للنفوذ المصري ويهيئ لسيطرته على السودان. على أي حال فقد اتخذ كتشنر مدينة الخرطوم عاصمة للحكم الجديد، ورفع العلمين على أنقاض السراي، وعادت الحياة من جديد إلى هذه المدينة.

وشارع الشنقيطي شمالاً . أما شارع الخليفة فيتفرع من شارع الموردة عند جامع الخليفة. ويتجه شمالاً، وهو أهم منافذ المدينة شمالاً، كما يتفرع شارع العرضة من جامع الخليفة غرباً ماراً بمبنى بلدية أم درمان حتى نهاية المدينة من الناحية الغربية .أما الشارع الثالث فهو شارع الأربعين الذي يبدأ من كوبري النيل الأبيض، ويتجه غرباً،



البحث عن الرزق في النيل

ثم ينحرف شمالاً ليتصل في نهايته مع شارع العرضة .

وفي وسط المدينة سوق أم درمان الكبير، وهو أكبر سوق في السودان - على نمط السوق القديم أيام المهدية . وهو مقسم إلى أقسام، كل قسم خاص بحرفة محددة وعمل معين، ومن ذلك سوق التمور وزنوكة اللحوم والخضار، والتشاشة والذرة، والصاغة والعناقريب، وصناعة الأحذية والجلود، والسروجية والخياطين، واللبد والمراتب والقومسيون والحدادين والسمكرجية، وفي السوق الكبير أقدر المهنيين السودانيين على أعمال العاج والصاغة والجلد والتجارة.

ومدينة أم درمان القديمة قبل الامتدادات الشمالية التي حدثت إبان الفترة من عام (١٩٥٨ - ١٩٦٤م) والقرى الريفية التي أضيفت إلى حدود البلدية. فقد كانت أم درمان الأم مقسمة إلى اربعة أرباع، وكل ربع يضم عدداً من الحارات بين الأربع والخمس حارات بخلاف الحارات التي قامت في ما بعد بأحيائها التاريخية المعروفة التي من أهمها بداية من (أبو روف) المشروع وما جاورها من أحياء: الدباغة، بيت المال، القلعة، شجرة آدم، ود البنا، ودارو، ود نوباوي، الركابية، العمدة، السيد علي، السيد مكي، المسالمة، حي عرب، السوق، الهجرة، ود اللدر، وأغلبها في الجانب الشمالي من المدينة؛ وفي الجانب الجنوبي والغربي هناك أحياء البوستة، الإسبتالية، العرضة، العباسية، الهاشماب، أبو كدوك، الأمراء، الشيخ دفع الله، فنقر، الربيع، مرفعين الفقراء، الموردة بفرقانها الصغيرة فريق ريد، عباس رحمة الله، برميل، المواليد، أبو عنجة، الضباط، بانت الجديدة، وفي الجانب الشرقي حي ملازمين العريق، وأغلب هذه الأحياء مسماة لإحياء ذكرى شخصيات تاريخية ذات شأن (أبوروف، أبو عنجة، ود البنا، مكي، ود عروسة، ودارو، ودنوباوي، أبوكدوك، الشيخ دفع الله . وهناك أسماء لمعالم أخرى (حي الدومة، حي ملازمين)

ليالي أم درمان

من أيام مدينة أم درمان المباركات ليالي ذكرى مولد النبي الكريم، التي ينتظرها الجميع في شوق لما فيها من ليال صافية، ومن الحلوى المميزة التي تصنع خصيصًى للمناسبة . كان هناك سوق الزلعة الذي وصفه البروفيسور موسى في موسوعته «صدى السنين» بقوله: «كنا نذهب أحيانًا إلى سوق الزلعة الذي يكتظ بالناس في تلك المساحة

الضيقة الواقعة بين مستشفى أم درمان وظهر السور الشمالي لجامع الخليفة. فإذا توسطنا ذلك الملا دخلنا السرور، وأشرق وجهنا بالبهجة؛ فبمجرد أن تضع قدمك في تلك الساحة فإن جميع حواسك تأخذ في الارتجاج، يباغتك من أول وهلة خليط عجيب من روائح البصل، والطرشي، والثوم، والساردين، والقيمات، والجنزبيل، واللبن، والهبهان، والقرنفل، والفول المدمس، والترمس، والتسالي، وهم يسمونه (الجرم).. فإذا امتلأ صدرك ورئتاك من هذه الأشياء، وغيرها بما يفوح من الثوم والبهارات ولفاف الصعوط العماري، وغير العماري للغانف التبغ البحاري والقولد فليكس والقمشة والدقة والدكوة، وقراصة النبق، والسمك المقلي، وسلال البيض المسلوق، والطعمية، والأدخنة المنبعثة من الكوانين، فإنك ذائق بأنفك، وربما بحلقومك غبارًا يحشو الأنوف والآذان وخليط شمار وشطة تدمع الأعين، وتبلغ أقاصي جيوب الرؤوس، فيتكاثر العطس، ويتناثر الرذاذ، وتسمع الحمد لله تردد هنا وهناك، وقد كنا ونحن صبية صغار نتدافع إلى سوق الموردة سوق الزلعة لنبتاع ما تهفو إليه نفوسنا من ممبار ساخنة وسلطة عجور بروب وشطة أو كبدة بقر مشوية؛ وذلك بداعي البعد عن المعتاد من أطعمة موجودة في البيوت التقليدية، وكنا نسهر في ليالي المولد الأخيرة، ونعود راجلين لمنازلنا عند الفجر، ويكون الطرماج - المترو - قد دخل مخبأه عند مباني شركة النور، بالقرب من رئاسة مركز أم درمان.

السيرة

أما مراسم الزواج في مدينة أم درمان فتبدأ احتفالاتها بتحرك موكب العريس من بيت أهله قاصدًا بيت العروسة، تلك المسيرة بين المنزلين تسمى (السيرة)، وهي تضم أسرة العريس وأقرباءه وأصدقاءه، وأهل الحي، والكل فرح مسرور، والمباخر يتصاعد منها بخار معطر من أعواد الصندل، ويبدأ غناء الفتيات على نقرات الطبول، وتنطلق الزغاريد من الحناجر، والسيرة تأخذ طريقها نحو النهر القريب، قبل مغيب شمس ذلك اليوم، والعريس في أبهى ملابسه المخصصة لهذه المناسبة التي تتكون من عراقي واسع من نسيج أبيض ناعم الملمس ويلتحف بثوب زاهي اللون مطرزة أطرافه معروف (بثوب السرتي) مصنوع في الهند، وعلى جبين العريس هلال من ذهب خالص يتدلى من منديل أحمر، يحيط بالرأس المكسو بمسحوق من الصندل مخلوط بعطر معروف بالضريرة ، ويدا العريس مصبوغتان بالحناء، وعليهما من الحرز المنظوم بخيوط من حرير ما يزيد في زينة العريس لزوم المناسبة السعيدة، ويحمل العريس في يده سوطًا بلسان رقيق طويل يهزه مرفوعًا من حين إلى آخر تحية للمحتفلين، فترتفع الحناجر بالزغاريد، وبعد زيارة النهر؛ جلبًا للبركة يتجه موكب العريس تجاه منزل العروسة، وتكون الشمس قد قاربت إلى المغيب فتبدأ إضاءة المشاعل (الرتائن)، يحملها طوال القامة في مقدمة السيرة، وعندما تتوقف السيرة للراحة والاستجمام وسط دقات الطبول، يتحمس بعض الشباب، فيكشفون ظهورهم العارية للعريس؛ ليقوم بضربهم بسوطه الذي يحمله، ويتحمل أوجاعه إمعانًا لإظهار الرجولة أمام الفتيات، وعندما تصل السيرة إلى منزل العروسة يستقبلها

كان من المواضع المهمة بيت الأمانة؛ وهو مخزن كبير للسلاح والذخيرة، ولم يكن مسموحًا لغير ملازمي الخليفة بحمل السلاح إلا في العرضة، أو التوجه للجهاد، وقد صار بيت الأمانة الآن دارًا لر[illegible]ة كرة القدم

أهل العروسة بالدفوف والطبول. وتستمر الاحتفالات في منزل العروس أيامًا وليالي احتفالاً بالزواج.

أم درمان الأصالة

أم درمان التاريخ والأصالة والحضارة... من أم درمان انطلقت شرارة الحركة الوطنية: ثورة عام ١٩٢٤م، ثم مؤتمر الخرجين عام ١٩٣٨م، والأحزاب السياسية والحكام الوطنيون. ومنها انطلقت الحركة الثقافية من جمعية الاتحاد السوداني، وجمعية (أبوروف) والهاشماب، والكثير من الصالونات الأدبية، ومنها ابتدأ تعليم البنات. ومنها انطلقت الحركة النسوية، المتمثلة في الصحافة النسوية، والجمعيات المهتمة بترقية أوضاع المرأة السودانية. ومنها انطلقت الحركة الرياضية الحديثة المتمثلة في كرة القدم وناديها الكبيرين الهلال والمريخ. ومنها انطلقت الحركة الفنية الحديثة إذ انتقل الغناء من غناء الطنابرة القائم على الصوت البشري إلى رميات ود الفكي إلى غناء الحقيبة، ثم الغناء الأوركسترالي. ومن أم درمان تجلى التيجاني يوسف بشير شاعرًا فوق العادة، ونثر علي المك أحلى قصصه.. ومنها كان يرسل عبد الرحمن الريح القصيدة موشاة زاهية، ومنها كان يرسل الفنان إبراهيم عوض أحلى نغماته، وفيها كان يحكي كرومة وخليل فرح. وكان ينشد الشاعر عبد الله محمد زين :

أنا أم درمان أنا السودان
أنا الدر البزين بلدي
أنا البرعاك سلام وأمان
وأنا البفداك يابلدي
أنا أم درمان لسان حالك
أريتك تدري بي حالي
أنا القدرت أحوالك
وحبك بدري أوحالي
اقوم بأعظم الأدوار
وأكون الساحة للثوار
أنا الطابية المقابلة النيل
وأنا العافية البشد الحيل
أنا أمدرمان أنا الأمة
وصوت الأمة وإحساسها
أنا التاسيسها بي تم
وأنا اللميت شتات ناسها
مزجت شمالها بجنوبها
وسكبت شروقها في غروبها
انا أم درمان ده ميلادي
وتيلادي البشيل اسمي
أنا القومت أولادي
شراقة وسيف على وسمي
شلت الراية والدولة
وفي التاريخ بقيت عنوان

المراجع

- محمد إبراهيم ابو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، دار الإرشاد.
- محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، دار الجيل.
- موسى عبد الله حامد، صدى السنين، سراديب الصدى.
- تقرير بلدية أم درمان ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م.
- عباس صالح موسى ـ أم درمان النشأة، الحياة الاجتماعية، الإدارة، مركز عمر بشير
- طارق شريف، أم درمان متحف الأصالة، منشورات الشريف.
- الأب القمص فيلو، جريدة الصحافة ٢٠٠٥/٩/١١م.
- إبراهيم فوزي- الحياة بين يدي غردون وكتشنر، الارشاد.
- محمد كمال، جريدة الأيام ١٩٨١/٣/١٥م
- كتاب تاريخ السودان، وزارة التربية، الناشر.
- سليمان كشه ـ سوق الذكريات- شركة الطبع والنشر.
- وزارة التخطيط العمراني- الخرطوم، قسم تخطيط المدن.
- إسماعيل عبد القادر الكردفاني، المستهدي، دار الحياة.
- رودلف سلاطين، السيف والنار، الناشر.



دماء في حياة الجاهليين

مليكة الصوطي

فاس ـ المغرب

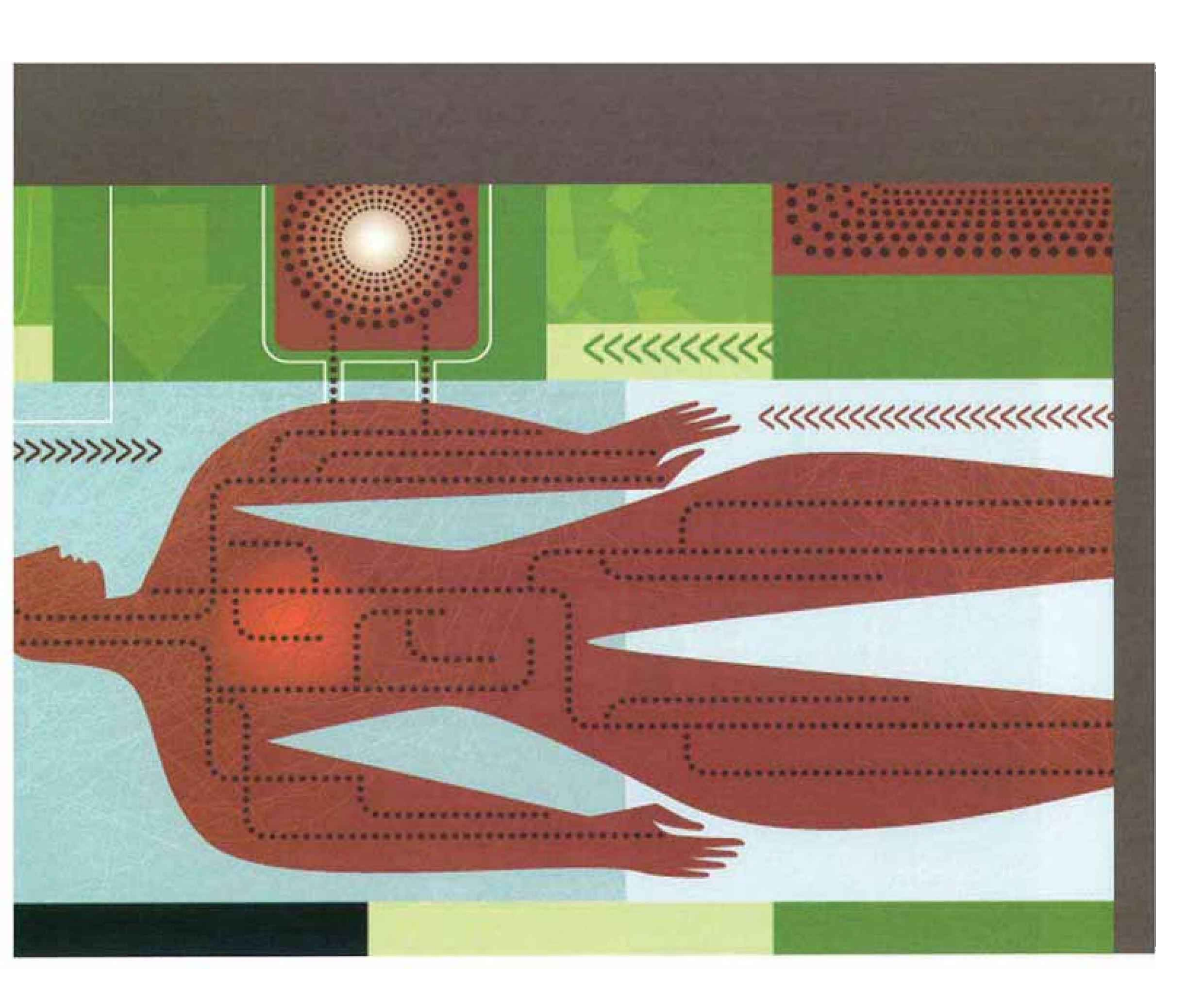
يكاد الدم يستنفد دلالته اليوم في الظلم، والعسف، والقتل. فما أكثر الحروب التي تواترت في مئة العام الأخيرة! وما أشد وثوق الصلة بينه وبين هذه السمة العامة المهيمنة في السياق العربي الراهن !

ومع أن الدم هو عنوان عصرنا العربي الحديث، فإنه في العصور العربية القديمة؛ أي: الجاهلية، يكتسي من حيث مفهومه والظواهر الاجتماعية التي ارتبطت به غنًى كبيرًا، ودلالات غير متوقعة تغري بالبحث والفحص والدرس. لذلك سنسعى في هذا المقال إلى الإبانة عن هذا الثراء الذي يميز الدم في حياة الجاهليين من خلال أشعارهم وآدابهم وعاداتهم. إنه بحث في الأصول إذن، ودعوى إلى إحياء الأدب الجاهلي من جديد، وتقريب للشقة التي بعدت بيننا وبينه. وذلك من زاوية نظر ثقافية وحضارية تجاوز النهج التوثيقي واللغوي الذي ارتهنت به الدراسات الأدبية الجاهلية إلى اليوم.

ما الدم في عرف الجاهليين؟ هل هو رمز تدنيس أم رمز تقديس؟ وما الشعائر والعادات التي ارتبطت به؟.

في المفهوم

للدم عند الجاهليين خصوصية تكشف عنها اللغة نفسها. إذ يتضح من خلال أشعارهم واستعمالاتهم اللغوية أن للدم معجمًا متميزًا! فهذا العنصر الحيوي



يتغير بتغير لونه وصفته، ومحل وجوده، وتعدد أسمائه. فمن أسماء الدم عند عرب الجاهلية التامور. يقول أوس بن حجر:

نُبِّئت أن بني سحيم أدخلوا
أبياتهم تامور نفس المنذر (1)

والتامور دم القلب (2) وسموا الدم نجيعًا. وقد أورده طرفة بن العبد في بيته:

عالين رقمًا فاخرًا لونه
من عبقري كنجيع الذبيح (3)

والنجيع: دم الجوف خاصة. وقيل هو الطري منه، وقيل ما كان إلى السواد. وقال يعقوب هو الدم المصبوب (4) أما ما لصق بالجسد منه فسمي جدية. وما كان من على الأرض فهو بصيرة (5). ويقال أيضا: "جلب الدم واجلب يبس" (6). وإذا خرج الدم من الأنف: قيل: أنثع الدم (7) ونعر الجرح ينعر: ارتفع دمه (8) وفي صفته إذا صار له زبد قيل اعرورف الدم (9). وسموا الدفعة من الدم نُفْصة (10)

ولعل لشيوع التقتيل والثأر والانتقام أثرًا في تواتر

التقليد الذي عرف باسم "سهم التعقية" أو "سهم الاعتذار" يدل على سذاجة الجاهليين حقاً، لكنه يشهد على أن الجاهلي تعب من إراقة الدماء في أحيان كثيرة، وتطلع إلى حقنها، مستجيباً بذلك لإغراء الحياة بعد أن استسلم طويلا لداعي الموت

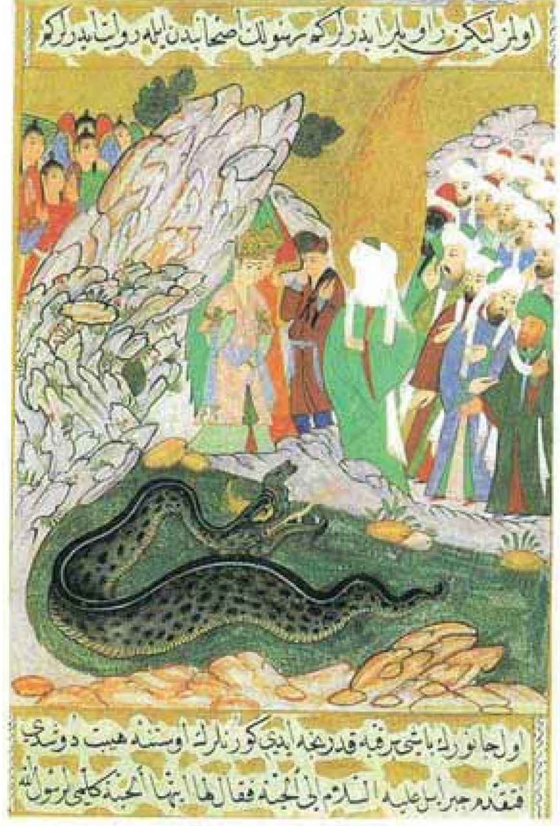
لفظ الدم في كثير من الأقوال المأثورة عنهم، كقولهم فيمن قتل غيره: "علق فلان دم فلان" (٤١)، ويقال لمن حان هلاكه: "راب دمه روبا" (٤٢)، أما من أراد الدعاء على خصمه بالموت فيقول: "سقاه الله دم الحيات"، أي: أهلكه (٤٣)، ومن أراد وصف خائف وجل قال: أتانا فلان وما في وجهه رائحة دم من الفرق" (٤٤).

وكان للدم حضور في أمثال عرب الجاهلية، وكان رمزًا للأواصر القوية الجامعة بين الوالد أو الوالدة وأولادهما، لذلك قالوا: "ابنك من دمّى عقبيك" (٤٥)، أي: ولدك من ولدته لامن تبنيته. وتبدى الدم في أمثالهم رباط نصرة ومؤازرة في الحق والباطل، لذلك قالوا: "الدم الدم والهدم الهدم" (٤٦) تعبيرا عن التحالف والتناصر عند الملمات. فلا غرابة أن يربط الجاهليون بين الدم والحياة، وأن يضيفوه إلى الجسد والروح والنفس عاذّين كل أولئك عناصر يحيل بعضها على بعض. وهكذا وجدنا السموأل يقول مفتخرًا:

تسيل على حد الظبات نفوسنا

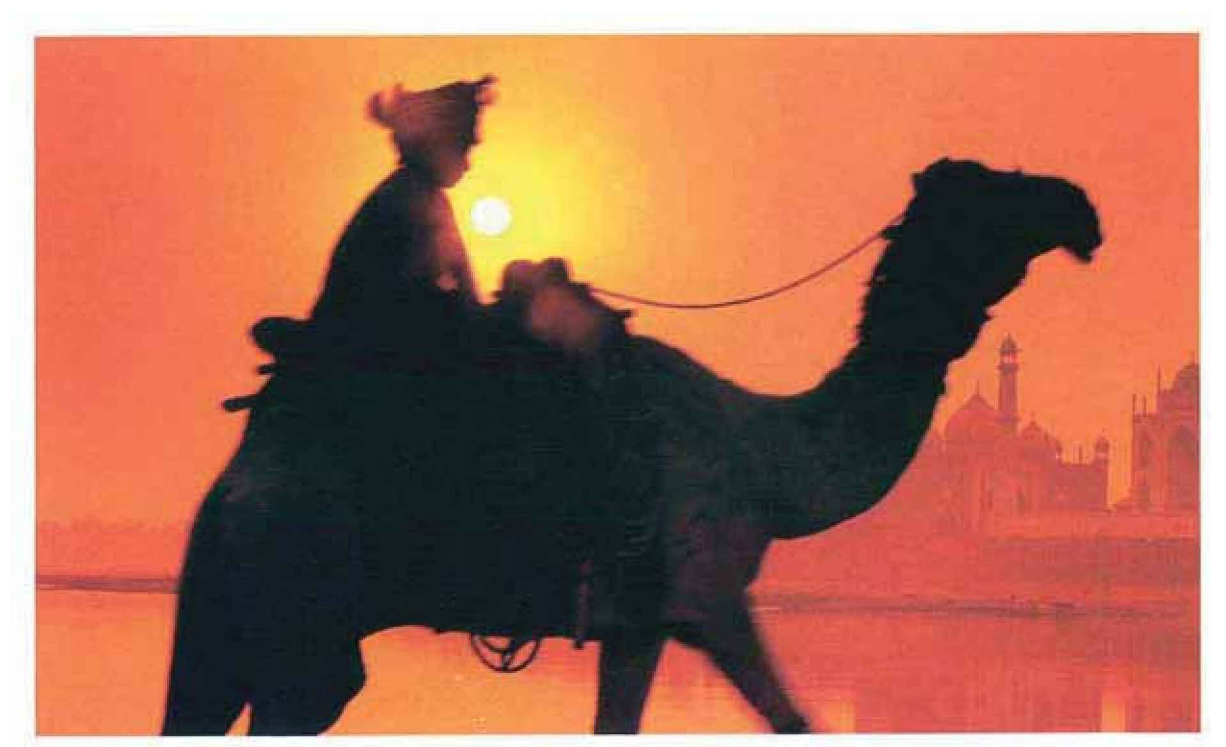
وليست على غير الظبات تسيل (٤٧)

ويقصد الشاعر بالنفس الدم، وإنما سُمّي الدم نفسًا عندهم: لأن النفس تخرج بخروجه، فربطوا بين وجوده ووجود النفس لذلك سموا النفساء: الوالدة



سقاه الله دم الحيات دعاء على الخصم بالموت

كان الخوف من المجهول أحد هواجس الجاهلي الذي آمن بوجود مخلوقات غريبة أسماها "الجن"، وآمن بقدرتها على إيذاء البشر؛ لذلك ابتدع شعائر لدرء الشرور عنه فتوسل بذبائح يريق دماءها على عتباته، وسماها "ذبائح الجن"



الفصيد كان يعني تناول دم الناقة بشق العنق

والحامل، والحائض. و إنما يقال نفست، لما يخرج منها من الدم، والدم عينه نفس[١٨]. كما عقد الجاهليون صلة بين الجسد والنفس والدم، وهو ما يتضح من قول أوس بن حجر:

نبئت أن بني سحيم أدخلوا

أبياتهم تامور نفس المنذر

فلبئس ما كسب ابنُ عمروٍ رهطَه

شَمِرٌ وكان بمسمع وبمنظر[١٩]

وهو يعني بأن بني سحيم حملوا دمه إلى أبياتهم.

وكان لتداخل معنى الدم والجسد والروح تأثير واضح في رؤية عرب الجاهلية لأصرة النسب، تلك التي ربطت بين الأبناء والآباء وترتب عنها الكثير من الواجبات والمسؤوليات بلغت حدّ تثبيت مبدأ الثأر الذي بموجبه يتم الدفاع عن أصرة الدم بالتضحية بالذات: أي: ببذل الدم نفسه.

الدم طعام أهل الجاهلية

ومن المعروف أن معظم الجاهليين اتخذوا النوق والجمال مصدرًا أساسيًا للغذاء، فكانوا يتنفعون بألبانها وشحومها ولحومها. يقول الأعشى:

جعل الإله طعامنا من مالنا

رزقًا تضمنه لنا لن ينفدا

مثل الهضاب جزارة لسيوفنا

فإذا تراع فإنها لن تطردا[٢٠]



تفاءل الجاهليون بالمدمّى من السهام

لكن الطريف هو أن طعامهم كان يتجاوز ذلك إلى تناول الدم عبر شق عرق الناقة أو الجمل، واستخراجه منه أو أكله بعد شيّه. وكانت هذه العملية تسمى "التوديج" أو "الفصد". أما الأكلة فيطلقون عليها اسم "الفصيد". وهذا النوع من الطعام لم يكن مما يستحب من الأطعمة على الأرجح، إذ ارتبط عندهم بأوقات الجدب والقحط وضيق ذات اليد أو البخل، لذلك ورد في أمثالهم قولهم: "لم يحرم من

موت قريب لأية امرأة، سواء كان أبًا أو أخًا أو زوجًا أو ابنًا، كان مناسبة للتعبير عن الحزن ولوعة الفراق. ولم تجد الجاهليات سبيلا للإفصاح عن تلك المشاعر غير إيذاء الذات بوسيلة اللطم والخمش: أي: إراقة الدم من الوجه

فصد له" (..) يضرب في القناعة باليسير". (٣١) وكان الفصيد مما يعيّر به الرجل يطعمه لأهله. هو ذا الأعشى يخاطب بني مرشد وبني جحدر قائلا:

فإنا وجدنا النيب إذ تفصدونها
يُعيش بنينا سيئُها وجميلُها (٣٢)

فالشاعر يفخر بكون أولاد قبيلته يتغذون بسيّء النوق (وهو اللبن ينزل قبل الحلب لغزارته)، وجميلها أي: (شحمها المذاب)، بخلاف مخاطبيه الذين يكتفون بفصدها بخلاً وتقتيرًا. أما وصفة الفصيد هاته فتنجز بدم يجعل في معى من فصد عرق البعير، ثم يشوى ويطعم (٣٣).

وكان الدم من مقومات "العلهز"، وكان طعامهم وقت الجدب. والمقصود به: "قردان تعالج بدم الفصد مع شيء من وبر، وكانوا يدخرون ذلك لزمان الجدب" (٣٤).

واستعمل الجاهليون الدم لأغراض علاجية بعد خلطه بعناصر أخرى، وهي: التمر يعجن ويشاب بشيء من دم، وهو دواء يداوى به الصبيان (٣٥). ويسمى: الفصيدة.

وتشهد مفردات لغة العرب على أن الجاهليين شربوا الدم خالصًا سائلاً في بعض الأحيان دون أية إضافات من قبيل كلمة "الميلغ" (من ولغ يلغ). وهي اسم الإناء الذي يشرب منه المرء الدم بأطراف لسانه (٣٦).

الدم رمز اجتماعي ووجودي

ثم إن الدم اتخذ عند الجاهليين صفة الرمز الذي يدل على معان تتغير بحسب موضع الدم أو استعمالاته. فقد تفاءل الجاهليون "بالمُدَمَّى" من السهام. وسمي بالمُدَمَّى: لأنه "دُمّي: أي: غرق في الدم" (٣٧) وهو سهم يوضع في الكنانة بغرض التبرك لوجود دم العدو عليه. وكان الرجل إذ رمى خصمه بسهم فأصابه، ثم رماه به وعليه الدم، احتفظ به الرامي الأول ووضعه في جراب السهام يتفاءل بذلك، ولا يرمي به مرة أخرى. وتلك علة قولهم لمن استنفد كل سلاحه: "رمى بسهمه الأسود والمدمى" (٣٨).

وكان الدم على صدور كلاب الصيد رمز ظفر وصيد. ويسمى الكلب مخضوب اللبان. وإلى هذا المعنى أشار أبو خراش الهذلي في سياق مخاطبته ابنه، حين تركه وهاجر في خلافة عمر. يقول:

فإنك وابتغاء البرّ بعدي
كمخضوب اللِّبان ولا يصيدُ (٣٩)

وعلق ابن قتيبة الدينوري على هذا البيت قائلا: "هذا مثل يعني الكلب تلطخ صدره وحلقه بالدم ترى الناس أنه قد صاد ولم يصد شيئا" (٤٠) وكذلك الأمر بالنسبة إلى الخيل التي تسعف صاحبها بإحراز السبق في الصيد والإغارة. قال الآلوسي عن عرب الجاهلية: "كان من ديدنهم وعوائدهم أنهم إذا ساقوا الخيل على الصيد، وأغاروها نحوه فالسابق على غيره في الوصول إليه يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد علامة على كونه لا يدرك في الغارات، وأنه سباق غايات. وقد بطلت بعد ظهور الإسلام هذه العادة، ولم يعرفها سكان البوادي من العرب اليوم. غير أن لأعراب الحجاز عادة قريبة من ذلك، وهي أنهم إذا نزل بهم ضيف يعتني بشأنه ذبحوا له أو نحروا. فإذا سافر منهم وترحل

ارتبطت بعض الأماكن زمن الجاهلية بالدم، وما يرمز إليه من قتل وسفك، منها مكان يقال له: "ساتي دما". وقد ذكره الأعشى في إحدى قصائده، في معرض ذكر استرجاع هرقل الشام من الفرس بعد أن ملكوها

عنهم لطخوا طرفي سنام بعيره بدم ما ذبحوه على شكل مثلث إيذانًا بأنه من الرجال المعتنى بشأنهم بين قبائل العرب من الأماجد الأعزة (٣١).

وعلى الدم اجتمع سادة الجاهلية متحالفين، إذ كانوا يحضرون جفنة مملوءة بالدم فيدخلون فيها أيديهم ليتم تأكيد ولائهم بعضهم لبعض. وتسمى هذه العادة عندهم "تقريب الدم"؛ وهو ما أشار إليه صاحب الأغاني في روايته لخبر جساس والهجرس بن كليب (٣٢). فكان إحضار الدم وغمس اليد فيه ميثاقًا ملزمًا لكل الأطراف عندهم. وهو ما فعله من سموا بلعقة الدم، وهم الأحلاف في الجاهلية "والأحلاف: بنو عبد الدار، وبنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو سهم، وبنوعدي. نحروا جزورا فغمسوا أيديهم في دمائها، وتحالفوا، فسموا لعقة الدم" (٣٣).

وكانت ولادة الغلام في الجاهلية مناسبة للذبح، والقيام

الدم لدى الجاهليين مصدر حياة، فهو وقت الجدب طعام الفقراء، وفي حال المرض دواء المرضى والنساء المقاليت، وبه يتبرك الرامي بسهامه إذ يرمي، وحوله يجتمع المتحالفون لحماية أنفسهم وأموالهم

بتقاليد خاصة بدماء الذبيحة. فقد ورد في سنن أبي داوود عن أبي بريدة قال: كنا في الجاهلية إذ ولد لأحدنا غلام ذبح شاة، ولطخ رأسه بدمها، فلما جاء الله بالإسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه، ونلطخه بزعفران" (٣٤). وكان قتادة إذا سئل عن الدم كيف يصنع به؟ قال: إذا ذبحت العقيقة أخذت منها صوفة واستقبلت بها أوداجها، ثم توضع على يافوخ الصبي ليسيل على رأسه مثل الخيط، ثم يغسل على رأسه بعد، ويحلق" (٣٥).

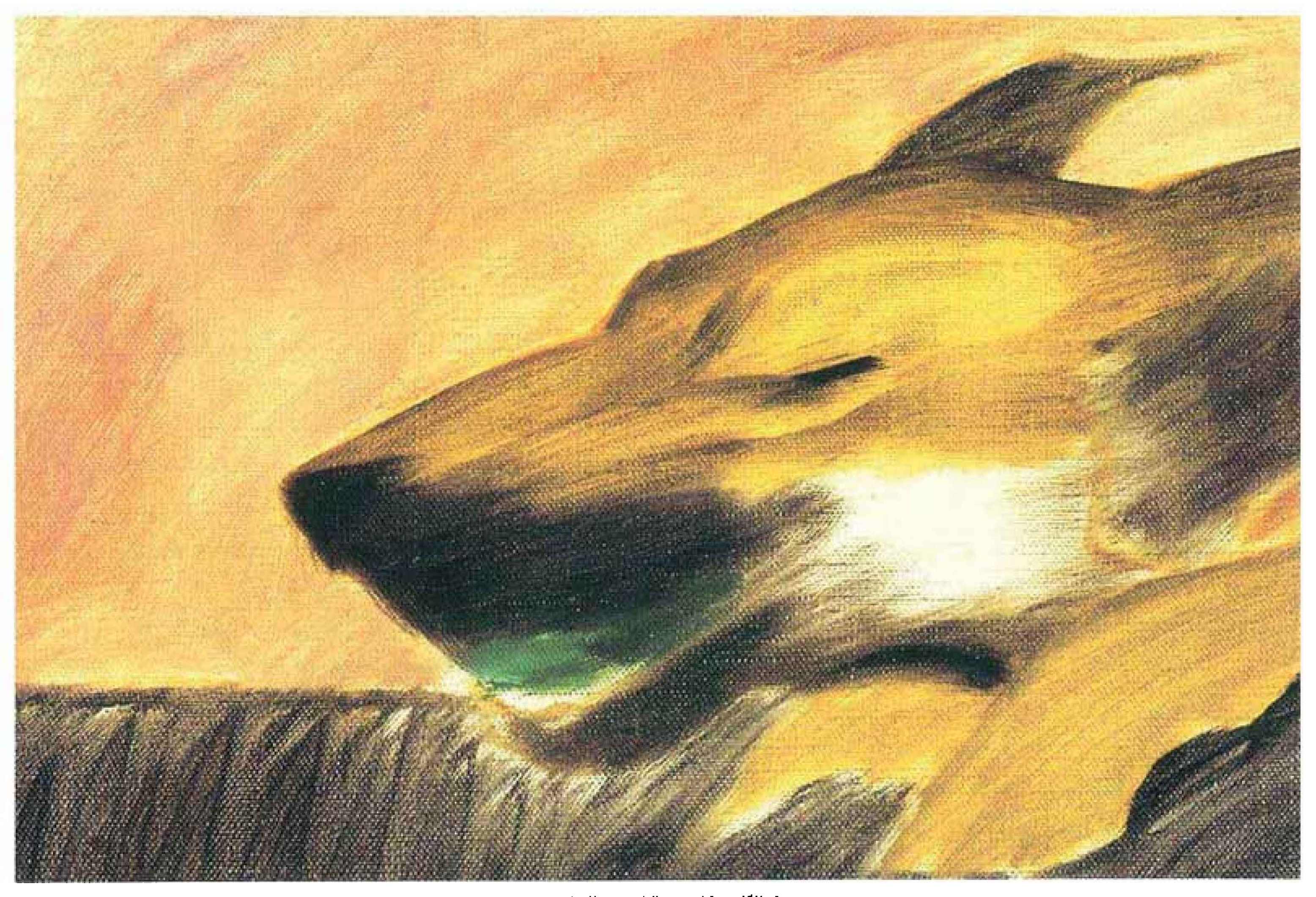
وارتبطت بعض الأماكن زمن الجاهلية بالدم وما يرمز إليه من قتل وسفك، منها مكان يقال له: "ساتي دما". وقد ذكره الأعشى في إحدى قصائده، في معرض ذكر استرجاع هرقل الشام من الفرس بعد أن ملكوها، يقول:

وهرقلا يوم ساتيدمى
من بني بُرجان في البأس زَجَحْ (٣٦)

وفي أخبارهم أن "ساتي دما: اسم جبل، يقال: سمي بذلك لأنه ليس من يوم إلا ويسفك عليه دم، كأنهما اسمان جعلا اسمًا واحدًا؛ وأنشد سيبويه لعمرو بن قميئة:

لما رأت ساتي دما إستعبرت
لله در، اليوم من لامها !" (٣٧)

واقترن مكان آخر يسمى "الغريّين" بالدم وسفكه جورًا. وقد ورد خبر هذا المكان مرتبطا بشخصين: أحدهما يدعى عمرو بن مسعود، والآخر خالد بن المضلل. ومما يروى أنهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فوقع بينهما وبين الملك خلاف في الرأي فغضب، فأمر بقتلهما، وقيل: بل أمر بدفنهما حيّين، فلما أصبح وصحا من سكره سأل عنهما، فأخبر بما تم فيهما "فندم على فعله، فأمر بإبل فنحرت على قبريهما، وغري بدمائها قبراهما إعظامًا لهما، وحزن عليهما، وبنى الغريّين فوق قبريهما" (٣٨). ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الملك المنذر "جعل لنفسه يومين في السنة



داء الكلب يشفيه دم الشريف إذا مات

يجلس فيهما عند الغريين، يسمى أحدهما يوم نعيم، والآخر يوم بؤس، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مئة من الإبل شومًا، أي: سودًا، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان أسود، ثم يأمر به، فيذبح، ويغرى بدمه الغريان، فلبث بذلك برهة من دهره [٣٩].

دمـــاء ومعتقـــدات

ثم إن موت قريب لأية امرأة سواء كان أبا أو أخًا أو زوجًا أو ابنًا، كان مناسبة للتعبير عن الحزن ولوعة الفراق. ولم تجد الجاهليات سبيلا للإفصاح عن تلك المشاعر غير إيذاء الذات بوسيلة اللطم والخمش: أي: إراقة الدم من الوجه. قال سلامة بن جندل مصورًا حال المرأة التي قتل ابنها:

وأم بجـــيـــر في تمارس بيننا
متى تأتها الأنباء تخمش وتحلق [٤٠]

ويعبر لبيد عن التقليد نفسه في رثاء عمه أبي البراء المشهور "بملاعب الأسنة" يقول:

قـــومـــا تجـــوبان مع الأنـــواح
في مـــأتم مـــهـــجّـــر الـــرواح
يخـــمـــشن حُـــرّ أوجـــه صـــحـــاح
في السُّلُب الســود والأمـــســـاح
وأبّنـــا مـــــــلاعـــب الـــرمـــاح [٤١]

وكان إظهار الدم للعيان واجبًا على الأرملة خاصة، يتم وفق تقاليد الحداد المتعارف عليها، فكانت المرأة إذا مات زوجها، حلقت رأسها، وخمشت وجهها، وحمرت قطنة من دم نفسها، ووضعتها على رأسها، وأخرجت

طرف قطنتها من خرق قناعها ليعلم الناس انها مصابة. ويسمى ذلك : "السقاب" ومنه قول الخنساء:

لما استبانت أن صاحبها ثوى

حلقت وعلّت رأسها بسقاب (٤٢)

واعتقد الجاهليون أن لدم حيض النساء خاصية سحرية. فهو مما يتحصن به المرء من الجن ويتقي أذاهم، فشاع بينهم ما سمي "بالتجيس" وهو: تعويذة خاصة يقوم بها المعوذ حتى قيل "للمعوذ منجس، وكان أهل الجاهلية يعلقون على الصبي. ومن يخاف عليه عيون الجن الأقذار من خرق المحيض. ويقولون: الجن لا تقربها" (٤٣).

قال حسان بن ثابت:

"وجارية ملبونة، ومنجّس

وطارقة في طرقها لم تسدد

يصف أهل الجاهلية أنهم كانوا بين متكهن وحداس وراق ومنجس ومتنجم حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم" (٤٤).

أما الرجال فقد توسلوا بكعب الأرنب تميمة واقية من مس الجن. قال الألوسي: "كانت العرب في الجاهلية تقول: من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا نفس ولا سحر. وكانت عليه واقية من الجن تهرب منها للحيض ولا تمتطيها" (٤٥). ويتبدى هذا المعتقد الجاهلي بوضوح في قول امرئ القيس معيرًا رجلاً جبانًا أتى يخطب اخته هندًا:

مرسّعة بين أرساغه

به عَسَمٌ يبتغي أرنبا

ليجعل في كفه كعبها

حذارَ المنيةِ أن يُعَطبا (٤٦)

ويكشف الشعر الجاهلي عن إيمان الجاهليين بكون دماء الأعداء تتمايز، ولا يختلط بعضها ببعض بسبب الضغينة بينهم، وهو ما عبر عنه المتلمس مخاطبًا الحارث بن التوام اليشكري:

أحارث إنا لوتساط دماؤنا

تزايلن حتى لا يمسّ دمٌ دما (٤٧)

وميزوا بعض الدماء عن بعض بحسب شرف صاحبها ومنزلته في قومه. فدم الحسيب النسيب فيهم له طاقة سحرية خاصة تهب الحياة ما دامت في رأيهم تخلّص المقلات (وهي التي لا يعيش لها ولد) من معاناتها إن هي وطات دم القتيل. وقد صور بشر بن أبي خازم الشاعر الجاهلي مشهد مقتل ابن ضباء، وكان شريفًا في قومه فلم تفته الإشارة إلى هذا المعتقد، إذ يقول:

تظل مقاليت النساء يطأنه

يقلن الا يُلقَى على المرء مئزرُ؟ (٤٨)

وقد أوحى تقديس الجاهليين دماء شرفائهم لهم بأنها ذات خاصية علاجية. يقول مالك بن حريم:

نُريد بني خيفانَ إنّ دماءهم

شفاء، و ما والى زبيد وجمّعا (٤٩)

والمرض الذي يشفيه دم الشرفاء في اعتقادهم هو: "داء الكلب" قال الميداني: "تزعم العرب أن من كان به كلب من عض الكَلْب الكَلِب. - وهو شيء شبيه بالجنون يعتري من عضه ذلك الكلب - ثم إذا سقي دماء الملوك شفي" (٥٠). لذلك كان من أمثالهم: "دماء الملوك أشفى من الكلب" (٥١). ويتم تحضير هذا الدواء بقطرة من دم هؤلاء، تخلط بماء فيسقاه المريض. وهذا عتيبة بن

للدم عند الجاهليين خصوصية تكشف عنها اللغة نفسها. إذ يتضح من خلال أشعارهم واستعمالاتهم اللغوية أن للدم معجمًا متميزًا. فهذا العنصر الحيوي يتغير بتغير لونه وصفته. ومحل وجوده

مرداس يعبر عن امتنانه لابن المحل؛ لأنه وهب له من دمه ما يزعم أنه أبراه، فظهرت له علامات الشفاء المتمثلة في خروج أجرى الكلاب منه علقا مثل صور النمل. يقول:

ولولا دواء ابن المحل وعلمه
هررت إذا ما الناس هرّ كليبها
وأخرج بعد الله أولاد زارع
مولعة أكتافها وجنوبها [٣٢]

دماء وذبائح شائعة

كان الخوف من المجهول أحد هواجس الجاهلي الذي آمن بوجود مخلوقات غريبة أسماها "الجن". وآمن بقدرتها على إيذاء البشر؛ لذلك ابتدع شعائر لدرء الشرور عنه فتوسل بذبائح يريق دماءها على ممتلكاته، وسماها "ذبائح الجن". قال ابن منظور: كانوا إذا اشتروا دارًا، أو استخرجوا عينًا، أو بنوا بنيانًا ذبحوا ذبيحة؛ مخافة أن تصيبهم الجن فأضيفت الذبائح إليهم بذلك [٣٣].

وقد قدس الجاهلي مكة المكرمة والبيت الحرام، وعبر عن ذلك بنذر النذور، وذبح الذبائح للبيت، وسمّاها نسكًا ونسيكة وهديًا وبدنًا؛ لأنها كانت تسمن. وكانت النوق المهداة للكعبة ذات خصوصية مميزة لها من غيرها، فبخروجها من مكان انطلاقها كانت تقلد، أي توسم بقلائد من جلد. وكان سنام الناقة يحز حتى يسيل منه الدم، فإذا رآه المحلون كفوا أذاهم عن صاحبها احترامًا لما يقوم به من شعائر. يقول المرزوقي: كان الرجل إذا خرج من بيته حاجًا أو داجًا (أي متاجرا في الأشهر الحرم)، أهدى، وأحرم، ثم قلد وأشعر (..) فيكون ذلك أمانًا له من المحلين [٣٤].

وكان الذبح يتم بمنى. وقد ضمّن ذلك الشنفرى في بعض شعره، ومما يستحق الذكر هنا أن الشاعر يفخر بخروجه عن أعراف الجاهليين إشارة إلى شدة بأسه، فقد قتل قاتل أبيه بمنى مع أن هذا الأخير كان حاجًا يقدم الهدي، وهذا لا يجوز في عرف الجاهلية:

قتلت حزامًا مهديًا بملبد
ببطن منى وسط الحجيج المصوت [٣٥]

وقد اعتاد الجاهليون أن يقسموا بما يعظمونه، ومنه الإبل التي تنحر بمنى للبيت الحرام. قال الحارث بن عباد غاضبًا:

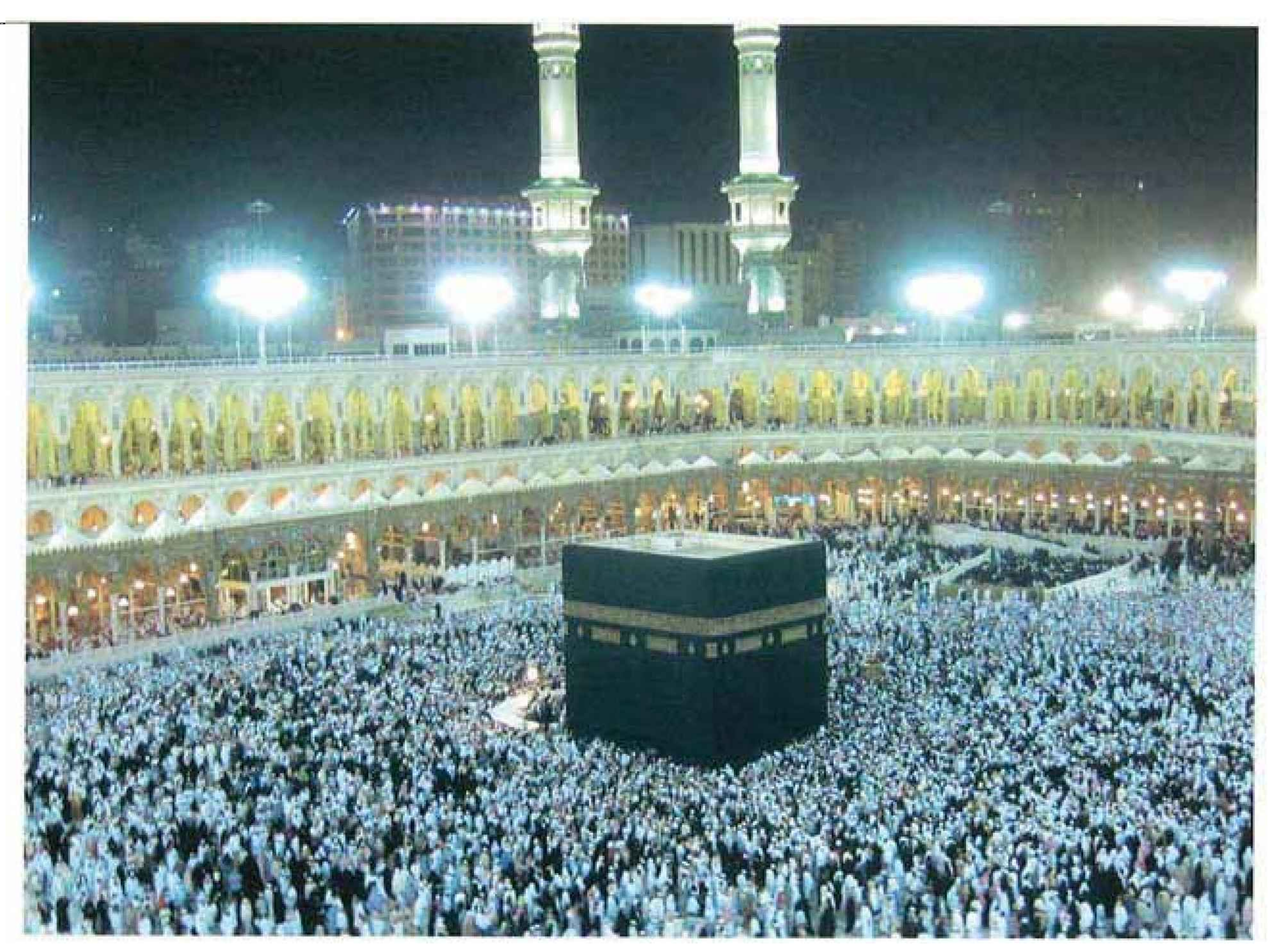
أفبعد مقتلكم بُجَيْرًا عنوة
ترجون ودًا آخر الأيام
كلا ورب الراقصات إلى منى
كلا وربّ الحِلّ والإحرام [٣٦].

ويبدو أن المكان الذي يدعى بمنى، وتذبح فيه الذبائح سمي كذلك بسبب ما يمنى به من دماء؛ أي: يراق.

وكانت للأصنام مكانة عظيمة في نفوس الجاهليين، مثل مكانة الكعبة أو أشد؛ لذلك كانوا يقدمون لها الذبائح، ويقسمون بها، كما يذبحون للكعبة، ويقسمون بها. قال مهلهل بن ربيعة متوعدًا:

قتلوا كليبًا ثم قالوا ارتعوا
كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا
كلا وأنصاب لنا عادية
معبودة قد قطعت تقطيعا
حتى أبيد قبيلة وقبيلة
وقبيلة وقبيلتين جميعا [٣٧]

على الدم اجتمع سادة الجاهلية متحالفين؛ إذ كانوا يحضرون جفنة مملوءة بالدم فيدخلون فيها أيديهم ليتم تأكيد ولائهم بعضهم لبعض. وتسمى هذه العادة عندهم "تقريب الدم"



قدّس الجاهليون مكة المكرمة والبيت الحرام، وعبروا عن ذلك بنذر النذور وذبح الذبائح

قال صاحب بلوغ الأرب: كانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال، وتتخذ عيدًا ثلاثة: اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى (..) وأما العزى فقد كانت لأهل مكة قريبًا من عرفات، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عقب فتح مكة فأزالها (..) وكانت لهم مواسم في السنة مخصوصة للاجتماع في هذه الثلاثة، وكانت العرب تقصدها من كل فج، وتعظمها كتعظيم الكعبة، وكان لها سدنة وحجاب، وكانوا يهدون إليها كما يهدون للكعبة، ويطوفون بها، وينحرون عندها مع اعترافهم بفضل الكعبة عليها، وكان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة (..) كانوا يلبسونه القلائد، ويجعلون عليه بيض النعام، ويذبحون عنده (٥٨).

أما طريقة تأديتهم لتلك الشعائر فتتم بذبح الذبيحة عند المذبح، ويخضب رأس الصنم بدمها. وكثيرًا ما استهوت صورة هذه النصب، وقد دمي راسها بدماء الذبائح، شعراء الجاهلية، فشبهوا بها رأس الصقر الكثير الصيد حيث يتخضب بدم طريدته. يقول زهير ابن أبي سلمى مثلاً:

فزل عنها، ووافى رأس مرقبة

كمنصب العتر دمّى رأسه النسكُ (٥٩)

وسميت الأصنام في عرفهم دمى: لأنها تدمى بدماء

الذبائح. وقد كان الإقدام على الزواج أو على ختان الصبيان مناسبة لتقديم ذبيحة لهبل (٦٠).

وأطلق الجاهليون على بعض الذبائح أسماء خاصة. فمن أسمائها "الفرع" وورد في أمثالهم: "أول الصيد فرع" (٦١). والفرع أول ما تلده الناقة. وكان يذبح لآلهتهم (٦٢). والظاهر أن غرضهم من ذلك هو تكثير نسل نوقهم. وكان هذا التقليد يتم في سياق احتفالي وجمالي. جاء في مجمع الأمثال للميداني: "كانوا إذا أرادوا نحره زينوه وألبسوه" (٦٣). وسمى الجاهليون ذبائح شهر رجب "بالرجبية" أو "العتيرة". وتسمى عملية الذبح بالعتر. وإليها أشار علقمة الفحل قائلاً:

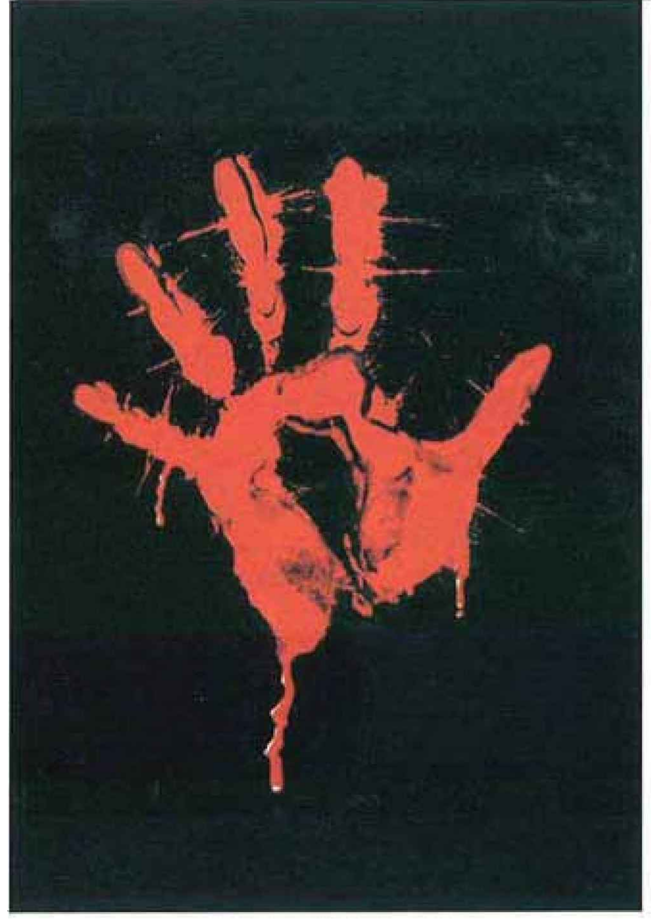
وقــرت لهم عــيني بيــوم خُــذُنَّة
كــأنهـم تذبيـح شــاء مُــعَــتَّــر
عـــمـــدتم إلى شلو تنوذر قـــبلكم
كثير عظام الراس ضخم المُذَمَّرِ (٦٤).

وتجدر الإشارة إلى أن العتر ارتبط بالنذر. وهو ما يستشف من قول الحارث بن حلزة:

عنتــا باطلا وظلمــا كــمــا تعـ
تر عن حجرة الربيض الظباء (٦٥).

فهذا البيت يستحضر تقليداً معروفاً لدى الجاهليين؛ ذلك أن العرب في الجاهلية "كانت إذا طلب أحدهم أمرًا نذر لئن ظفر به ليذبحنّ من غنمه في رجب كذا وكذا.

قدس الجاهلي مكة المكرمة والبيت الحرام. وعبر عن ذلك بنذر النذور، وذبح الذبائح للبيت، وسمّاها نسكًا ونسيكة وهديًا وبدنًا؛ لأنها كانت تسمن. وكانت النوق المهداة للكعبة ذات خصوصية مميزة لها من غيرها



للدم معان مختلفة عند الجاهليين

وهي العتائر أيضًا. فإذا ظفر فربما ضاقت نفسه عن ذلك، وضن بغنمه، وهي الربيض. فيأخذ عددها ظباء فيذبحها في رجب مكان تلك الغنم. كأن تلك عتائره فضرب هذا مثلاً" (٦٦).

وقد ورد النهي الصريح في الحديث النبوي الشريف عن الفرع والعتيرة في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا فرع ولا عتيرة" (٦٧).

وأراق الجاهليون الدماء على قبور موتاهم أيضًا. وسموا تلك الذبيحة عقيرة "ففي حديث عبد الرزاق: كانوا في الجاهلية يعقرون عند القبر بقرة أو ناقة أو شاة ويسمون العقيرة بلية" (٦٨).

وبالإجمال فإن الدم اقترن في فكر الجاهليين في أحيان كثيرة بالموت، لكنه اقترن ويا للطرافة! ببعث روح الحياة من جديد. إن الدم لدى الجاهليين مصدر حياة، فهو وقت الجدب طعام الفقراء، وفي حال المرض دواء المرضى والنساء المقاليت، وبه يتبرك الرامي بسهامه إذ يرمي، وحوله يجتمع المتحالفون لحماية أنفسهم وأموالهم؛ مما يعني رغبة دفينة لدى عرب الجاهلية في البحث عن الحياة والأمن في صلب ما يحيل على الموت والعنف. وهو ما يزكيه تقليد ابتدعه الجاهليون للحد من ظاهرة القتل للثأر: قال ابن الأعرابي: أصل هذا أن يقتل الرجل رجلاً من قبيلة فيطلب القاتل بدمه، فيجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية

المراجع

١. ديوان أوس بن حجر. تحقيق. محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت ١٩٧٩م. ص٤٧.
٢. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد الله البكري، تحقيق وتقديم، د: إحسان عباس ود. عبدالمجيد عابدين. دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧١م، ص٥١٣.
٣. ديوان طرفة بن العبد. شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧. ص١٦.
٤. لسان العرب لابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: ٢، ١٩٩٧م. مادة (نجع).
٥. نفسه (جدي).
٦. نفسه (جلب).
٧. نفسه (نثع).
٨. نفسه (نمر).
٩. نفسه (عرف).
١٠. نفسه (نفص).
١١. المعاني الكبير في أبيات المعاني لأبي عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١. ١٩٨٤م. ص٤٨٤.
١٢. اللسان: (روب).
١٣. نفسه: (حيا).
١٤. نفسه: (روح).
١٥. فصل المقال، ص٢٣٣.
١٦. مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة: ٢، ١٩٥٩م ج١/٢٦٥.
١٧. شعر السموأل، تحقيق عيسى سابا، مطبعة المناهل، بيروت، ١٩٥١م، ص٤٧.
١٨. شرح الفصيح للزمخشري، تحقيق ودراسة د: عبد الله بن جمهور الغامدي، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية. ج١/١٣٩.
١٩. ديوان أوس بن حجر، ص٤٧.
٢٠. ديوان الأعشى، شرح و تحقيق د: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م. ص٢٨١.
٢١. مجمع الأمثال: ج٢/١٩٢.
٢٢. ديوان الأعشى: ٢٣٧، النيب: النوق المسنة.
٢٣. مجمع الأمثال: ٢/١٩٢.
٢٤. المعاني الكبير: ٤٣٦.
٢٥. اللسان: (فصد).
٢٦. نفسه: (ولغ).
٢٧. شرح الفصيح: ج٢/٥٧١.
٢٨. مجمع الأمثال: ج١/٣١١.
٢٩. المعاني الكبير: ٢٣١.
٣٠. نفسه.
٣١. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، دت. ج٢/١٨.
٣٢. كان جساس قد قتل زوج أخته كليبًا في حرب البسوس الشهيرة، وعادت جليلة أخت جساس لقومها فأنجبت فيهم الهجرس بن كليب الذي شب فيهم. وحاول خاله ثنيه عن الثأر لأبيه، واستمالته للدخول في حلف قوم أمه، فقال لقومه: هذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه، ويعقد ما عقدتم، فلما قربوا الدم، وقاموا إلى العقد، أخذ الهجرس بوسط رمحه، ثم قال: وفرسي وأذنيه؛ ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثم طعن جساسا فقتله. انظر الأغاني ج٥/٦٢.
٣٣. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، ط: ١، ١٩٩٢م، ج٣/٤٦٦.
٣٤. سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد

مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية. فإن كان أولياؤه ذوي قوة أبوا ذلك، وإلا قالوا لهم: بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي فيقول الآخرون: ما علامتكم؟ فيقولون: أن نأخذ سهمًا فنرمي به نحو السماء، فإن رجع إلينا مضرجا بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية. وإن رجع كما صعد، فقد أمرنا بأخذها، وحينئذ مسحوا لحاهم، وصالحوا على الدية. وكان مسح اللحية علامة صلح (٦٩).

هذا التقليد الذي عرف باسم "سهم التعقية" أو "سهم الاعتذار" يدل على سذاجة الجاهليين حقا، لكنه يشهد على أن الجاهلي تعب من إراقة الدماء في أحيان كثيرة، وتطلع إلى حقنها، مستجيبا بذلك لإغراء الحياة بعد إذ استسلم طويلا لداعي الموت.

الحميد، دار الفكر، د.ت. ج٣/١٠٧.

٣٥. اللسان: (دمي).

٣٦. ديوان الأعشى: ٢٨٩.

٣٧. اللسان: (دمي).

٣٨. الأغاني: ج ٢٢/٢٣٣.

٣٩. نفسه: ج٢٢/٢٣٩.

٤٠. الأصمعيات: للأصمعي تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، بيروت، ط٥، دت، ص:١٣٥.

٤١. شرح ديوان لبيد بن ربيعة. تحقيق د: إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، مصورة. ١٩٨٤م، ص:٣٣٢.

٤٢. اللسان: (سقب).

٤٣. نفسه: (نجس).

٤٤. نفسه.

٤٥. المعاني الكبير ٢٦٧.

٤٦. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٤م، ص ١٢٨، المرسعة: مثل المعاذة. العسم: يبس الرسغ واعوجاجه.

٤٧. الأصمعيات:٢٤٥، تساط: تحلط.

٤٨. ديوان بشر بن أبي حازم، تحقيق د: عزة حسن، دار الشرق العربي، لبنان، سورية. ١٩٩٥م، ص: ٢٧.

٤٩. الأصمعيات:٦٥.

٥٠. مجمع الأمثال. ج ١/٢٧١، ٢٧٢.

٥١. نفسه.

٥٢. المعاني الكبير. ٢٤٢، أولاد زارع: الكلاب.

٥٣. اللسان (ذبح).

٥٤. نقلا عن أسواق العرب، عرفان محمد حمور، دار الشورى، بيروت، ١٩٧٩م، ص: ٩٠.

٥٥. ديوان الشنفرى. إعداد طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص: ٤١ مهديًا: مقدما الهدي في الحج. الملبد: مكان التلبد، وكان من عادتهم أن يدهنوا شعورهم بشيء من الصمغ لتتلبد. المصوت: الذي يجهر بالكلام.

٥٦. ديوان الحارث بن حلزة، إعداد طلال حرب، دار العالمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ص٩٧. الراقصات: النوق المتمايلة.

٥٧. ديوان مهلهل بن ربيعة إعداد: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص ٤٨.

٥٨. بلوغ الأرب، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧.

٥٩. ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة: أبي العباس ثعلب، تحقيق د: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م، ص: ١٢٥، مرقبة: مكان مرتفع تتم منه المراقبة.

٦٠. الأصنام للكلبي. تحقيق د: محمد عبد القادر احمد، واحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٨، وتاريخ الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤، ١٩٧٩م، ج٣/١٤١.

٦١. مجمع الأمثال: ج١/٢٥.

٦٢. المعاني الكبير: ١٩٠.

٦٣. مجمع الأمثال. ١/٢٥، ٢٦.

٦٤. ديوان علقمة الفحل: تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٦٩م.

٦٥. ديوان الحارث بن حلزة: ٤٦.

٦٦. اللسان. (عتر).

٦٧. صحيح البخاري بشرح الكرماني- المطبعة البهية، مصر، ١٩٣٧م، ج ٢٠/ ٧٤، ٧٥.

٦٨. اللسان: (بلا).

٦٩. بلوغ الأرب: ج ٣/ ١٨، ١٩.



تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في أوزبكستان

مرتضى سيد عمر

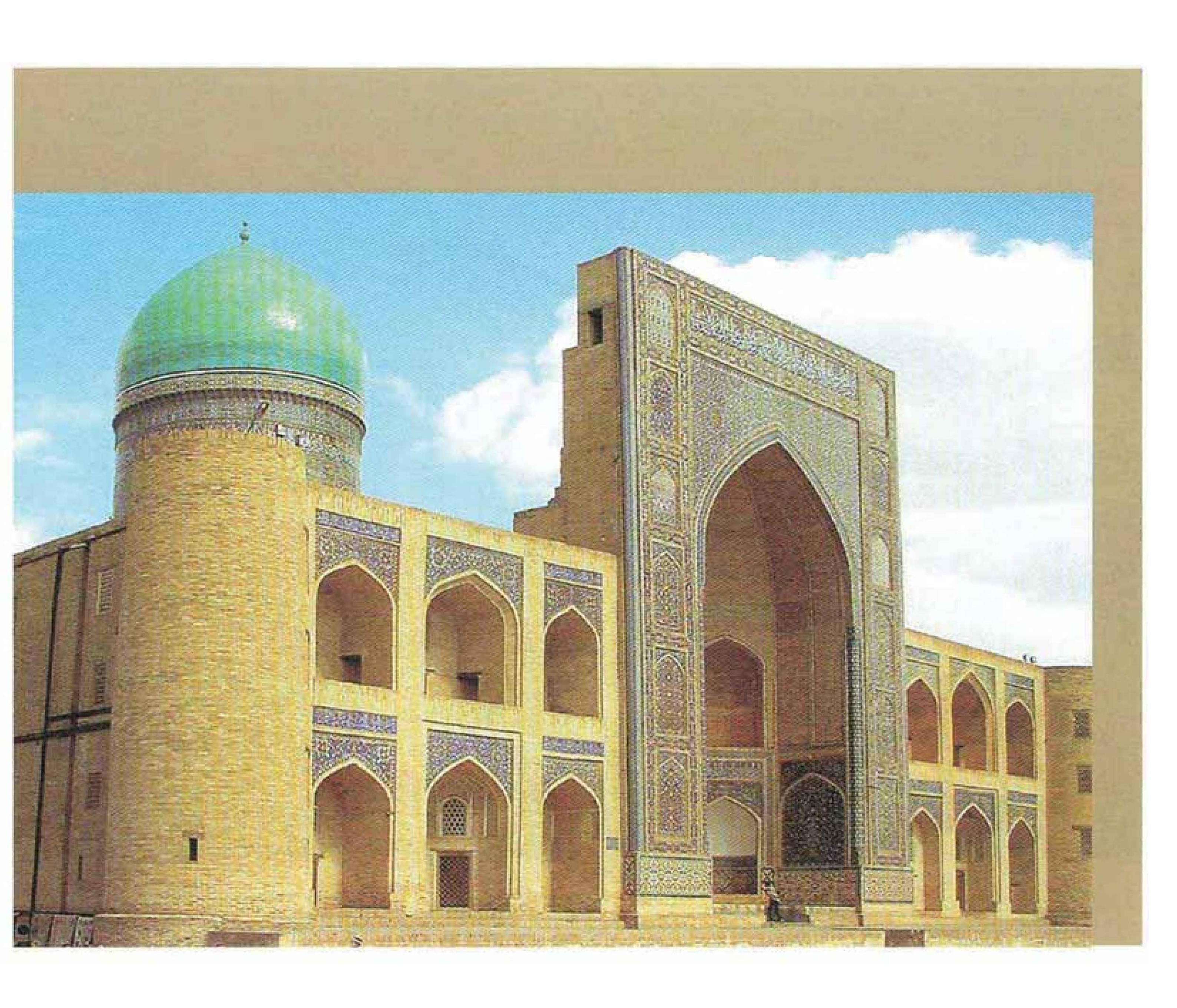
الرياض ـ السعودية

نحمد الله تعالى أن جمهورية أوزبكستان ظلت تعيش ١٤ عاماً في عهد الاستقلال. وقد جاء هذا الاستقلال بتغيرات كثيرة في حياة المسلمين. وشملت هذه التغيرات الإيجابية مختلف جوانب المجتمع الأوزبكي. وتجدر الإشارة إلى أن الشعب الأوزبكي تيسر له أن يعبر عن حبه لدين الإسلام بشكل علني. قال الله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ الضحى:١١.وبعد الاستقلال منح الناس الحق في حرية الاعتناق. وتوقفت دعاية الإلحاد. وقد توافرت الظروف للعبادة. وتم إحياء القيم الإسلامية. وأعيدت مباني المساجد والمدارس. والآثار الإسلامية التاريخية للمسلمين

لأنها كانت مغلقة أو كانت تستخدم لأغراض أخرى في عهد السوفييت. وفي الوقت الحاضر يوجد نحو ألفي مسجد. وتتوافر جميع الظروف المطلوبة لأداء المسلمين واجباتهم الدينية.

وفي سنوات الاستقلال زاد الاهتمام بالثقافة الإسلامية. وفي الوقت الحاضر يتم تعليم الثقافة الإسلامية واللغة العربية في المدارس والمعاهد والجامعات الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي، وفي المدارس والمعاهد المتوسطة والعالية التابعة للإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان.

يدرس الطلاب والطالبات في معهد الإمام البخاري الإسلامي العالي، والمعاهد الإسلامية المتوسطة العشرة، ومنها معهدان للبنات. تابعان للإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان. وهذه المعاهد هي: معهد «كوكالداش» بطشقند. ومعهد «مير عرب» في بخارى، معهد «السيد محيي الدين مخضوم» في أنديجان. ومعهد «الملا قيرغيز» في نَمَنْغان، ومعهد «خواجه البخاري في كتاب»، ومعهد فخر الدين الرازي في خوارزم، ومعهد البيروني



في قراقلباغستان، ومركز الإمام البخاري في سمرقند لعلوم الحديث، وكذلك معهد خديجة الكبرى للبنات في طشقند، ومعهد «جويباري كلان» للبنات في بخارى.

ويدرس الطلاب والطالبات في هذه المعاهد مواد الثقافة الإسلامية، وتاريخ الإسلام، والقرآن الكريم، والعقائد الإسلامية، وعلوم الحديث، والفقه الإسلامي وكذلك المواد الحديثة. ومن المتوقع افتتاح المعهد الإسلامي المتوسط الجديد في شارع برهان الدين المرغيناني في مدينة مرغيلان في وقت قريب.

نود أن نتوقف عند بعض هذه المعاهد الإسلامية. وأحدها هو معهد كوكالداش في طشقند. ويسمى بالأوزبكية «مدرسة كوكالداش»(١). وبعد الاستقلال تم تحويل مدرسة كوكالداش من تصرف الحكومة إلى الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان للإشراف عليها.

وفي الحقيقة، من يزر طشقند يرغب في زيارة مدرسة كوكالداش، وهي من أقدم آثار الهندسة المعمارية الرائعة، التي تنتسب إلى الآثار التاريخية الكثيرة الخاصة بالحضارة الإسلامية الموجودة في طشقند.



معهد الإمام البخاري الإسلامي العالي بطشقند

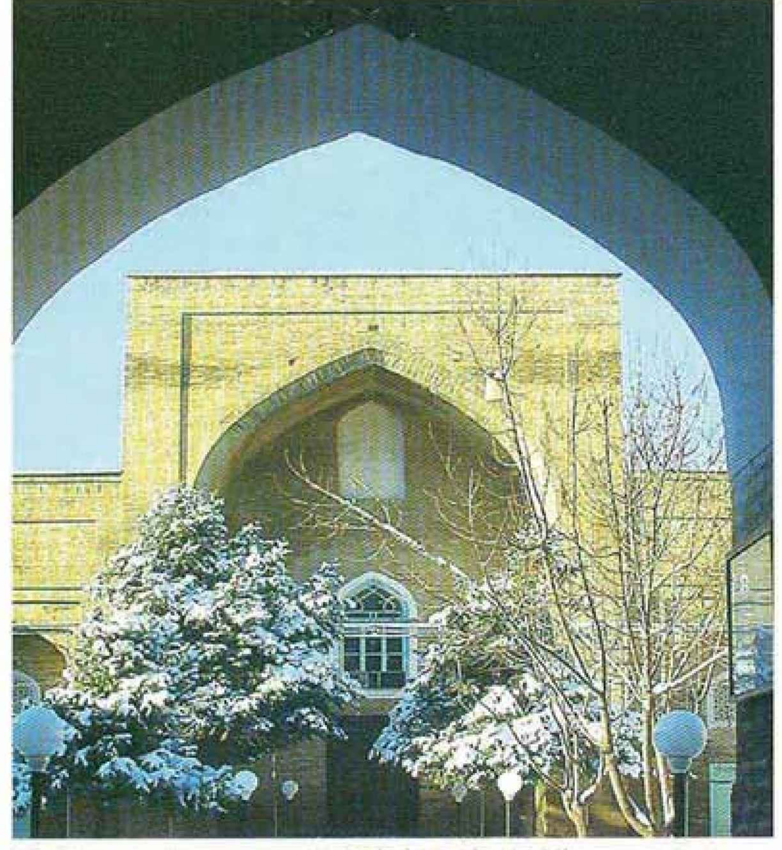
هذه المدرسة لها أهمية كمعهد قديم للعلوم في طشقند، ويعدّ مبنى المدرسة من اجمل نماذج الهندسة المعمارية الإسلامية.

يذكر محمد صالح قارا خواجه في كتابه «التاريخ الجديد لطشقند» مدرسة كوكالداش ويذكر أن درويش خان بناها عام ١٥٦٩ - ١٥٧٠م، وسماها باسم «مدرسة درويش خان».

تم بناء المدرسة في تلال مرتفعة بجانب مسجد جامع خواجه أحرار والي، ويقولون إن قوافل التجار والسياح في ليالي الظلام كانت تتجه إلى مدرسة كوكالداش المنيرة بمصابيح.

بنيت المدرسة بأسلوب الهندسة المعمارية التقليدية، وساحتها العريضة المستطيلة محاطة بسقيفة، ويبلغ عدد غرفها ١١٤ غرفة. كما يذكر في المصادر التاريخية أن المدرسة كانت عبارة عن ثلاثة طوابق. والجهة

يحصل خريجو مدرسة "ميري عرب" ببخارى، ومدرسة "كوكالداش" بطشقند، والمدارس الإسلامية الأخرى على مؤهل "إمام خطيب". ويتم الاعتراف بشهادات هذه المعاهد الإسلامية من قبل الدولة



الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان

الأمامية تتجه إلى الجنوب، ويقع المسجد في اليمين من مدخل المدرسة، وفي اليسار غرف التدريس، وكانت القبة على مبنى المسجد، وكذلك كانت القباب على غرف التدريس، وقام المعماريون بتزيين الجهة الأمامية للمدرسة فقط، ويوجد قوسان في طرفي الجهة الأمامية المزينة بالنقوش المزركشة والملونة، وفي الطابق الثاني أيضا كانت غرف التدريس، وبقيت منها غرف التدريس في طرفي الجهة الأمامية.

تضررت المدرسة في أثناء الزلازل في عامي ١٨٦٦م و ١٨٨٨م كثيراً، وتمت إعادة بناء الجهة الأمامية، وسببت الهزة الأرضية عام ١٩٤٦م، أضراراً للمدرسة.

بعد الاستقلال تمت صيانة المدرسة وإعادة تشغيلها بشكل تام، وافتتحت عام ١٩٩٤م مسجدًا، وعام ١٩٩٩م أصبحت المدرسة معهدًا إسلاميًا متوسطًا، وفي الوقت الحاضر تتم صيانة الجهة الأمامية لمدخل المدرسة، وسوف تكتب عليها سورة الفاتحة.

وقد درس في هذه المدرسة كثير من العلماء والفضلاء، منهم الشاعر محمد أمين خواجة مقيمي الذي درس في طشقند عام ١٨٨٠م، ثم عام ١٨٩٠م مرة أخرى ودرس فيها، وكذلك تعلم في هذه المدرسة الشاعر ذاكرجان خال محمد اوغلي فُرْقتْ في أعوام ١٨٨٩، ١٨٩١م، وكذلك أقام حمزة حكيم زاده نيازي في غرفة من غرفها في عامي ١٩١٠ و١٩١١م، ودرس في هذه المدرسة الشاعر خِصْلتْ، والطون خان تورا (أول من قام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركستانية)، ويونس خان مقصودي، وضياء الدين خان بن إيشان باباخان، وغيرهم من العلماء والمثقفين.

وفي الوقت الحاضر يحمل جميع المدرسين في مدرسة كوكالداش شهادات جامعية، وقد درس بعضهم في جامعة الأزهر الشريف، وفي الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وفي الجامعة الإسلامية في باكستان، وأغلبية المدرسين في مدرسة كوكالداش هم أئمة وخطباء في المساجد الجوامع في طشقند.

> بعد الاستقلال منح الناس الحق في حرية الاعتناق، وتوقفت دعاية الإلحاد، وقد توافرت الظروف للعبادة، وتم إحياء القيم الإسلامية، وأعيدت مباني المساجد والمدارس، والآثار الإسلامية التاريخية للمسلمين



مدرسة "الملا قيرغيز" في نَمَنْغان

ويتلقى المدرســـون من وقت إلى آخـــر في المراحل المختلفة دورات تأهيلية في جامعة طشقند الإسلامية.

يدرس الطلبـــة علوم القـــرآن الكريم، والتـــجـــويد، والتفسيـــر، والحديث، وتاريخ الإسلام، واللغـــة العربية، والفقه، والعقائد، والعلوم الدينية الأخرى، والرياضيات، والجـــغـــرافـــيـــا، وعلم الفلك، والفـــيـــزيـــاء، والحـــاســـوب، واللغات الأجنبية: الإنجليزية، والروسية، والفارسية.

وقد شارك الطلاب المتفوقون في مسابقات دولية لحفظ القرآن الكريم، ومنهم حـــمـــيـــد الله تورغونوف الذي شارك في المسابقة الدولية للقرآن الكريم التي أقيمت في مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية، وشـــارك ســـامي خـــان إسرانيلوف في مـــســـابـــقـــة في جمهورية مصر العربية، وشارك عبد الناصر حُسانوف، وقاسم كريموف في مسابقة روسيا الاتحادية بنجاح.

وهناك معهد إسلامي متوسط آخر، وهو مدرسة

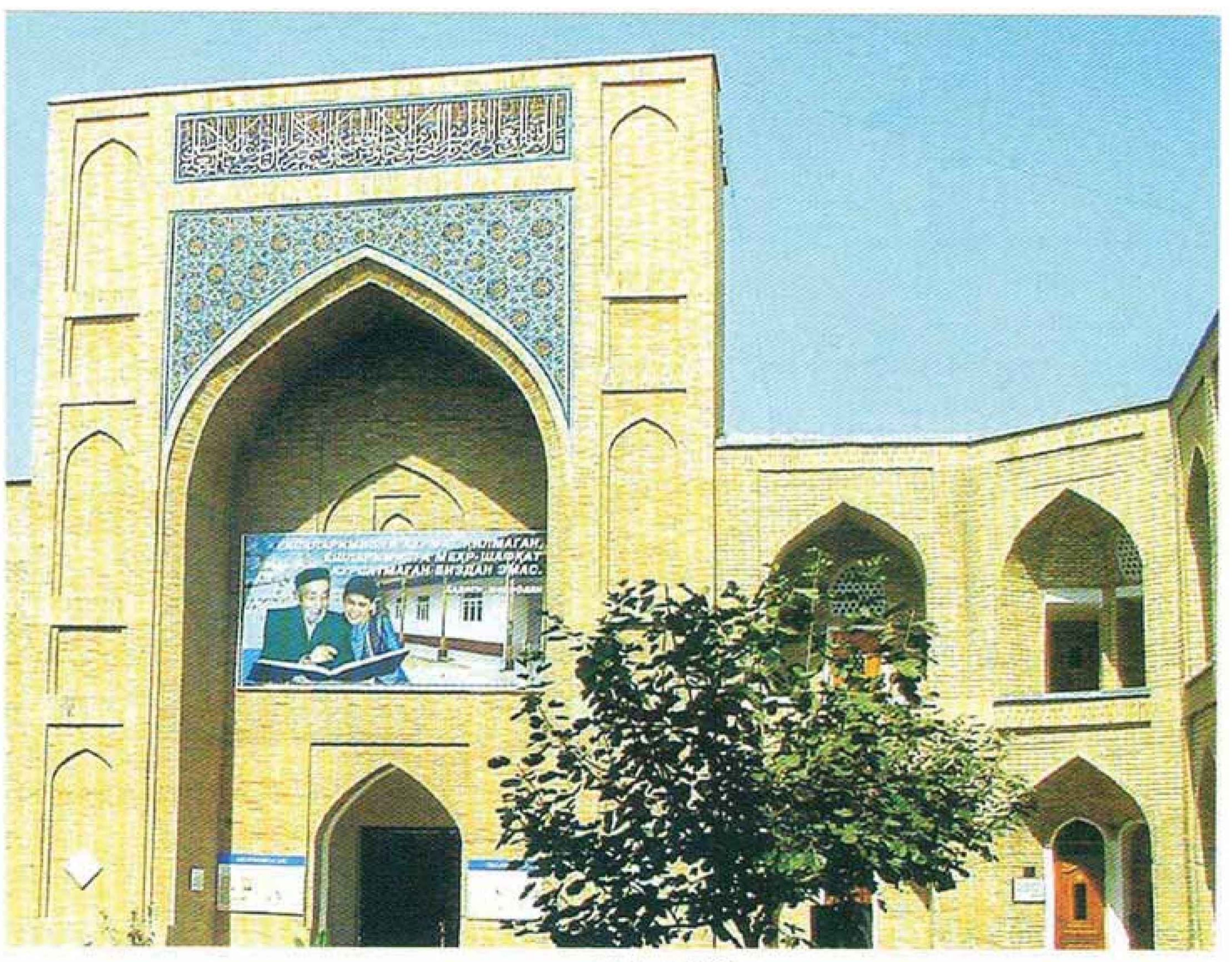
مـجلة "الهـداية" مـجلة دينيـة اجـتـمـاعـيـة علمـيـة وأدبـيـة تـصـدرها الإدارة الدينيـة شـهـرياً، ويصـل عـدد نسـخـهـا إلى ١٤ ألف نسـخـة، وتنـشـر المجلة المواد من تاريخ الإســلام، والسنة الـنـبـوية، والـفــقــه، والأمــر بالمعـروف والنـهي عن المنكر، والفلسـفـة الإسـلاميـة



«ميري عرب». وتنشر مدرسة «ميري عرب» نور العلم في الشرق والغرب منذ خمسمئة سنة تقريباً. وهي بنيت في السنوات ١٥٣٠ . ١٥٢٦م بمبلغ مالي أعطاه الشيخ «ميري عرب» لعبيد الله أمير بخارى. وكان اسم هذا الشخص الذي اشتهر في الشعب باسم «ميري عرب» (أي أمير العرب أو أمير عربي) السيد عبد الله اليماني، وتخلى عن المنصب، وجاء إلى سمرقند لطلب العلم، وتعرف إلى خواجه أحرار والي. وبعد وفاته عرّف ابنه محمد بكر السيد عبد الله اليماني بأمير بخارى، واشتهر السيد عبد الله اليماني بعلمه بين علماء بخارى، وقدّره أمير بخارى تقديراً عالياً.

ينظر الناس إلى مدرسة «ميري عرب» كبؤر العلم والمعرفة منذ أربعمئة وسبعين سنة، ودرس فيها الطلاب ليس من أوزبكستان، فحسب بل من أفغانستان وإيران، ودول آسيا الوسطى، وروسيا والصين. وأصبح كثير منهم علماء عصرنا. ونستطيع أن نتذكر بعض الذين درسوا في مدرسة «ميري عرب»، ومنهم القاضي عسكر أحد علماء الطريقة النقشبندية، والمفتي إيشان باباخان بن عبد المجيدخان مؤسس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان، وأول رؤوسها، وأستاذه الشيخ ميان مليك عالم التفسير والحديث، والمفتي إكرامجا، وسليمان خوجه، ودام الله عظامي، ودام الله قاسم، وكذلك الرؤساء السابقون للإدارة الدينية الشيخ مختار خان عبد الله، والشيخ عبد الغني عبد الله، والشيخ محمد صادق محمد يوسف، وكذلك رؤساء الإدارات الدينية في دول كومونولث، ومنهم الشيخ راويل غين الدين (روسيا)، والله شكور باشازاده (أذربيجان)، وطلعت تاج الدين (باشقردستان)، والرئيس السابق لجمهورية شيشان المرحوم أحمد حاجي قادروف، ورئيس الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية أوزبكستان المفتي عبد الرشيد قارئ بهراموف، وغيرهم من العلماء الآخرين.

وفي العهد السوفييتي توقف نشاط المدرسة عدة سنوات توقفاً إجبارياً. واستؤنف نشاطها عام ١٩٤٥م، وكانت المدرسة الدينية الوحيدة في الاتحاد السوفييتي السابق خلال أكثر من عشرين سنة. وفي الوقت الحاضر فيها أكثر من مئة طالب، يدرسون القرآن الكريم، والحديث الشريف، وتاريخ الإسلام، واللغة العربية (الصرف والنحو)، كذلك اللغة الإنجليزية، واللغة الروسية، والفيزياء، والرياضيات، والحاسوب، وغيرها من المواد الدينية والعلمية. ويسكن الطلبة في غرف مريحة بالمدرسة، ويتمتعون بالاستفادة من خدمة غرف التدريس، ومركز الحاسوب الموصول بالإنترنت. ويوجد في مكتبة المدرسة



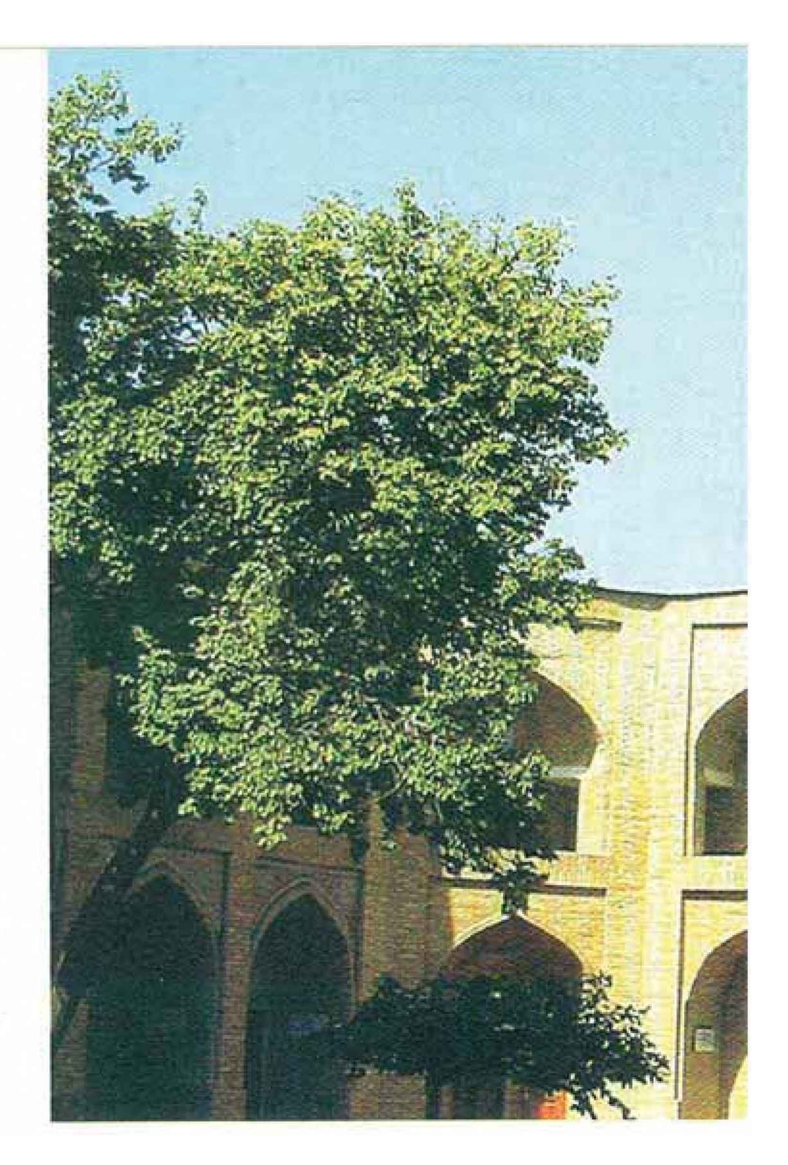
مدرسة كوكالداش بطشقند

أكثر من عشرين ألف كتاب. ومنها مخطوطات نادرة تعدّ من جواهر الثروة المعنوية الغنية ليس للشعب الأوزبكي فحسب، بل للأمة الإسلامية بأسرها.

ويواصل الطلبة المتفوقون في المدرسة دراستهم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الأزهر الشريف.

ولقد شارك طالب المدرسة تيمورجان نيازوف في مسابقة القرآن الكريم الدولية التي أقيمت في إيران.

يحصل خريجو مدرسة «ميري عرب» ببخارى، ومدرسة «كوكالداش» بطشقند، والمدارس الإسلامية الأخرى على مؤهل «إمام خطيب». ويتم الاعتراف بشهادات هذه المعاهد الإسلامية من قبل الدولة بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ٢٦٤ «بشأن تقديم المساعدة الاجتماعية في تحسين الشؤون التعليمية والمعرفية في المجال الديني»، الذي وقعه الرئيس إسلام كريموف،



وهذا ما الذي يعطي الخريجين حقًا في تدريس مواد التربية الإسلامية، ومواصلة دراساتهم في الجامعات.

على الرغم من أن معهد الإمام البخاري العالي بطشقند افتتح عام ١٩٧٠م، ولم يزد عدد الطلبة فيه عن عشرين طالبًا خلال السنوات السابقة، فقد تضاعف عدد الطلبة فيه عدة مرات بعد نيل أوزبكستان لاستقلالها.

بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل الاستقلال توافرت امكانية دراسة وتحقيق التراث العلمي لعلماء هذا البلاد الذين ساهموا مساهمة جبارة في تطوير العلوم الدينية، والحضارة الإسلامية والعالمية، مثل: أحمد يساوي، وبهاء الدين نقشبند، والإمام البخاري، والإمام الترمذي، وأبي منصور الثعالبي وأبي منصور الماتوريدي، وبرهان الدين المرغيناني، وأحمد الفرغاني، واميرتيمور، وعلي شير نواني، وغيرهم من العلماء. وقد تم تنظيم المؤتمرات العلمية الخاصة بدراسة تراثهم العلمي.

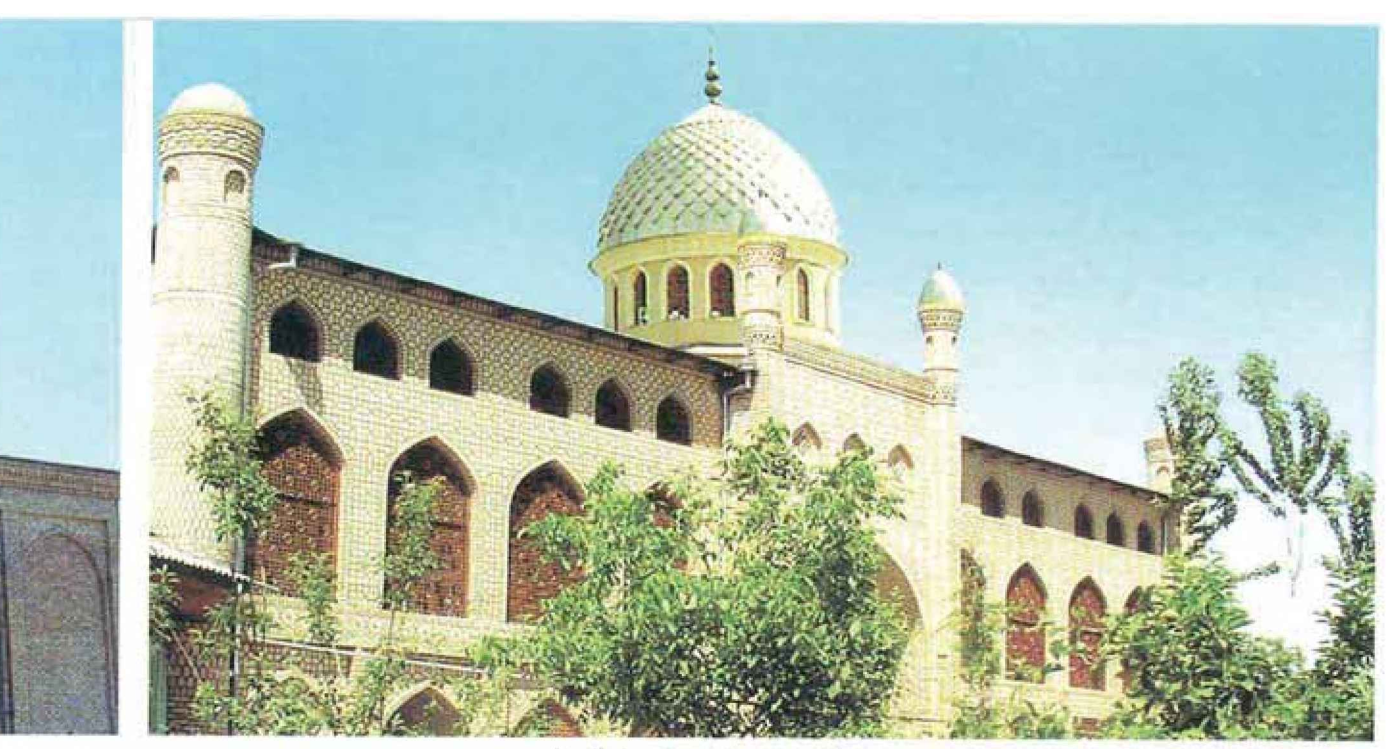
ويزداد نشر الأدبيات الإسلامية كمًا وكيفًا من سنة إلى سنة، وينشر عدد كبير من الكتب التعليمية الإسلامية، كما ينشر سنويًا التقويم للمسلمين، وتمت ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيرها، وكذلك تم نشر كتب دينية قيمة مختلفة، منها «الجامع الصحيح للإمام البخاري»، وكتاب «السنن» للإمام الترمذي، و«الهداية» للإمام برهان الدين المرغيناني، وكتاب «تنبيه الغافلين» لابي ليث السمرقندي، وعشرات من الكتب الدينية الأخرى، ويستمر السير في هذا المجال. وتخدم البرامج التلفازية لستوديوهات «معرفة نامه» (دليل المعرفة)، و«مساء الجمعة»، و«إلى الهداية»، و«الضياء» تخدم خدمة كبيرة في رفع المستوى الديني والثقافي والمعرفي لشعب اوزبكستان.



وتصدر مجلة «الهداية» وجريدة «إسلام نوري» («نور الإسلام») وهما من منشورات الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان.

ومجلة «الهداية» مجلة دينية اجتماعية علمية وأدبية تصدرها الإدارة الدينية شهريًا، ويصل عدد نسخها الى ١٤ ألف نسخة. وتنشر المجلة المواد من تاريخ الإسلام، والسنة النبوية، والفقه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفلسفة الإسلامية، والمواد الأخرى المتعلقة بالعالم الإسلامي. وبدأت المجلة تنشر الملحق تحت عنوان «نتعلم تلاوة القرآن الكريم» ابتداء من العدد الثالث لعام ٢٠٠٥م.

أما جريدة «إسلام نوري» («نور الإسلام») فهي أسبوعية،



مدرسة السيد محيي الدين مخدوم في أنديجان

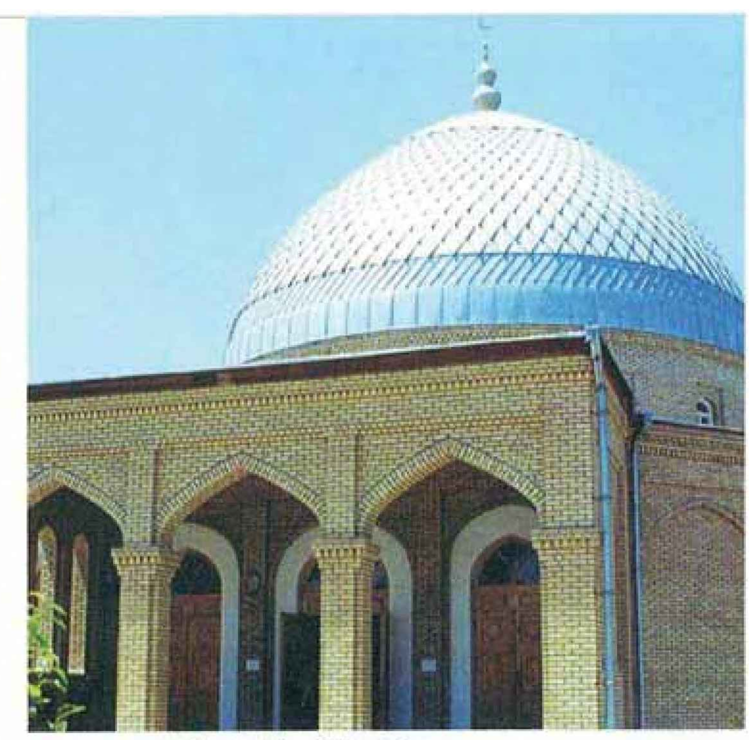
وتصدرها الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان بعدد كبير.

يتم تعليم الثقافة الإسلامية في المعاهد والمدارس التابعة للإدارة الدينية، وكذلك يتم تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بطشقند، وجامعة طشقند للدراسات الشرقية، وكذلك في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم لجمهورية أوزبكستان.

تجدر الإشارة إلى أن افتتاح الجامعة الإسلامية بطشقند كان أحد الإنجازات التي أنعم الله تعالى بها على أهل أوزبكستان بمناسبة الاستقلال. وكان الهدف الرئيس منها دراسة التراث العلمي الغني للدين الإسلامي، وتراث علماء هذا البلاد، وتحقيقها، وتحليلها، والمحافظة عليها، والقيام بالبحوث والدراسات في هذا المجال، وإعداد الكوادر المؤهلة التي تجيب عن متطلبات العصر، وتوفير الظروف اللازمة لهم، ورفع مستوى التعليم الديني لشعبنا.

وفي قرار رئيس جمهورية أوزبكستان بشأن افتتاح الجامعة الإسلامية بطشقند تم تحديد مهمات الجامعة، فمنها إعداد الكوادر المؤهلة بمستوى البكالوريوس والماجستر في العلوم الإسلامية، وتأهيل

ينظر الناس إلى مدرسة "ميري عرب" كنوز العلم والمعرفة منذ أربعمئة وسبعين سنة، ودرس فيها الطلاب ليس من أوزبكستان، فحسب، بل من أفغانستان وإيران، ودول آسيا الوسطى، وروسيا والصين، وأصبح كثير منهم علماء عصرنا


مدرسة خديجة الكبرى للبنات في طشقند

الكوادر الموجودة، ودراسة التجربة العالمية في تعليم الدين الإسلامي، ودراسة دور الإسلام في تاريخ الحضارة العالمية، وتحديد دوره وأهميته في منطقتنا وبلادنا، وإعداد المناهج والكتب في التعليم الإسلامي للمدارس والمعاهد والجامعات، وكذلك الكتب الخاصة

يتم تعليم الثقافة الإسلامية في المعاهد والمدارس التابعة للإدارة الدينية، واللغة العربية في الجامعة الإسلامية بطشقند، وجامعة طشقند للدراسات الشرقية، وكذلك في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم لجمهورية أوزبكستان

يستفيد أساتذة الجامعة الإسلامية بطشقند في تنظيم أعمالهم التعليمية والتربوية من تجربة مدرسينا القدماء، والتقاليد الإسلامية الغنية التي شكلت خلال أكثر من ألف سنة، وكذلك من التجربة المتقدمة للجامعات العالمية ذات الخبرة العالية

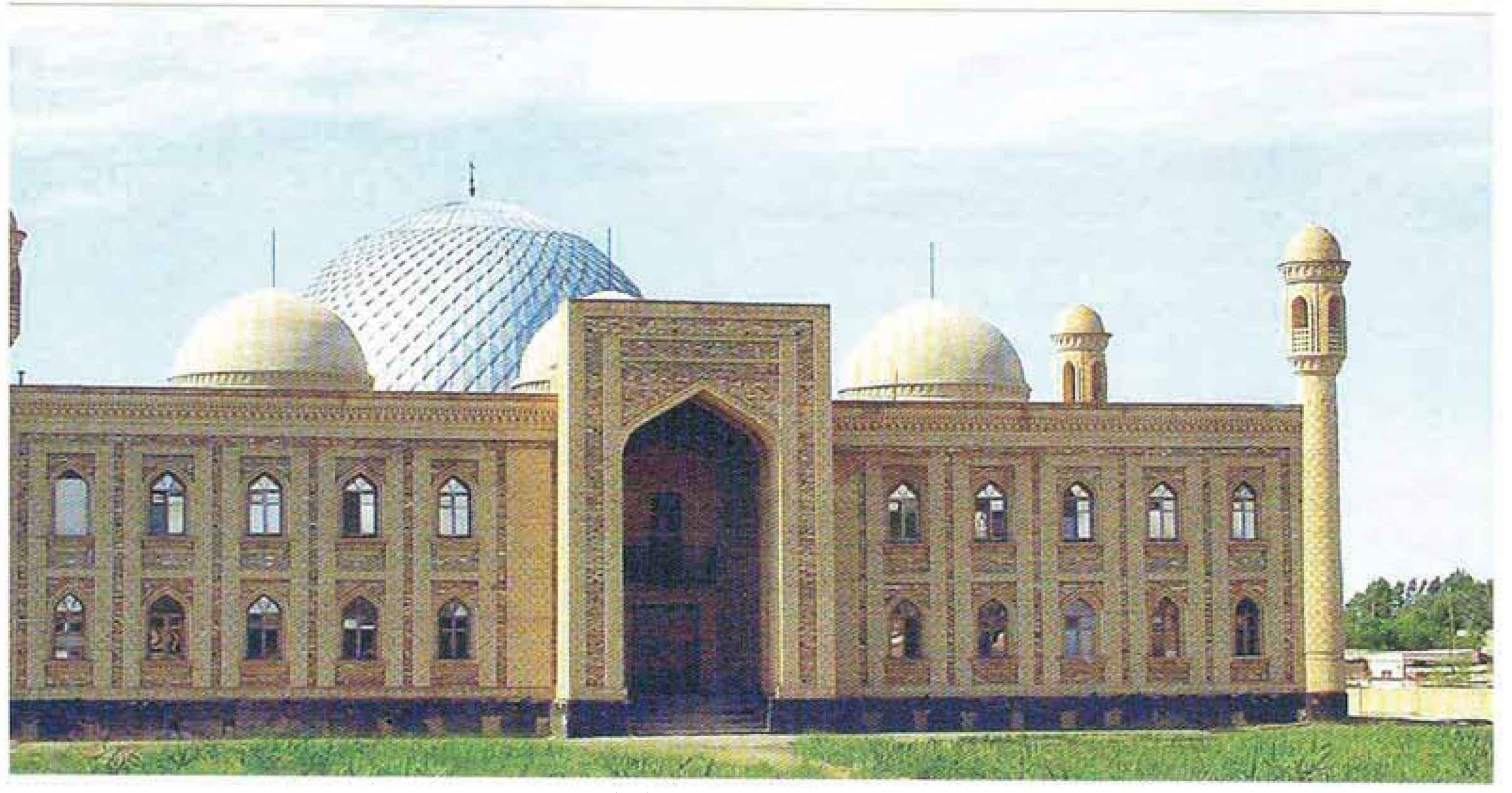
بالثقافة الإسلامية للجماهير العامة.

في الجامعة الإسلامية كليتان، كلية التاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية، وكلية الفقه، والاقتصاد والعلوم الطبيعية، ومركز البحوث والدراسات الإسلامية، وكذلك مدرسة ثانوية أكاديمية خاصة بالجامعة.

وبعد إعلان القرار بشأن فتح الجامعة أجريت دراسات مكثفة لتكون مباني الجامعة ومساحتها مناسبة لها. وفي الوقت الحاضر تتوافر جميع الظروف في الجامعة لدراسة الطلبة فيها ومعيشتهم. وتم تجهيز غرف التدريس بأجهزة الحاسوب والمختبرات، وشبكة الإنترنت.

يستفيد أساتذة الجامعة الإسلامية بطشقند في تنظيم أعمالهم التعليمية والتربوية من تجربة مدرسينا القدماء، والتقاليد الاسلامية الغنية التي شكلت خلال أكثر من ألف سنة، وكذلك استفادوا من التجربة المتقدمة للجامعات العالمية ذات الخبرة العالية.

وفي هذا المجال تمت إنجازات كبيرة، واقيمت علاقات التعاون بين الجامعة وكل من جامعات المملكة العربية السعودية، والكويت، والإمارات العربية المتحدة، ومصر، وفرنسا، وإنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من الدول المتطورة ومراكز البحوث والدراسات



مدرسة البيروني في قراقلباغستان

العلمية. وتجدر الإشارة إلى أنه خلال سنة واحدة من تأسيس الجامعة زارتها نخبة من الضيوف من عدة دول. وتمت اتفاقيات بشأن إقامة علاقات التعاون.

وكانت زيارات الشيخ محمد سيد الطنطاوي - شيخ جامعة الأزهر الشريف، ومعالي الشيخ محمد بن خليفة - وزير الأوقاف بالإمارات العربية المتحدة، والسيد عادل الفلح - وكيل وزارة المالية في الكويت، وأمين لجنة مسلمي آسيا، والسيد أشرف زعزع - مدير الإدارة لتقديم المساعدة المادية الفنية لدول الكومونولث، ومعالي الدكتور أحمد أمين حمزة، وسعادة الدكتور خالد بن عبد الرحمن - وكيل جامعة الملك سعود السابق بالرياض - زيارات مثمرة.

وفي مايو عام ٢٠٠٠م زار الجامعة فخامة رئيس روسيا الاتحادية فلاديمير بوتين، ورئيس الجمهورية إسلام كريموف.

وتنظم في الجامعة مؤتمرات وندوات علمية دولية مختلفة، ومنها ندوة التراث العلمي لأبي منصور الماتوريدي ودوره في ثقافة الشعوب الشرقية، والمؤتمر الدولي: «الأديان العالمية في سبيل ثقافة السلام» المنظم بالاشتراك مع منظمة «اليونسكو».

إن جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية تعدّ مركزًا أساسيًا في تعليم اللغة العربية، ولها تاريخ طويل في ذلك، ففي نوفمبر عام ١٩١٨م تم تأسيس معهد تركستان العالي للدراسات الشرقية، وكان معهدًا عاليًا وحيدًا في آسيا الوسطى، وبدأ بإعداد الكوادر المؤهلة في مختلف مجالات الدراسات الشرقية للدول المجاورة أيضاً.

وفي هذا المعهد العالي كانوا يدرسون تاريخ

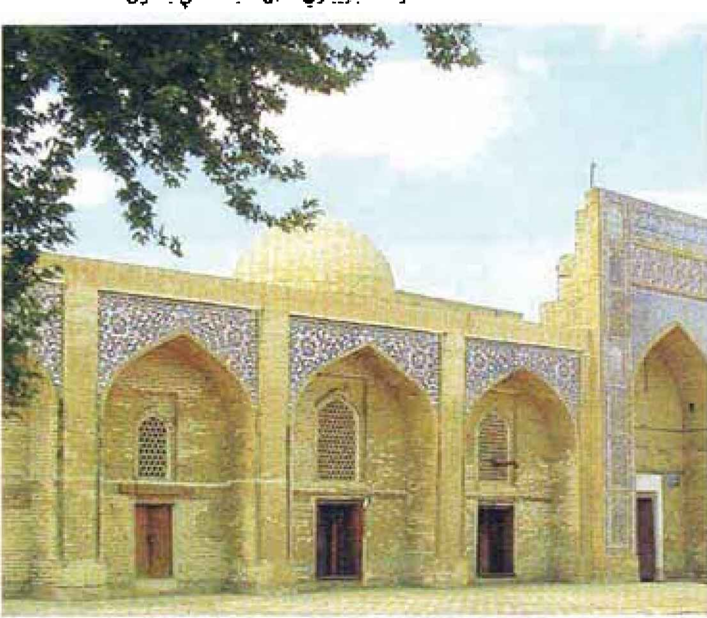


تركستان، والدول المجاورة، والجغرافيا الخاصة بها، وتاريخ الإسلام والفقه الإسلامي، وكذلك اللغات الشرقية وآدابها. وفي تلك السنة تم قبول ٢٣٤ طالبًا بالمعهد. وبدأ تعليم اللغات العربية والفارسية والصينية والبشتو والأوردو والتركية من اللغات الشرقية، واللغات الأوزبكية والتاجيكية والقيرغيزية والتركمانية والتترية من اللغات المحلية، وكذلك اللغات الأوروبية - الإنجليزية والفرنسية والألمانية. وكذلك كان يدرس هناك بعض المواد، مثل جغرافيا أفغانستان، والهند، وإيران، وتركستان الشرقية والغربية، وبخارى، وإثنوغرافيا الشعوب الآسيوية - الأوزبكي، والتاجيكي، والكازجي والأفغاني، والقاراقلباقي، وتاريخ آسيا الوسطى وإيران وأفغانستان والعالم القديم، والفقه والشريعة.

وكان يتم إعداد المتخصصين في مجال الدراسات



مدرسة جويباري كلان للبنات في بخارى



جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية تعدّ مركزًا أساسيًا في تعليم اللغة العربية. ولها تاريخ طويل في ذلك. ففي نوفمبر عام ١٩١٨م تم تأسيس معهد تركستان العالي للدراسات الشرقية، وكان معهدًا عاليًا وحيدًا في آسيا الوسطى

العربية والإسلامية، وفي اللغات التركية والفارسية. وحسب الإحصائيات الرسمية بلغ عدد الطلبة في معهد تركستان للدراسات الشرقية ٢١٠ طلاب في العام الدراسي ١٩٢٢ - ١٩٢٣م، ولكن نسبة الطلبة من أبناء الشعب المحلي كانت ١٦٪ فقط. وفي عام ١٩٢٢م كان عدد الكتب في مكتبة المعهد ٥٣٠٠ كتاب، ومنها أكثر من مئة نسخة من المخطوطات. وفي عام ١٩٢٤م تم دمج المعهد في جامعة آسيا الوسطى الجديدة، ولم يستمر نشاطه فترة طويلة. وفي عام ١٩٣٠م تم تحويله إلى كلية التربية. وفي العام التالي: أي: ١٩٣١م توقف نشاطه نهائياً.

في عام ١٩٤٤م تمت إعادة افتتاح كلية اللغات الشرقية بجامعة آسيا الوسطى (جامعة أوزبكستان الوطنية حالياً). وفي عام ١٩٤٧م، افتتح قسم الدراسات العليا.

في عام ١٩٤٤ - ١٩٤٩م كانت الكلية عبارة عن أربعة أقسام، وتم تخريج أول دفعة عام ١٩٤٩م، وكان عدد الخريجين ٤١ خريجًا، وأصبح كثير منهم علماء مشهورين، وأخذوا مكانتهم بين العلماء في الجمهورية.

وتوسعت الكلية من سنة إلى سنة. واهتمت الكلية بتدريس اللغات العربية والفارسية والبشتو والأوردو، والهندية والأيغورية والتركية. واستدعت الجامعة المدرسين



ضيوف يزورون مدرسة كوكالداش

الناطقين باللغات الشرقية من الدول العربية، وإيران، وأفغانستان، والهند، الذين ساعدوا كثيراً على تحسين المهارات النطقية لدى الطلبة في أثناء تدريسهم خلال سنة أو سنتين. وقام مدرسو الكلية وطلابها بزيارات الجامعات الأجنبية للدراسة في الدورات التأهيلية اللغوية فيها.

في عام ١٩٩٠م تم تأسيس معهد الدراسات الشرقية في جامعة طشقند الحكومية، وفي ١٥ من يوليو عام ١٩٩١م صدر قرار رئيس جمهورية أوزبكستان إسلام كريموف تم تحويله إلى جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية.

وفي إطار الجامعة تم توسيع التخصصات المختلفة، وفقا لاحتياجات الجمهورية في الوقت الحاضر، ويتم إعداد الكوادر في ١٢ تخصصا. وكان عدد أقسام الكلية ٧ أقسام، وبلغ عدد الأقسام في جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية ٣١ قسمًا، ويتم تدريس عشرين لغة أجنبية.

ابتداء من عام ١٩٤٤م: أي: وقت تأسيس كلية اللغات الشرقية، تم تدريس اللغة العربية فيها، وفي الوقت الحاضر تترأس الأستاذة الدكتورة رنا خوجاييفا قسم اللغة العربية وآدابها. فخرّج القسم منذ تأسيسه عدة آلاف متخصص في اللغة العربية، الذين يعملون حاليا في أوزبكستان وفي الدول الخارجية.



الشيخ محمد سيد طنطاوي يزور جامعة طشقند الإسلامية

على الرغم من أن معهد الإمام البخاري العالي بطشقند افتتح عام ١٩٧٠م، ولم يزد عدد الطلبة فيه على عشرين طالبًا خلال السنوات السابقة، فقد تضاعف عدد الطلبة فيه عدة مرات بعد نيل أوزبكستان لاستقلالها

وفي هذه الأيام أيضا يعدّ قسم اللغة العربية وآدابها أكبر قسم في الجامعة من حيث عدد الطلاب والأساتذة، ويعمل فيه في الوقت الحاضر أستاذة دكتورة، وسبعة دكاترة أساتذة مشاركون، و١٤ أستاذًا مساعدًا، و١٦ مدرس لغة، وتجدر الإشارة إلى أن

في عام ١٩٩٠م تم تأسيس معهد الدراسات الشرقية في جامعة طشقند الحكومية. وفي ١٥ من يوليو عام ١٩٩١م بموجب قرار رئيس جمهورية أوزبكستان إسلام كريموف تم تحويله إلى جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية

جميع المدرسين تقريباً درسوا في القسم نفسه. ويضم القسم ثلاثة مدرسين من مصر لتحسين المهارات النطقية للطلبة. وفي العام الماضي كان عدد الطلبة في قسم اللغة العربية أكثر من ٥٠٠ طالب وطالبة. وعلاوة على ذلك يدرس طلاب قسم الدراسات الإسلامية، وقسم التاريخ (تخصص تاريخ البلدان العربية)، وقسم الاقتصاد (تخصص اقتصاد الدول العربية) اللغة العربية أيضاً.

أما تعليم اللغة العربية في المدارس فهناك مدرسة أكاديمية ثانوية لدى جامعة طشقند الإسلامية، وثلاث مدارس أكاديمية ثانوية لدى جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية، وتقبل هذه المدارس خريجي المدارس المتوسطة، ويدرس الطلاب فيها اللغة العربية بصورة عميقة.

وكذلك يتم تعليم اللغة العربية في ٢٨ مدرسة ثانوية تابعة لوزارة التربية والتعليم في ست محافظات في جمهورية أوزبكستان هي: فرغانة، وأنديجان، ونمنغان، وطشقند، وقشقدريا، وجزاخ، وفي مدينة طشقند وحسب معطيات مكتب الإرشاد الأسلوبي للوزارة في السنة الدراسية الماضية، كان عدد الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية ٢٦٢٣٣ طالبًا وطالبة. وفي العاصمة - طشقند توجد أربع مدارس متخصصة لتعليم اللغة العربية حيث يتم تدريسها ابتداء من المدارس الابتدائية، فهي المدارس رقم ١ و٢٢ و٢٩ و١٥٠ وفي السنة الدراسية الماضية درس اللغة العربية ٥١٠٧ طلاب وطالبات في ١٧٤ فصلاً دراسيًا.

في الوقت الحاضر يدرس الطلبة اللغة العربية على أساس المناهج، وكتب تعليم اللغة العربية، منها في السنتين الأولى والثانية كتاب تعليم اللغة العربية من تأليف إ.أ.خونوف، وب.إبراهيموف، ولآخرين من إصدار عام ١٩٩٦م، وفي السنتين الثالثة والرابعة كتاب اللغة العربية لـ ب.حسنوف الذي نشر عام ١٩٩٧م، وفي السنتين الخامسة والسادسة «كتاب دروس اللغة العربية» لمحمد البخاري، حيث تم استخدامه التجريبي عام ١٩٩٤م، ونشر عام ٢٠٠٢م، وفي السنتين السابعة والثامنة كتاب تعليم اللغة العربية من تأليف ر.موسى خوجاييف، وأخيراً في السنوات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة «كتاب اللغة العربية ـ الصرف والنحو» من تأليف نعمة الله إبراهيموف، ومحمد يوسفوف.

ولمسابقة اللغة العربية التي كانت تجري في المواد الأخرى على مستوى الجمهورية دور مهم لتشجيع الطلبة وحفزهم إلى دراسة اللغة العربية، ونرى من المفيد استئناف هذه المسابقة لتكون عاملاً إضافيًا في تطوير تعليم اللغة العربية في جمهورية أوزبكستان.

الهوامش

١. في اللغة الأوزبكية كلمات كثيرة مقتبسة من العربية، وتختلف المعاني اللغوية لبعضها بعض الشيء؛ ممّا يجعل الكلمات نفسها في العربية. مثلاً، كلمة «مدرسة» تعني في الأوزبكية مدرسة دينية فقط. أما كلمة «مدرسة» فتعني بالعربية «مدرسة تعليمية ابتدائية ومتوسطة وثانوية فيعبر عنها في الأوزبكية بكلمة «مكتب».



قصر الحمراء: ديوان شعري منقوش على الجُدران

صبيح صادق

مدريد – إسبانيا

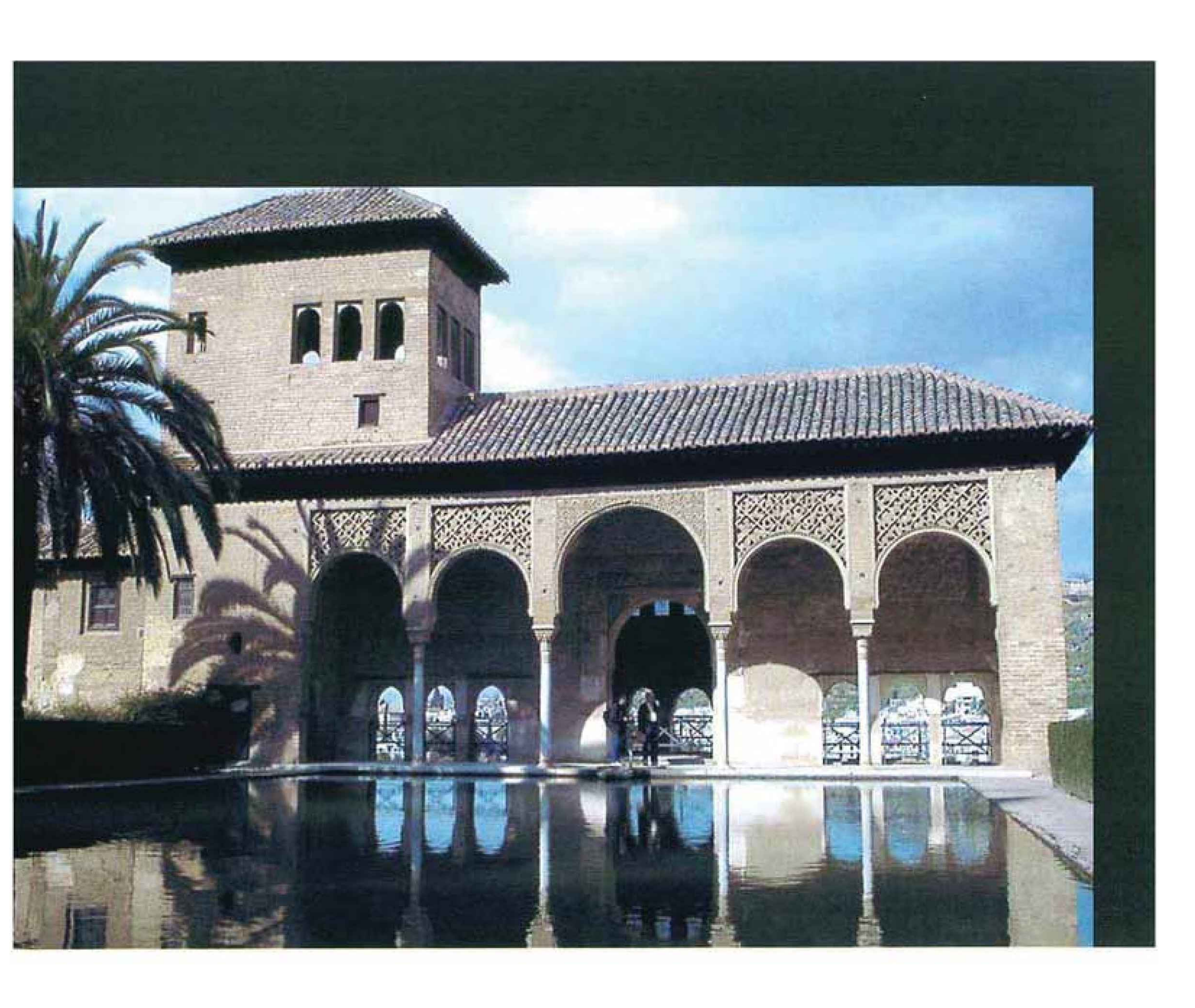
قصر الحمراء، أشهر قطعة فنية تركها العرب في أوربا، لا تزال شاخصة، للتدليل على قدرة الفنان العربي، وروعة البناء في الحضارة العربية الإسلامية. وعلى الرغم من أن مدينة غرناطة تتمتع بالكثير من المزايا، ومنها وجود آثار مهمة من مختلف العصور إلاّ أن قصر الحمراء لا يزال هذا الأثر الأبرز في المدينة.

ومدينة غرناطة مبنية داخل واد محاط بالتلال والهضاب، وأهم هذه الهضاب، هضبة الحمراء المطلة على غرناطة، وعليها تم بناء قصر الحمراء، ومن هذه الهضبة يمكن تأمل ومشاهدة المدينة بأحيائها ومعالمها، ومن جملتها حي البيازين اقدم أحياء غرناطة العربية.

تاريخ الاهتمام بهضبة الحمراء

يعود تاريخ الاهتمام بهضبة الحمراء إلى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) عندما تولى باديس بن حبوس زعيم البربر السلطة في غرناطة، فاختار هضبة الحمراء، لإنشاء قصر وقلعة وسور؛ وذلك لتمتع المنطقة بموقع حصين يمكن الدفاع عنه أمام هجمات الأعداء.

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أولى زعيم بني نصر، محمد بن الأحمر عند توليه السلطة في غرناطة عام ٦٣٥هـ (١٢٣٨م)، اهتمامًا كبيرًا بالهضبة، فبنى فيها قصره وسورًا منيعًا، ومد المنطقة بمياه نهر حدرة، وبنى عدة أبراج، ومنها البرج المعروف



باسم برج الحراسة، الذي لا يزال قائمًا حتى اليوم.

ثم وليه محمد بن محمد بن الأحمر الملقب بالغالب بالله، الذي استمر في الإضافة إلى القصر. فبنى القصر الملكي، ثم تبعه السلطان أبو الوليد إسماعيل المولود سنة ٦٧٧هـ (١٢٧٩م)، والمتوفى سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥م)، فأضاف هو الآخر إضافات مهمة إلى القصر. ويعدّ السلطان يوسف أبو الحجاج، الذي حكم غرناطة أكثر من عشرين عامًا حتى وفاته عام ٧٥٥هـ (١٣٥٤م)، من أكبر سلاطين غرناطة اهتمامًا ببناء قصور الحمراء، وواصل الاهتمام نفسه السلطان محمد الغني بالله، المتوفى سنة ٧٩٣هـ (١٣٩١م). من هنا يلاحظ أن قصر الحمراء ليس قصرًا، وإنما هو عدد من القصور والغرف والساحات والأروقة والحدائق وملحقات أخرى كثيرة، هدم بعضها، وما بقي منه يطلق عليه اليوم اسم قصر الحمراء.

وللحمراء عدة أبواب، منها الباب المعروف باسم باب الشريعة، وباب الطباق السبع وهو الباب الذي اشترط فيه آخر سلاطين غرناطة أبو عبدالله الصغير





لقطتان لقاعة الأسود في قصر الحمراء

أن يكون آخر من يخرج منه، عند تسليمه مدينة غرناطة، عام ١٤٩٢م. واستجاب لهذا الطلب الملوك الإسبان، وتم إغلاق الباب ولم يفتحه أحد حتى اليوم.

تبدو الحمراء من بعيد بأبراجها وسورها قلعة قديمة، مثل أية قلعة تاريخية أخرى. ولكون قصر الحمراء مبني على هضبة فلا بد للزائر أن يصعد طريقاً مليئاً بالأشجار والسواقي، حتى يصل إلى المكان، وحتى عند الوصول لا يرى الزائر، أول وهلة، شيئاً يلفت النظر. بل إن الزائر سينتبه إلى قصر الملك الإسباني كارلوس الخامس، المجاور، أكثر من انتباهه إلى قصر الحمراء، ولكن ما إن يدخل إلى قصر الحمراء وأجنحته، حتى يسيطر عليه الذهول والانبهار لما يراه من روعة الفن ودقة البناء، داخل القصر.

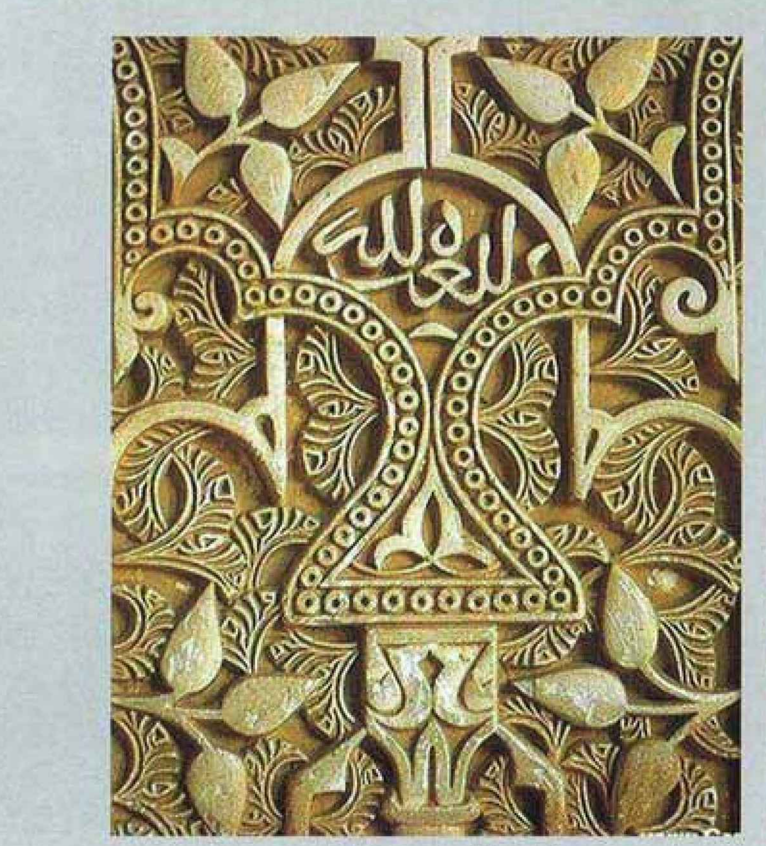
أبرز أجنحة قصر الحمراء

قصر الحمراء هو عدة قصور وأجنحة، بنيت، كما ذكرنا، في أوقات متفاوتة من قبل أكثر من واحد من ملوك غرناطة. وأبرز ميزة فيه هي كثرة الكتابات العربية على جدرانه، حتى يبدو الزائر وكأنه داخل كتاب في الأدب العربي، أوراقه من الحجر. فلا تزال الكتابات حتى اليوم واضحة للعيان، ومنها آيات قرآنية، وكتابات أدبية، وقصائد، ولعل أكثر العبارات التي تتكرر هي (لا غالب إلا الله).

فناء الريحان

يبدأ القصر بفناء الريحان الذي بناه السلطان محمد الغني بالله، وهو فناء مستطيل مكشوف، تحيط





نقوش جميلة وكتابات عربية

به نباتات الريحان من كل جانب، وفي وسطه بركة، لهذا يسمى أحيانًا فناء البركة، وفيه عدة كتابات، ومنها قصيدة من اثني عشر بيتًا للشاعر ابن زمرك:

تبارك من ولاك أمر عباده
فأولى بك الإسلام فضلاً وأنعما
ولو خيّر الإسلام فيما يريده
لما اختار إلا أن تعيش وتسلما
فيا ابن العلا والحلم والبأس والندى
ومن فاق آفاق النجوم إذا انتمى

وهناك مقطوعتان للشاعر ابن الجياب، حفرتا في جانبين متقابلين في ملحق جانبي من الفناء، وهما:

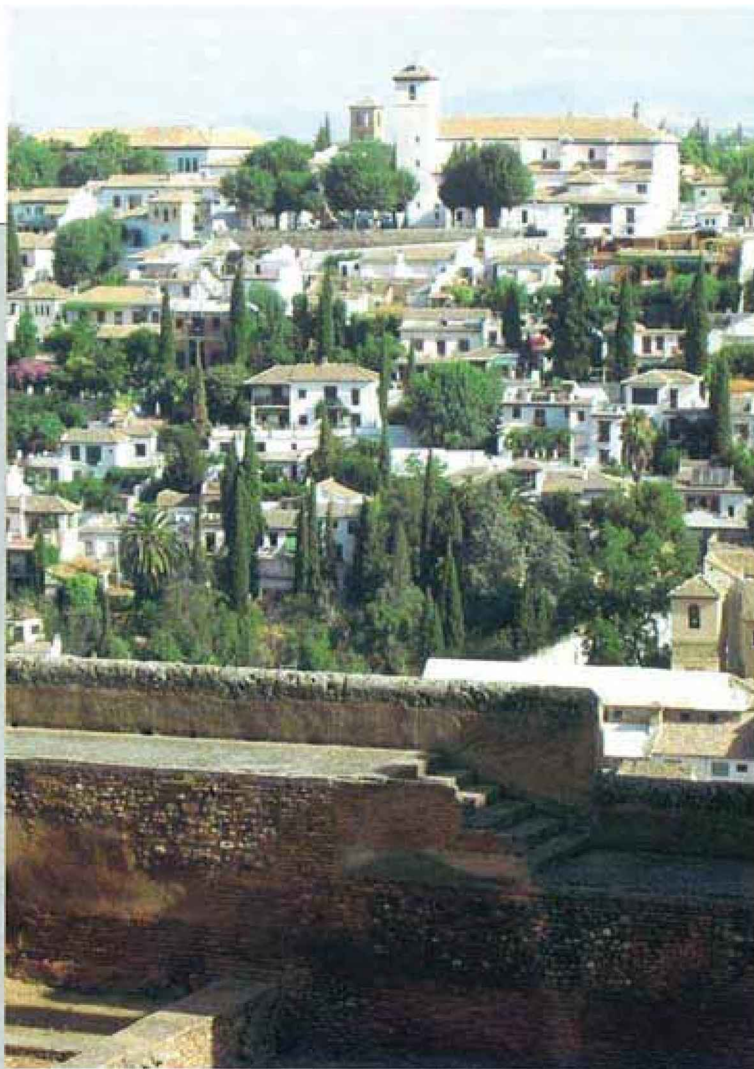
أنا محلاة عروس
ذات حسن وجمال
فانظر الإبريق تعرف
فضل صدقي في مقال

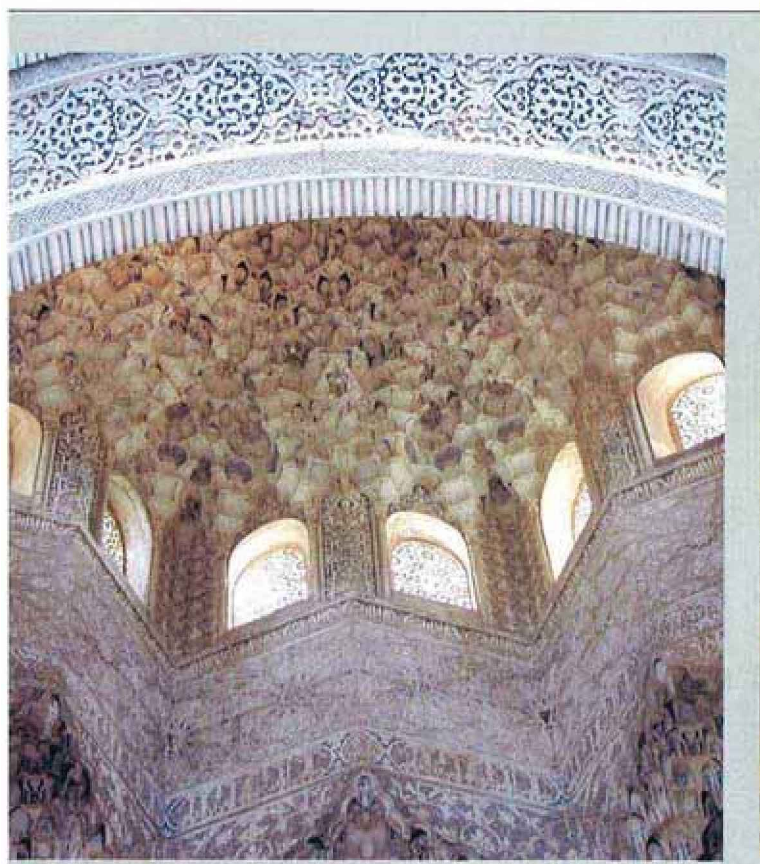
والأخرى:

أنا فخر لصلاة
سمته سمت السعادة
تحسب الإبريق فيه
قائمًا يقضي عبادة

بهو السفراء

وبعد اجتياز فناء الريحان يقابلنا بهو السفراء، وهو مجلس السلطان، ويسمى أيضًا بهو قمارش، ويعدّ





روعة الفن المعماري العربي في القصر

من القطع الفنية الفريدة. ويبلغ طوله ٢٣ مترًا وعرضه ١١ مترًا وبارتفاع ٢٣ مترًا، ومزخرف من جميع جوانبه. وفيه قبة في غاية الروعة الفنية، وكان السلطان أبو الوليد إسماعيل قد بدأ في بنائه في القرن الثامن. الرابع عشر الميلادي، وواصل بناءه السلطان يوسف أبو الحجاج. وفي هذه القاعة حفرت على جدرانه عدة قصائد، ومنها قصيدة الوزير لسان الدين ابن الخطيب التي تبدأ بـ

فقت الحسان بحليتي وبتاج
وهوت إليَّ الشهب في الأبراج
يبدو إناء الماء فيَّ كعابد
في قبلة المحراب قام يناجي

وفي مقابلها من الجانب الآخر:

دقت أنامل صانعي ديباجي
من بعدما نظمت جواهر تاج
وحكيت كرسي العروس وزدته
أني ضمنت سعادة الأزواج
من جاءني يشكو الظماء فموردي
صرف الزلال العذب دون مزاج
فكأنني قوس الغمام إذا بدا
والشمس مولانا أبو الحجاج

وقصيدة أخرى تبدأ بـ:

تحييك مني حين تصبح أو تمسي
ثغور المنى واليمن والسعد والأنس

يعود تاريخ الاهتمام بهضبة الحمراء إلى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) عندما تولى باديس بن حبوس زعيم البربر السلطة في غرناطة، فاختار هضبة الحمراء، لإنشاء قصر وقلعة وسور، وذلك لتمنع المنطقة بموقع حصين يمكن الدفاع عنه أمام هجمات الأعداء

قاعة الأختين

ويتبع هذا الفناء قاعة صغيرة تسمى بقاعة الأختين وفيها قطعتان كبيرتان من الرخام متساويتان تمامًا. وفيها نقشت قصيدة الشاعر الأندلسي ابن زمرك:

أباهي من المولى الإمام محمد
بأفضل من يأتي ومن كان ماضيا
تبيت له خمس الثريا معيذة
ويصبح مختل النواسم وافيا

قاعة الأسود

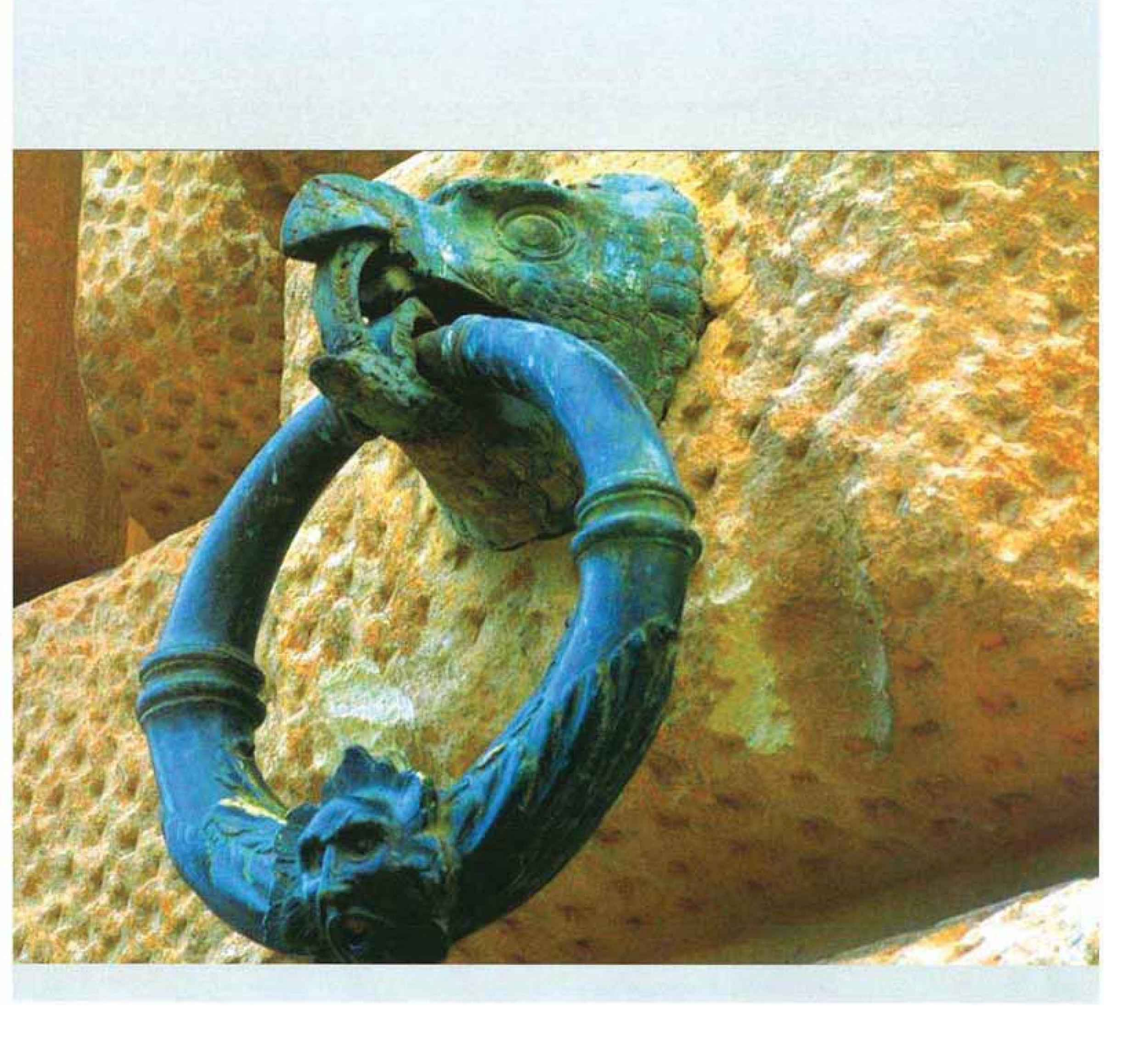
بنى هذه القاعة السلطان محمد الغني بالله، المتوفى سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م وهي من أشهر القاعات المتميزة في القصر، ويبلغ طولها نحو ٣٥ مترًا، وعرضها عشرون مترًا، وتحيط بمساحتها ١٢٤ عمودًا من الرخام الأبيض، وتحمل أربع قباب، وفي وسط الساحة، حوض دائري مع نافورة، ويحيط بالحوض اثنا عشر أسدًا، من المرمر، اغبرّ لونها بسبب تقادم الزمن، وتراكم الأتربة عليها؛ مما اضطر إدارة الحمراء إلى رفعها من مكانها وحفظها في مكان خاص. ووضعت مكانها بدائل صناعية، وكان من المقرر أن يتم حفظ الأسود الأصلية، بعيدًا عن الجمهور، كما هو الآن حيث لا يرى الزائر الأسود الأصلية وإنما البدائل الصناعية. ثم دارت مناقشات طويلة حول جدوى هذا العمل، وهل من الضروري إعادة الأسود الأصلية أم لا، وفي النهاية قررت إدارة الحمراء عزمها على إعادة الأسود الأصلية إلى مكانها الأصلي، بعد الانتهاء من تصليحها وتنظيفها في مطلع عام ٢٠٠٦م.

وعلى حوض نافورة الأسود، نقشت قصيدة الشاعر ابن زمرك: الذائعة الصيت.

تبارك من أعطى الإمام محمدا
مغاني زانت بالجمال المغانيا
وإلا فهذا الروض فيه بدائع
أبى الله أن يلقى لها الحسن ثانيا
ومنحوتة من لؤلؤ شق نورها
تجلى بمرفض الجمان النواحيا
بدور لجين سال بين جواهر
فلم ندر أيًا منهما كان جاريا
ألم تر أن الماء يجري بصفحها
ولكنها أبدت عليه المجاريا
كمثل محب فاض بالدمع جفنه
وغيّض ذاك الدمع إذ خاف واشيا

وهناك قصائد ونصوص أخرى كثيرة حفرت على جدران القصر، منها قرآنية، أو قصائد لشعراء أندلسيين في تمجيد القصر وساكنيه، أو عبارات لمن توفي من سلاطين

للحمراء عدة أبواب، منها باب الطباق السبع، وهو الباب الذي اشترط فيه آخر سلاطين غرناطة أبو عبدالله الصغير أن يكون آخر من يخرج منه، عند تسليمه مدينة غرناطة، واستجاب لهذا الطلب الملوك الإسبان، وتم إغلاق الباب، ولم يفتحه أحد حتى اليوم



غرناطة. لكن العبارة الأكثر تكرارًا هي (لا غالب إلا الله) وهي العبارة التي تميز بها قصر الحمراء، واختص بها.

تاريخ الاهتمام بكتابات الحمراء

بعد نهاية الحكم العربي في غرناطة أصبح قصر الحمراء جزءًا من ممتلكات الدولة الإسبانية، وكان بعض الملوك الإسبان معجبًا بالقصر. كما هو الحال بالنسبة إلى الملك كارلوس الأول الذي قضى فيه شهر العسل عام ١٥٢٦م، ثم بدأ يحسد القصر ففكر ببناء قصر مواز له، على الرغم من إعجابه به. قصر ملكي

اجمل من قصر بني نصر، بحيث يغطي على قصر الحمراء، فقام بهدم جزء من القصر العربي ليوسع المجال لبناء قصره، وبدأ بمشروعه هذا في العام التالي:

جاء بناء تمويل بناء القصر الجديد من أموال الضريبة المفروضة على الموريسكيين مقابل حقهم بالمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم، ولكن هذا القصر الذي بني على حساب جزء من قصر الحمراء لم يحقق حلم الملك، فلا يزال كل زائر اليوم يُبهر امام قصر الحمراء على الرغم من بساطته، ولم تتسع فخامة القصر الملكي، قصر الملك كارلوس الأول، المجاور له شغل الزائر عنه.

وفي عام ١٨١٢م ارادت القوات النابليونية نسف قصر الحمراء عند انسحابها، وقد نسفت فعلاً جزءًا منه ثم تركته في اللحظة الأخيرة.

ثم مرَّ قصر الحمراء بمرحلة عصيبة أخرى، لفترة من الزمن، حيث كان مُهملا دون عناية، فدعا الكثير من المستشرقين الإسبان وغير الإسبان إلى الاعتناء به، حتى استجابت الحكومة بعد ذلك، وقامت بتحويله إلى مكان تاريخي سياحي، وإذا هو يتحوّل إلى أهم مركز سياحي ليس في غرناطة فحسب، بل على مستوى إسبانيا، وأصبح على رأس قائمة الأماكن التي تفخر إسبانيا بعرضها أمام الشخصيات العالمية ورؤساء الدول والسائحين لزيارتها، وهو اليوم مصدر مالي مهم يدر الملايين.

هناك قصائد ونصوص حفرت على جدران القصر، منها قرآنية، أو قصائد لشعراء أندلسيين في تمجيد القصر وساكنيه، أو مراث لمن توفي من سلاطين غرناطة، لكن العبارة الأكثر تكرارًا هي (لا غالب إلا الله)

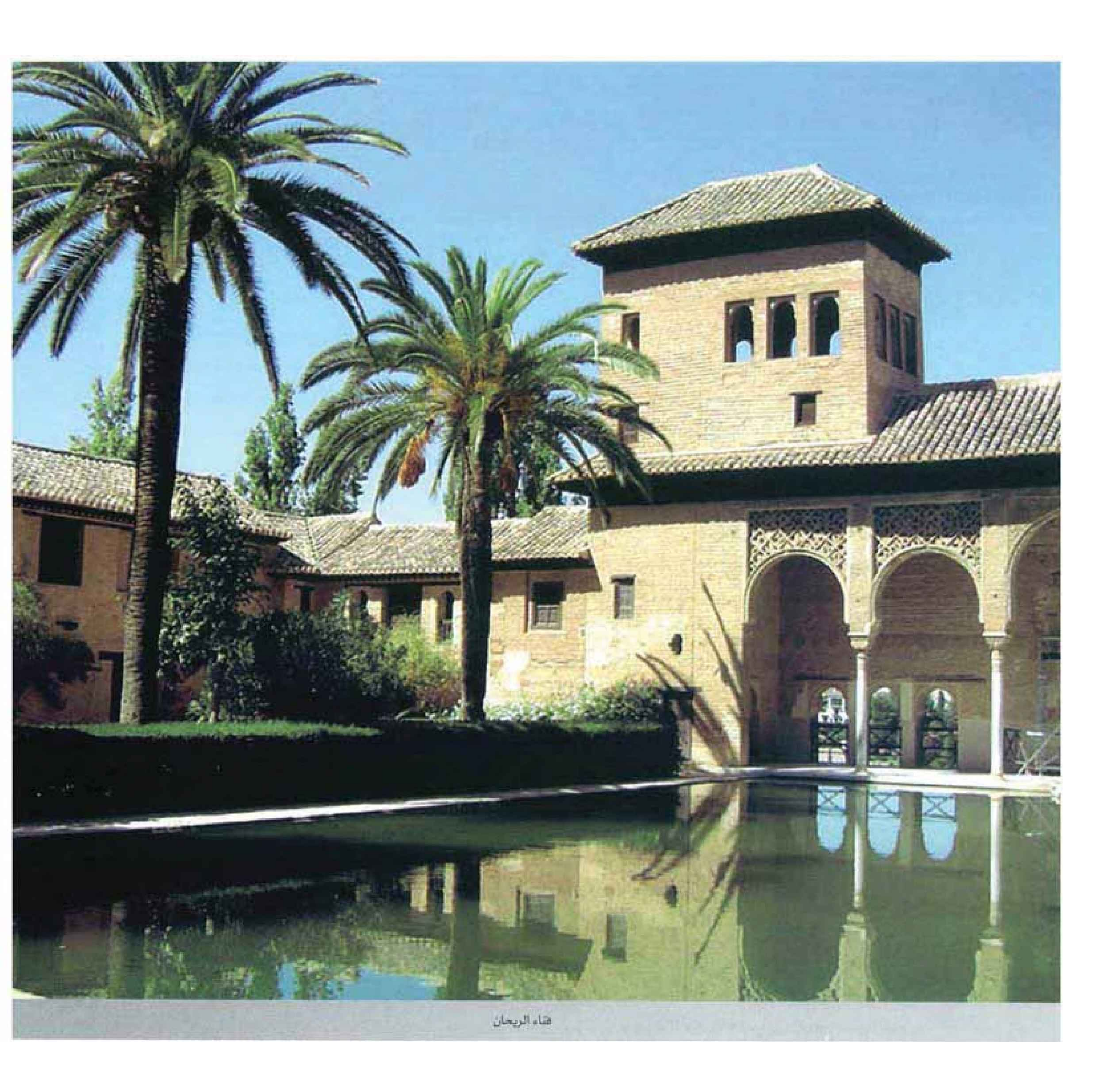
وفضلاً عن جمال روعة القصر في بنائه فإنه كذلك يتميز بالكتابات العربية المنقوشة على جدرانه، وهي نصوص عربية تمثل آيات قرآنية، ونصوصًا وقصائد لشعراء الأندلس، امثال: ابن الجيّاب، وابن الخطيب، وابن زمرك، وقد سقطت بعض هذه الكتابات بمرور الزمن نتيجة لهدم أجزاء منه أو الإهمال، ثم أعيد تركيب بعضها اعتمادا على كتابات عربية قديمة.

بداية الاهتمام بالكتابات العربية

كانت بلدية غرناطة قد كلفت ما بين ١٥٥٦ و ١٥٥٧م لجنة لاستنساخ الكتابات العربية الموجودة في غرناطة، ومن ضمنها كتابات الحمراء، ولكن هذا العمل فُقد، ولم يعرف إلى الآن ماذا حلّ به.

بعد ذلك قامت البلدية بتكليف الموريسكي الغرناطي ألونسو دي الكاستيُو ١٥٢٠ ـ ١٦١٠م باستنساخ هذه الكتابات وترجمتها، وبعد جهود استمرت عدة سنوات أكمل ألونسو عمله في عام ١٥٦٥م، وسمّاه بـ «استيعاب ما بغرناطة من الأشعار والتواريخ». يعدّ كتاب ألونسو دي الكاستيُو حول كتابات الحمراء المنهل الذي استمد منه كل من كتب عن كتابات الحمراء منذ ذلك الحين حتى اليوم، وكان من جملة من اعتمد على نص ألونسو في وصف كتابات الحمراء المؤرخ الشهير مارمول كارباخال صاحب «تاريخ ثورة وعقوبة الموريسكيين في مملكة غرناطة»، الذي ترجم بعض قصائد وكتابات الحمراء إلى الإسبانية (١).

في القرن الثامن عشر أصدر خوان إجيبييريا، في عام ١٧٦٤م كتاب «نزهات في غرناطة»: Juan Velazquez Echeverria: Paseos por Granada ysus contornos، واحتوى الكتاب على الكثير من كتابات


فناء الريحان

الحمراء، معتمدًا في ذلك على عمل ألونسو دي الكاستيُو، ونال شهرة كبيرة في وقته، وكان مصدرًا مهمًا للكثيرين. ولكنه نال قسطًا كبيرًا من النقد أيضا بعد ذلك؛ لأن مؤلفه لم يكن يتقن العربية، ولأنه حرَّف وشوَّه هذه النصوص. فانتقده المستشرق الإسباني لافونته ألكنترا[٢] ثم المستشرق غارثيا الذي كان أعنف من سابقه، فوصف كتاب إجيبيريا بأنه «ليس له أية قيمة علمية»[٣].

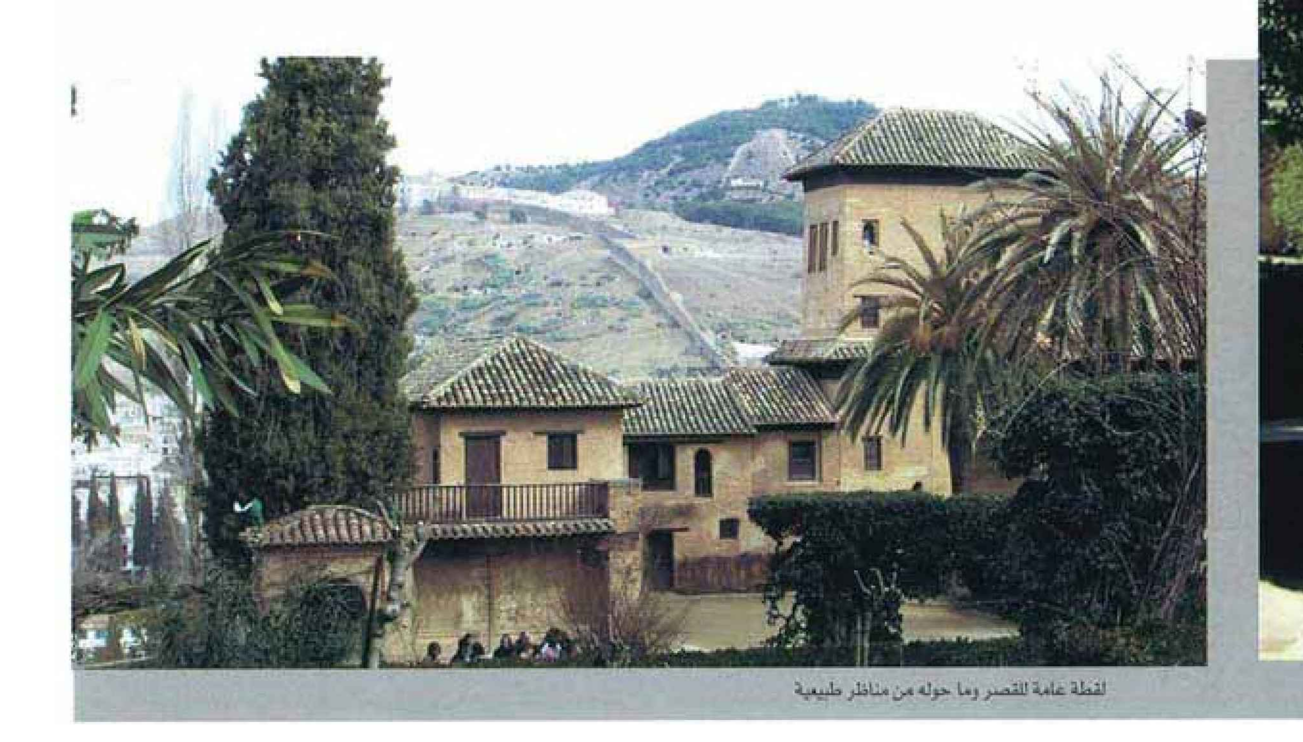
وزير عربي في الحمراء

كان الوزير المغربي أبو العباس أحمد الغزال قد نقل بعض نصوص الحمراء أيضًا، وذلك عندما قام بمهمة

رسمية بين المغرب وإسبانيا بين عامي ١٧٦٦ و ١٧٦٧ فزار عددًا من المدن الإسبانية، ومنها: غرناطة، وقصر الحمراء، وسجل ملاحظاته ونقوله لبعض نصوص الحمراء في كتاب سماه «نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد» (٤) ص ص ١٩٩ . ٢١٠، يقول عن غرناطة:

«إنها من المدن العظام لم نر مثلها في جميع ما

عام ١٨٠٤م كتابه حول «آثار عربية في إسبانيا» (٥): PABLO LOZANO: Antiguedades Arabes Espana وفي الجزء الثاني منه نقل الكثير من نصوص ألونسو دي الكاستيو حول الحمراء، ولكنه تعرَّض هو الآخر لانتقاد المستشرق لافونته (٦) بسبب تحريفه وتغييره في نص ألونسو.



لقطة عامة للقصر وما حوله من مناظر طبيعية

رأيت في بلاد الإصبنيول (إسبانيا) إذ حليتها مخالفة لحلية غيرها في بنيان الديار ولا في الشوارع، إذ بنيانها باق على حاله الإسلامي، لم يحدث به تغيير كغيرها من المدن. فهي أقرب شبها بفاس....» (نتيجة الاجتهاد، ص١٩٥. تحقيق إسماعيل العربي). وفي القرن التاسع عشر أصدر المستشرق بابلو لوثانو في

ترجمات إنجليزية وفرنسية

وفي القرن التاسع عشر ظهرت أول ترجمة إنجليزية لشعر الحمراء في عام ١٨١٦م وهي ترجمة المستشرق الإنجليزي شكسبير:

SHAKESPEARE: Collection of the historical notice and Poems in the Alhambra of Granada.

معتمدًا نسخة ألونسو دي الكاستيُو أساسًا في ترجمته، ونشر عمله هذا ملحقًا بكتاب موريفي عن تاريخ الآثار الإسلامية في إسبانيا (٧).

ثم تبعت الترجمة الإنكليزية ترجمة فرنسية قام بها المستشرق الفرنسي الألماني الأصل، دونبورغ JOSEPH DERNBURG: Inscriptions de l'Alhambra الذي درس شعر الحمراء دراسة عميقة، ونشر الترجمة والتعليقات في عام ١٨٤٣م(٨). وقد صحح هذا المستشرق الكثير من الأخطاء، معتمدًا على معرفته الواسعة بالعروض العربي. وكان أستاذه المستشرق رينو قد نبَّه إلى وجود نسخة مخطوطة من كتاب أزهار الرياض للمقري في المكتبة الوطنية بباريس. فاكتشف درنبورغ فيها أن القصيدة المنقوشة في فناء الأسود في قصر الحمراء:

يذوب لجينٌ سالَ بين جواهر
غدا مثلها في الحسن أبيض صافيا
تشابه جارٍ للعيون بجامد
فلم أدرِ أيًا منهما كان جاريا (٩)

هي للوزير الغرناطي ابن زمرك، فساعد هذا الاكتشاف، فضلاً عن معرفة اسم الشاعر، على توضيح الكثير من الغموض والخطأ الذي وقع فيه بعض الناسخين.

يصف المستشرق الإسباني داريو كابانيلاس، وهو من أبرز دارسي الحمراء، عمل درنبورغ بأنه «بلا شك أفضل عمل تحقق حتى ذلك الوقت» (١٠).

كان قصر الحمراء محط اهتمام الإنجليزي أون جونز الذي كان يفكر بدراسته منذ عام ١٨٣٤م، فذهب مع صديق له إلى غرناطة لهذه المهمة، وشاء القدر أن يتوفى هذا الصديق، فألغى جونز مشروعه بسبب هذه الصدمة، ثم عاد بعد ذلك يفكر في مشروعه القديم، فقرر أن يعود مرة أخرى إلى غرناطة للغرض نفسه، فدرس الحمراء دراسة فنية معمارية، وقدم خدمة جليلة للحمراء، بدراسته الكتابات العربية، في مجلدين كبيرين طُبعا في لندن بين عامي ١٨٤٢ و ١٨٤٥م:

OWEN JONES: Plans, elevations, sections and dtails of the Alhambra.

وشارك في هذا العمل الضخم أيضًا المستشرق الإسباني كايانكوس، فترجم النص العربي إلى الإنجليزية والفرنسية (١١).

القفزة الكبرى على يد المستشرق لافوينته ألكنترا:

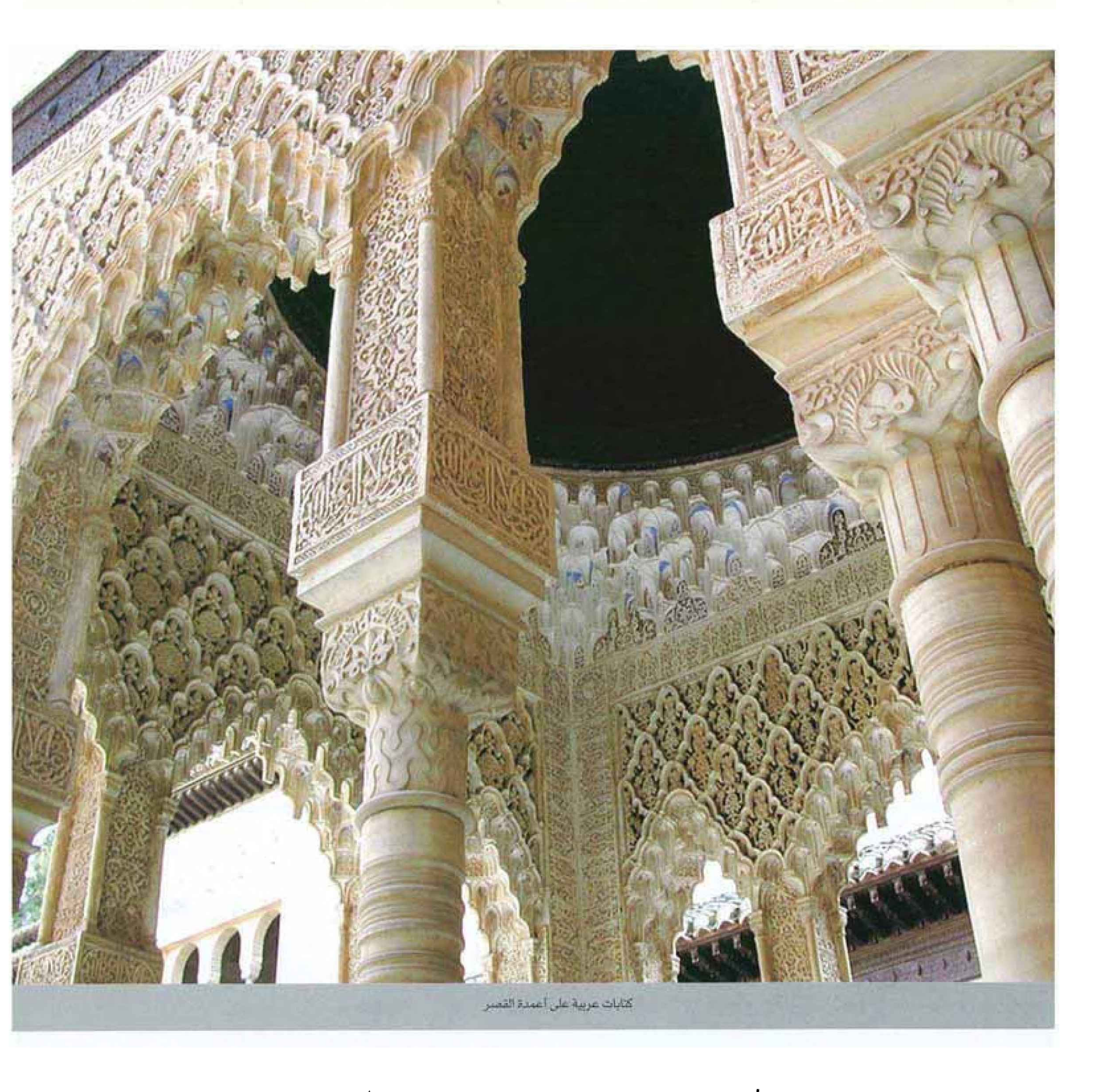
ثم حققت دراسة شعر الحمراء قفزة مهمة، من خلال جهود المستشرق الإسباني لافوينته الكنترا، وهو من المستشرقين اللامعين، ولسوء حظ الدراسات العربية أن يتوفى شابًا، وكتابه هذا هو أبرز أعماله، قام الكنترا بقراءة دقيقة لشعر وكتابات الحمراء مع ترجمة إسبانية في عام ١٨٥٩م: «كتابات غرناطة العربية»:

EMILIO LAFUENTE ALCANTARA: Inscripciones arabes De Granada

ولا يزال هذا الكتاب يحتفظ بقيمته، على الرغم من مرور أكثر من مئة عام على طبعه.

وضّح لافوينته الكنترا سبب تأليفه هذا الكتاب هو: «لتعايشي مع الشعر العربي فترة طويلة، ولإحساسي بأن هناك نقصًا واضحًا لترجمة كاملة للكتابات التي نجدها عند كل خطوة نخطوها، فتكوّنت لي، منذ فترة، فكرة جمع أكبر ما يمكنني جمعه من هذه الكتابات وترجمتها» (١٢).

انتقد المستشرق ليوبولدو أغيلات كتاب لافوينته الكنترا (١٣)، فتصدى له المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال الذي امتدح جهود لافوينته الكنترا، وقال إن «عمله يشهد له باطلاع واسع باللغة والأدب العربيين» (١٤)، وكذا فعل المستشرق كابانيلاس رادًا على أغيلات ومدافعًا عن لافوينته الكنترا (١٥).



كتابات عربية على أعمدة القصر

بعد لافوينته ألكنترا لم تُدرس كتابات الحمراء بشكل جدي حتى نهاية القرن التاسع عشر. ولكن في عام ١٨٧٩م نشر المستشرق انتونيو ألماغرو كتابه: «دراسات حول الكتابات العربية في غرناطة».

وعلى الرغم من إطراء المستشرق ليبولدو أغيلات علي عمل أنتونيو الماغرو، فإنه يعدّ اليوم عملاً سطحيًا مملوءًا بالأخطاء ومنقولاً عن الآخرين. وكان أعنف من هاجمه هو المستشرق الأمريكي، الشيكي الأصل ا.ر. نيكل الذي قال إن أنتونيو الماغرو لم يُصب إلا عندما كان ينقل عن لافوينته ألكنترا. وأشار إلى انه كان قد اعتمد في آرائه وتصليحاته على ملاحظات تركها شخص مغربي على كتاب لافوينته ألكنترا في مكتبة

الدراسات العربية في غرناطة (٦). وقد راجعت المكتبة المذكورة للبحث عن هذه النسخة التي تحدث عنها المستشرق نيكل، فوجدتها فعلاً في مكتبة الدراسات العربية في غرناطة، ووجدت الملاحظات مكتوبة على النص وعلى الحاشية .

وهاجم المستشرق غارثيا غومث، هو الآخر، عمل أنتونيو الماغرو، وذهب إلى أنه «ليس هناك ما يدعو إلى أن يؤخذ هذا الكتاب بنظر الاعتبار» (١٧).

في القرن العشرين كتب ماريانو غاسبار روميرو، وهو من مشهوري رجال الآثار، سلسلة من البحوث حول كتابات الحمراء في مجلة مركز الدراسات الفنية في غرناطة» (١٨) في عام ١٩١١م.

ونشرت ترجمة فرنسية أخرى في عام ١٩٣١م قام بها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال. وطبع كتابه في مجلدين، الأول للنصوص العربية وترجماتها، والثاني للصور (١٩). LEVI - PROVENCAL: Inscripciones arabes d'Espagne

جهود عربية

ومن الذين تابعوا شعر الحمراء، من العرب الأستاذ محمد بن عودة الذي نشر «نقوش الحمراء»، في عام ١٩٥٤م، في مجلة الأنوار التونسية (٢٠).

وفي عام ١٩٥٦م، كتب الأستاذ محمد عبدالله عنان كتابه المعروف عن العرب في إسبانيا «الآثار العربية الباقية في إسبانيا»، وفيه نقل بعض الأمثلة من نصوص وشعر الحمراء، وبعد تقديم وصف شامل للحمراء يعقب فيقول: «كان قصر الحمراء بعد ذلك قبراً لهذه الملكة، وهذه المدينة، وفي بعض أبهاء الحمراء، وقع أبو عبدالله آخر ملوك الأندلس ووزراؤه، معاهدة تسليم غرناطة والحمراء، وحكموا بذلك على دولتهم بالمحو، وعلى أمتهم بالفناء» (٢١).

ونالت قصائد ابن الجيَّاب المنقوشة في هذا القصر، منذ عام ١٩٧٠م، اهتمامًا من قبل المستشرقة الإسبانية ماريا خسوس روبييرا التي نشرت عددًا من البحوث حول قصائده (٢٢).

ومنذ عام ١٩٧٤م حققت الدراسات الخاصة في هذا المجال قفزة كبيرة عندما تصدى لها المستشرق الإسباني كابانيلاس، وكان يشغل منصب أستاذ كرسي في جامعة غرناطة، وأحد أبرز العلماء في قصر الحمراء، بالاشتراك مع عالم آخر هو أنتونيو فرناندث بويرتا (٢٣)، درس كابانيلاس القصائد من الناحية الأدبية واللغوية، وترجمها إلى الإسبانية مع مقارنة بين الترجمات السابقة وترجمته

المراجع والهوامش

1- MARMOL CARVAJAL. Luis: Historia del rebelion Y Castigo de los moriscos del reyno de Granada, Madrid. 1797 pp. 38 - 52.
2- LAFUENTE ALCANTARA. Emilio: Inscripciones arabe de Granada Madrid, 1859. p.X.
3- GARCIA GOMEZ. Emilio: poemas arabes en los muros y fuentes de la Alhambra. p. 61.
٤- طبع الكتاب عدة مرات: الأولى طبعة الفريد بستاني عام ١٩٤١م ثم طبعة إسماعيل العربي عام ١٩٨٠م.
5- Lozano, pablo: Antiguedades Arabes de Espana. Madrid. 1804.
6- Lafuente Alcantara, Emilio: Inscripciones arabe de Granada. Madrid. 1859. p.X
٧- عنوان الكتاب الرئيس هو
CANAVAGH MURPHY, James: Arabian Antiquities of Spain, London. 1816
وعنوان الملحق هو
SHAKESPEARE: Collection of the historical notices and poems in the Alhambra of Granada
٨- نشر ملحقا بكتاب
PRANGEY, GIRAULT: Essai sur l'architecture des arabes et des maures en Espagne en Sicile et en Barbarie. Paris. 1841.

منذ أيام الونسو دي الكاستيُو إلى يومنا هذا. بينما درسها فرنانديث بويرتا من الناحية الفنية والمعمارية. وكي نعطي فكرة عن هذا التعاون بين الرجلين نرى أن مقطوعتين منقوشتين على القوس المؤدي إلى بهو البركة، وهما:

أنا مُحلاةُ عروسٍ

ذات حُسنٍ وكمالِ

وهي في خمسة أبيات، والمقطوعة:

أنا فخرٌ لصلاةٍ

سَمْتُه سَمْتُ السعادة

وهي الأخرى في خمسة أبيات. قد كتب هذان الباحثان عنهما بحثًا في نحو ثمانين صفحة مع عشرات الصور والتخطيطات (١٩)!

في عام ١٩٨٤م نشر عميد الاستشراق الإسباني غارثيا غومث كتابه الذي طال انتظاره: «قصائد عربية على جدران ونافورات الحمراء»:

EMILIO GARCIA GOMEZ: Poemas arabes en los muros y fuentes de la Alhambra.

كان غومث يفكر منذ عشرات السنين بهذا المشروع إلى أن سنحت له الفرصة لتحقيقه. وفيه درس قصائد الحمراء دراسة دقيقة متخذًا من عمل لافوينته ألكنترا قاعدة له مع تقديم ترجمة إسبانية للقصائد التي درسها.

من كل هذا نلاحظ أن هناك الكثير من الباحثين من مختلف أنحاء العالم اهتموا بالقصائد العربية المنقوشة على جدران الحمراء، وقضوا سنين طويلة في دراستها. أما الحضور العربي فقد كان ضعيفًا، على الرغم من أن القصر عربي، وأن الكتابات عربية.

وعنوان الملحق هو:

DERNBURG. Joseph: Inscriptions de l'Alhambra

٩. المقري: أزهار الرياض، ج٢، ص٢٠.

10- CABANELAS. Dario: El morisco granadino Alonso del Castillo, ed. J. Martinez Ruiz, Granada, 1991. p.111

11- Jones, Owen: Plans, elevations, sections and details of the Alhambra, London. 1842 - 45

وقد صدرت مؤخرًا طبعة أخرى للكتاب.

12- LAFUENTE ALCANTARA: Inscripciones arabes. p. XXI

13- ALMAGRO CORDENAS Antonio: Estudio sobre las inscripciones arabes de Granada. Granada, 1879. p. VII.

14- LEVI - PROVENCAL: Inscriptions arabes d'Espagne. pp. XIII - XIII

15- CABANELAS: El morisco granadino, p. 104.

16- NYKL. A. R.: " Inscriptions arabes de la l'Alhambra y del Generalife" Al - Andalus, No IV, (1936 - 1939), pp. 174 - 194.

17- GARCIA GOMEZ, Emilio: Poemas arabes, p. 64 - 65.

١٨. نشر سلسلة من موضوعات مهمة عام ١٩١١م هي:

GASPAR REMIRO, Mariano: "Las inscripciones de la Alhambra "Revista del Centro de Estudios Artisticos de Granada y su Reino". Granada, 1911.

19- LEVI - RROVENCAL. Inscripciones arabes d'Espagne. paris. 1931.

٢٠. مجلة الأنوار، تونس، الأعداد من ١٢ إلى ٤٧.

٢١. محمد عبدالله عنان: الآثار العربية الباقية في إسبانيا والبرتغال، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص ١٨٨-١٨٩.

٢٢. نشرت المستشرقة الإسبانية روبييرا بحثين مهمين في مجلة الأندلس التي كانت تصدر بمدريد، هما:

Los Poemas epigraficos de Ibn al - YaYYab", (Al - andalus) A" - XXXV, 1970, pp. 453 - 473)

- "De nuevo sobre los poemas epigraficos de la Alhambre", (Al - Andalus), XLI, (1976), pp. 201 - 211

ثم في عام ١٩٨٢م نشرت شعر ابن الجيّاب في كتاب:

Ibn al- YaYYab, el otro poeta de la Alhambra, patronato de la Alhambra e Instituto Hispano - Arabe de Cultura, 1982.

٢٣. نشر كاباتيلاس عدة بحوث حول كتابات الحمراء أهمُّها تلك التي نشرها في مجلة الحمراء

Cuadernos de la Alhambra, Granada, (No 10, 11, 14, 15, 17., 19, 20), 1974 - 1984

ومجلة قسم الساميات في جامعة غرناطة

Las inscripciones de la Alhambra segun el manuscrito de Alonso del Castillo", Miscelanea de estudios arabes y hebraicos. 1976. vol. XXV. pp. 7 - 33.

24- Los poemas de las Tacas del Arco de acceso a la salal de la Barca. (Cuadernos de la Alhambra). pp. 61 - 149. 1983 - 1984.



نبذة من تاريخ السينما في الدول العربية

معتز صلاح الدين

القاهرة ـ مصر

عرفت الدول العربية السينما في مرحلة متقدمة من العقد الثاني في القرن الماضي، وكانت مصر هي أولى دول عربية تحتفل بعرض فلم سينمائي مصري طويل وناطق؛ وذلك يوم ٥ مايو، حين تم عرض فيلم "قبلة في الصحراء" إخراج إبراهيم لاما. وعقب ذلك تم عرض فلم "ليلى" يوم ١٦ نوفمبر ١٩٢٧م إخراج إستيفان روستي، وتمثيل وإنتاج عزيزة أمير.

وقد اعتمدت السينما في مصر خلال تلك الفترة على الفنانين المغامرين من أصحاب الشركات الصغيرة، ومع افتتاح ستوديو مصر عام ١٩٣٥م (المملوك لبنك مصر آنذاك برئاسة طلعت حرب). بدأ تطوير كبير في صناعة السينما. إذ عرفت عصرًا من الازدهار، ووصل عدد دور العرض إلى أكثر من مئة دار عرض سينمائي كما وصل متوسط عدد الأفلام المنتجة إلى ٢٠ فلمًا سنويًا، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

أما عقب هذه الحرب فقد أصبح إنتاج الأفلام اسهل وأسرع وسيلة لتحقيق الأرباح. ووصلت أرباح عدد من الأفلام إلى أكثر من مئة ألف جنيه. على الرغم من أن متوسط التكلفة للفلم الواحد كان يراوح بين ٢٠ و ٣٥ ألف جنيه. وفي الفترة من عام ١٩٤٥م حتى عام ١٩٥١م ارتفع متوسط إنتاج الأفلام سنويًا إلى ٥٠ فلمًا. ووصل عدد دور العرض السينمائي عام ١٩٤٩م إلى ٢٤٤ دار عرض، ووصلت الأستوديوهات إلى ٥ بها ١١ بلاتوه.

وبعد ثورة عام ١٩٥٢م ارتفع متوسط عدد الأفلام



كل سنة إلى ٦٠ فلمًا، وبلغ عدد الأفلام ٥٨٨ فلمًا حتى عام ١٩٦٢م أي نحو ضعف عدد الأفلام المصرية منذ عام ١٩٢٧م، ووصل عدد دور العرض إلى ٣٥٤ دار عرض عام ١٩٥٤م.

سورية

أما سورية فقد أنتجت أول فلم روائي طويل عام ١٩٢٨م، وهو فلم «المتهم البريء»، إخراج أيوب بدري. ومنذ ذلك العام حتى عام ١٩٤٦م وهو عام حصول سورية على الاستقلال تم إنتاج ٣ أفلام فقط. وظل إنتاج الأفلام الروائية الطويلة متعثرًا حتى إنشاء وزارة الثقافة السورية، التي أنشأت المؤسسة العامة للسينما عام ١٩٦٣م، وعقب ذلك قامت هذه المؤسسة بإيفاد مجموعة كبيرة من الشباب الهواة في بعثات علمية إلى مختلف معاهد السينما في العالم، وعلى أيدي هؤلاء الشباب بعد عودتهم إلى بلادهم شهد الفلم السوري مرحلة من الازدهار، سواء من إنتاج المؤسسة أو من إنتاج التلفاز أو من إنتاج القطاع الخاص.



عدد من الفنانين في إحدى التظاهرات الفنية

وشهد مهرجان قرطاج عام ١٩٧٠م بداية نهضة السينما الوطنية السورية في فلم «رجال تحت الشمس»، إخراج نبيل المالح، ومروان مؤذن، ومحمد شاهين. وقد فاز هذا الفلم بالجائزة الثانية.

لبنان

يعدّ فلم «الورد الجميل»، الذي أخرجه علي العريس عام ١٩٢٤م هو أول فلم روائي سينمائي طويل في لبنان، كما أخرج علي العريس أيضًا ثاني فيلم لبناني تحت اسم «كوكب الصحراء»؛ وذلك عام ١٩٤٦م. ونتيجة للنجاح الكبير للأفلام المصرية من عام ١٩٥٠حتى عام ١٩٦٢م، تم إنشاء ٦ أستوديوهات سينمائية في لبنان لتصوير الأفلام المصرية واللبنانية بها. وفي تلك الفترة تم إنتاج ٢٤ فلمًا لبنانيًا أشهرها فلم (إلى أين؟)، إخراج جورج نصر، الذي تناول مشكلة هجرة اللبنانيين إلى خارج بلادهم.

وبعد إنشاء القطاع العام في السينما المصرية عام ١٩٦٣م هربت معظم رؤوس الأموال المصرية المستثمرة في السينما إلى بيروت، وشهدت تلك الفترة إنتاج ٢٠٠ فلم روائي طويل حتى بداية الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥م.

العراق

بدأ الإنتاج السينمائي في العراق بعد الحرب العالمية

الثانية عندما أخرج المصري أحمد بدر خان فلم «القاهرة بغداد» عام ١٩٤٥م. غير أن أول فلم عراقي تم إنتاجه عام ١٩٥٦م، وهو فلم «سعيد أفندي» إخراج كاميران حسني. وظل الإنتاج في تلك الفترة قاصرًا على الأفراد حتى قيام الثورة عام ١٩٥٨م، وإنشاء مصلحة السينما والمسرح عام ١٩٥٩م، التي أنتجت عشرات من الأفلام التسجيلية والقصيرة، وأفلام روائية طويلة.

الصومال

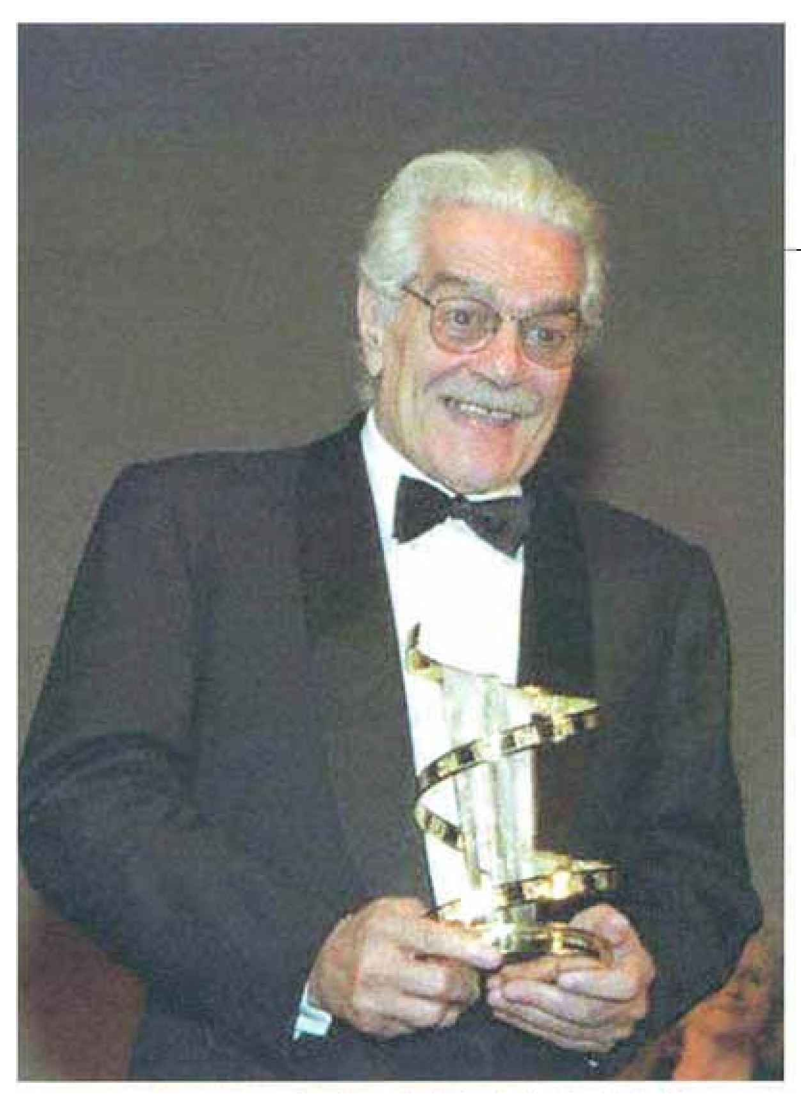
أنتجت الصومال عام ١٩٦١م أول فلم سينمائي باسم «الحب لا يعرف العقبات»، إخراج حسين مبروك، وتلاه فلم آخر أنتج عام ١٩٦٩م هو فلم «الحياة في البادية والحضر»، إخراج محمد جمعة علي. ومنذ عام ١٩٧٥م تم إنشاء وكالة الأفلام الصومالية التابعة لوزارة الإعلام.

الأردن

أنتجت الأردن أول فلم سينمائي عام ١٩٦٣م، وهو فلم «وطني حبيبي»، إخراج عبدالله كعوس. وتلاه في عام ١٩٦٨م الفلم الروائي «الأفعى»، إخراج جلال طعمة وهو خريج معهد السينما بالقاهرة.

تونس

ظهر إلى النور أول فلم سينمائي تونسي عام ١٩٦٦م، وهو فلم الفجر الذي أخرجه عمار الخليفي رائد السينما الوطنية في تونس، وفي تونس ظهرت حركة قوية في مجال السينما، فقد ظهر في دور العرض السينمائي عقب ظهورها في باريس بعدة شهور منذ عام ١٩٥٠م اتحاد لنوادي السينما، واتحاد لهواة السينما منذ عام ١٩٧٣م، وهناك عدة مهرجانات سينمائية، أشهرها مهرجان قرطاج.

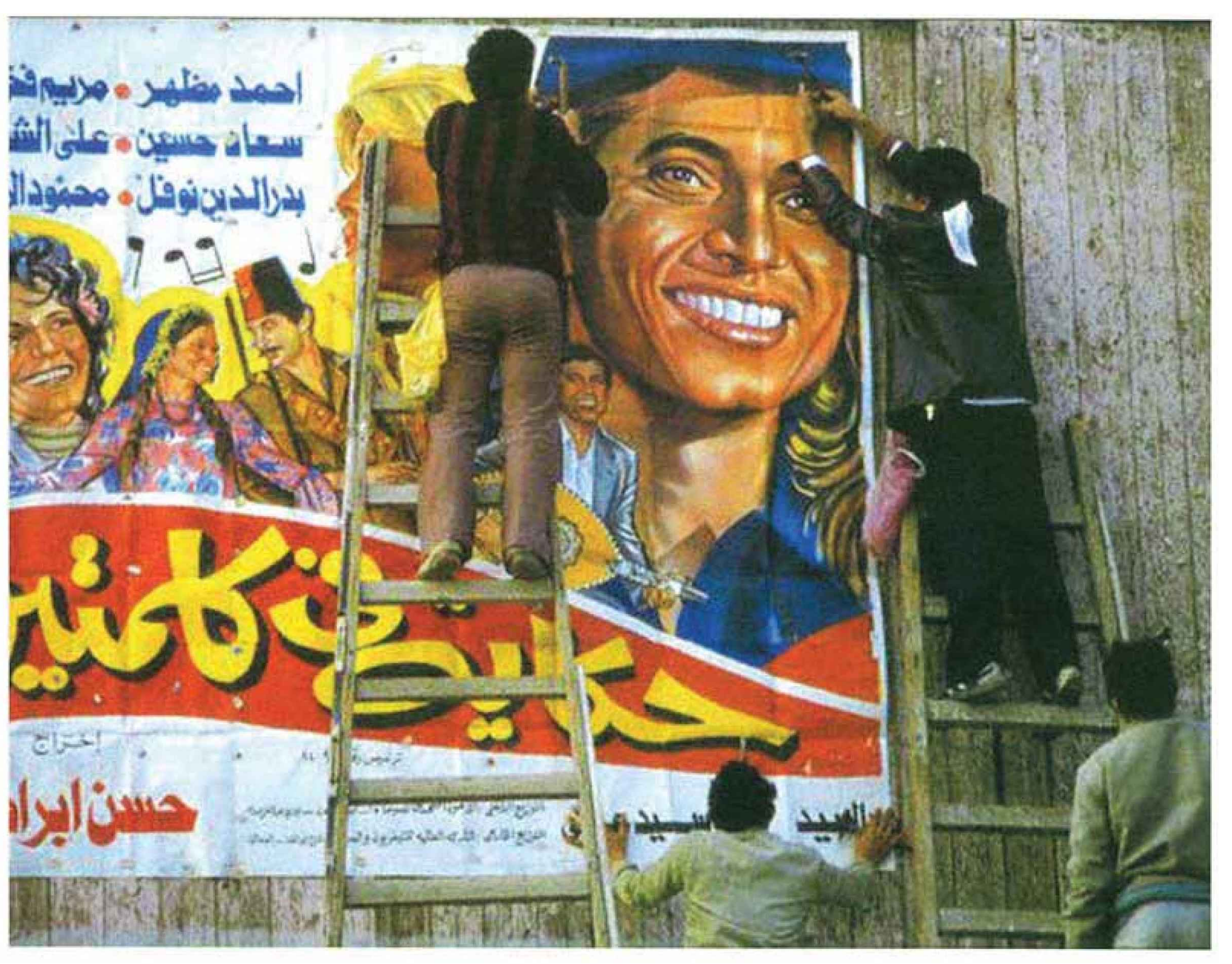


عمر الشريف أحد أشهر الممثلين في تاريخ السينما العربية

وقد ظهر ثاني فيلم سينمائي طويل عام ١٩٧٧م، وهو «عارضة الأزياء» للمخرج صادق بن عائشة، وهو من مواليد ١٩٣٦م، وبدأ حياته في التلفاز الفرنسي، ثم مساعدًا للإخراج في التلفاز التونسي، وأشهر أفلامه القصيرة (رسالة) عام ١٩٦٦م، و(معركة الجمال) ١٩٦٩م، ومن أفلامه الطويلة (مختار) و(عارضة الأزياء).

الجزائر

ظهر أول فلم جزائري طويل عام ١٩٦٧م، وكان ظهوره قويًا، إذ فاز هذا الفلم (رياح الأوراس) للمخرج محمد الأخضر حامينا بالجائزة الأولى في مهرجان (كان) السينمائي عام ١٩٦٧م، وتلاه فلم (الأفيون



الدعاية والإعلان جزء من نسيج العمل السينمائي

والعصا) عام ١٩٧٠م عن حرب التحرير الجزائرية، بعدها كان الأخضر حامينا على موعد آخر مع الجوائز حيث فاز فلمه «وقائع سنوات الجمر» بالجائزة الرابعة في مهرجان (كان) عام ١٩٧٥م محققاً أكبر نجاحات تحققها السينما العربية والإفريقية على مدى تاريخها.

ويعدّ عام ١٩٧٢م هو نقطة تحول كبيرة في السينما الجزائرية: إذ تم إنتاج ١٠ أفلام طويلة هي (عائلات طيبة)، إخراج جعفر دامرجي. و(العرق الأسود)، إخراج سيد علي مازيف و(الفحام)، إخراج عبدالعزيز طلب. و(الطارفة) إخراج هاشم شريف و(الغاصبون)، إخراج

الأمين مرباح و(المصب)، إخراج محمد شويخ و(يوميات عامل شاب)، إخراج محمد أفتيان. و(بالقرب من الصفصاف)، إخراج موسى حداد.

المغرب

ظهر أول فيلم سينمائي عام ١٩٦٨م، وهو فلم (شمس الربيع)، إخراج لطيف لاحلو. وتلاه فلم «وشمه» عام ١٩٧٠م، إخراج حميد بناني، ثم (ألف يد ويد)، إخراج سهيل بن بركة. وكان ذلك عام ١٩٧٢م. وأخرج ابن بركة بعدها عدة أفلام، منها: (حرب البترول لن تقع) الذي تم عرضه عام ١٩٧٥م في مهرجان موسكو. ويتناول الصراع بين الحكومات الوطنية وشركات البترول الاحتكارية. وكذلك فلم (عريس الدم) الذي عرضه في موسكو عام ١٩٧٧م، ويتحدث الفلم عن وضع المرأة المغربية، والمكانة المتدنية في المجتمع المغربي آنذاك.

السودان

عندما استقل السودان عام ١٩٥٦م كان عدد دور العرض ٣٠ دار عرض، لكن بعد ثورة نميري في ٢٥ مايو عام١٩٧٠م تم تأمين الاستيراد والتوزيع، وإنشاء مؤسسة عامة للسينما باسم مؤسسة الدولة للسينما، لكن التأمين لم يشمل دور العرض التي وصل عددها آنذاك إلى ٥٥ دار عرض.

وقد ظهر أول فلم سينمائي سوداني عام ١٩٧٠م، وهو فلم (آمال وأحلام)، إنتاج وتصوير الرشيد مهدي، وإخراج إبراهيم ملاسي، ثم تلاه عام ١٩٧٤م فلم (شروق) الذي أنتجه وأخرجه أنور هاشم.

الكويت

ظهر أول فلم سينمائي كويتي عام ١٩٧٢م، وهو فلم (بس يا بحر) الذي أنتجه، وأخرجه خالد الصديق. وتلاه عام ١٩٧٧م فلم (عرس الزين) لخالد صديق، وهو عم رواية الكاتب السوداني الطيب الصالح. وقد فاز الفلم بالجائزة الكبرى في مهرجان الفلم العربي بباريس.

الإمارات

شهد عام ١٩٧٧م بداية إنتاج عشرات المسلسلات التلفازية والأفلام بواسطة شركة الخليج العربي، وقد تم توزيع عدد من إنتاج هذه الشركة على مستوى العالم العربي.

فلسطين

ظهر أول فلم سينمائي فلسطيني عام ١٩٧٧م، وهو فلم (الحرب في لبنان) الذي أخرجه سمير نمر، وبكر الشرقاوي، وهو يعدّ فلمًا سينمائيًا وثائقيًا عن الحرب الأهلية في لبنان، وتلاه فلم (صوت من الأرض المحتلة)، إخراج قيس الزبيدي، وقد تم عرض الفلمين في مهرجان موسكو، وتلا ذلك أيضًا فلم (رؤى فلسطينية)، إخراج عدنان مدنات، و(لأن الجذور لن تموت)، إخراج نبيهة لطفي، و(تل الزعتر)، إخراج مصطفى أبو علي، وجان شمعون، وبينو أوريانو، و(الموت في لبنان)، إخراج كريستيان غازي، و(لبنان تل الزعتر)، إخراج قاسم أكول.

المراجع

١- دليل السينما العربية، سمير فريد.

٢- الدليل السنوي للسينما المصرية (مطبوعات المركز القومي للثقافة السينمائية بالقاهرة).

٣- وزارات الإعلام بالدول العربية

٤- جريدة الأهرام المصرية





القمة العالمية لمجتمع المعلومات

المنذر بن عبد اللطيف سوقير

الرياض ـ السعودية

شهد العالم ثورات زراعية وصناعية وتقنية هائلة، أعقبتها ثورة المعلومات والاتصالات، بعد أن أصبح تقدم الأمم والشعوب لا يقاس بحجم الصادرات والواردات، وبالمؤشرات الاقتصادية التقليدية الأخرى فقط، بل أيضًا بقدر امتلاكها للمعلومات وملاحقتها لثورة الاتصالات، وبعد أن اكتسحت التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال مختلف مجالات حياتنا اليومية والمهنية.

وأصبحت تؤثر في علاقات الأفراد والشعوب، ودفعتنا نحو الاقتصاد الرقمي، وجعلتنا نجزم بأن العالم يسير نحو مجتمع المعلومات الكوني، وبأن تشبيه «ماك لوهان» للعالم بأنه أصبح قرية كونية لم يكن مبالغةً، بل حقيقةً وواقعاً، إذ إن المعلومات أصبحت الأداة القوية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والركيزة الأساسية والضرورية لحياة البشر، وإنجاز أنشطتهم الخدمية والإنتاجية.

إلاّ أن استفادة الأمم والشعوب من ثورة المعلومات والاتصالات تتفاوت بقدر كبير بين الدول المتقدمة وتلك السائرة في طريق النمو؛ بسبب عدم تدفق المعلومات بينهما بشكل كافٍ للتباعد بين دول العالم في درجة امتلاك التقنية، والتفاوت في وتيرة الوصول إلى المعلومات.

وإيمانًا منه بخطر ذلك التفاوت، وما يتولد عنه من فجوة رقمية بين دول الشمال والجنوب، فإن الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية أوصى في قراره رقم ٧٣ الذي اتخذه في مدينة «مينيابوليس» بإعطاء



تعليمات للأمين العام للاتحاد بوضع مسألة عقد القمة العالمية لمجتمع المعلومات على جدول أعمال اللجنة الإدارية للتنسيق التابعة للأمم المتحدة؛ وفي تقرير الأمين العام للاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية أمام دورة عام ١٩٩٩م للمجلس حول تلك المشاورة، أشار الأمين العام إلى أن اللجنة الإدارية للتنسيق التابعة للأمم المتحدة قد استجابت، وأن أغلب المنظمات والوكالات الأخرى أعربت عن اهتمامها بالمشاركة للإعداد للقمة وعقدها. وقد تقرر عقدها تحت رعاية الأمين العام للأمم المتحدة، وكُلف الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية بالتحضير لها.

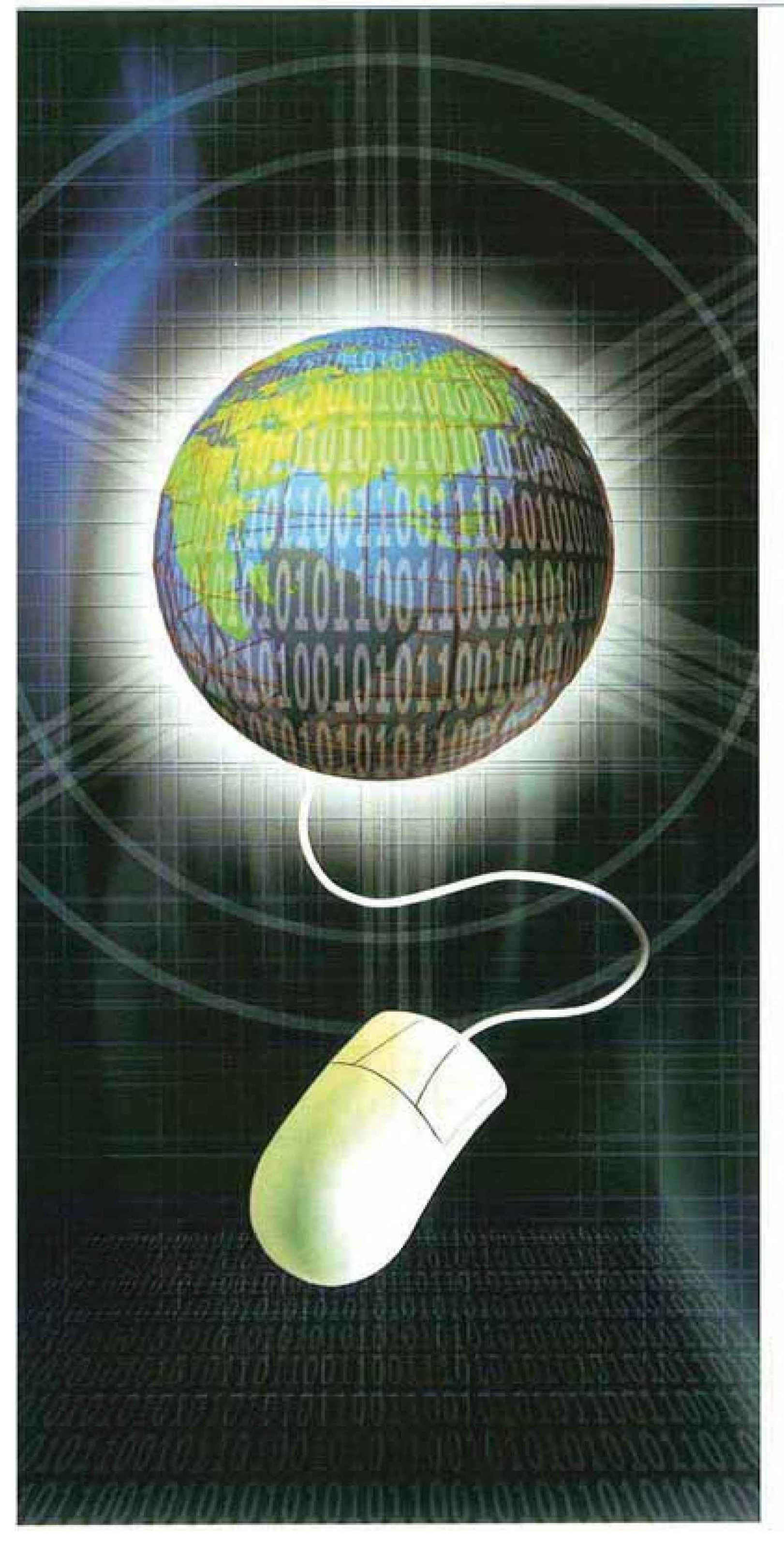
وفي عام ٢٠٠١م قرر المجلس الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية عقد القمة على مرحلتين: المرحلة الأولى في الفترة من ١٠ الى ١٢ ديسمبر عام ٢٠٠٣م في جنيف بسويسرا، والمرحلة الثانية في الفترة من ١٦ إلى ١٨ نوفمبر عام ٢٠٠٥م في تونس العاصمة بتونس. وقد صدّق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨٣/٥٦ على إطار القمة الذي أقره الاتحاد الدولي للاتصالات



حرص على التعاون في ميدان المعلومات على الرغم من التوتر الدولي

السلكية واللاسلكية. وكذلك صدّق القرار على الدور القيادي الذي يقوم به الاتحاد بالقمة والتحضير لها، بالتعاون مع المنظمات والشركاء الآخرين المهنيين: كما أوصى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٥٦/١٨٣ بأن تتم التحضيرات للقمة من خلال لجنة تحضيرية حكومية دولية مفتوحة، من شأنها تعريف جدول أعمال القمة، والبت في مشاركة سائر أصحاب المصلحة في القمة، ووضع اللمسات الأخيرة لكل من مسودة الإعلان، ومسودة خطة العمل. وقد وجه الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية، للاضطلاع بالدور القيادي الإداري بالأمانة التنفيذية للقمة، بأن يتم تمثيلها بالقمة على أعلى مستوى ممكن. كما شجع ذلك القرار على ضمان إسهام جميع الجهات المعنية التابعة للأمم المتحدة، وغيرها من المنظمات الحكومية الدولية، بما في ذلك المؤسسات الدولية والإقليمية، والمنظمات غير

استفادة الأمم والشعوب من ثورة المعلومات والاتصالات تتفاوت بقدر كبير بين الدول المتقدمة وتلك السائرة في طريق النمو: بسبب عدم تدفق المعلومات بينهما للتباعد في درجة امتلاك التقنية، والتفاوت في وتيرة الوصول إلى المعلومات



الحكومية، والمجتمع المدني، والقطاع الخاص للمشاركة على نحو إيجابي في القمة.

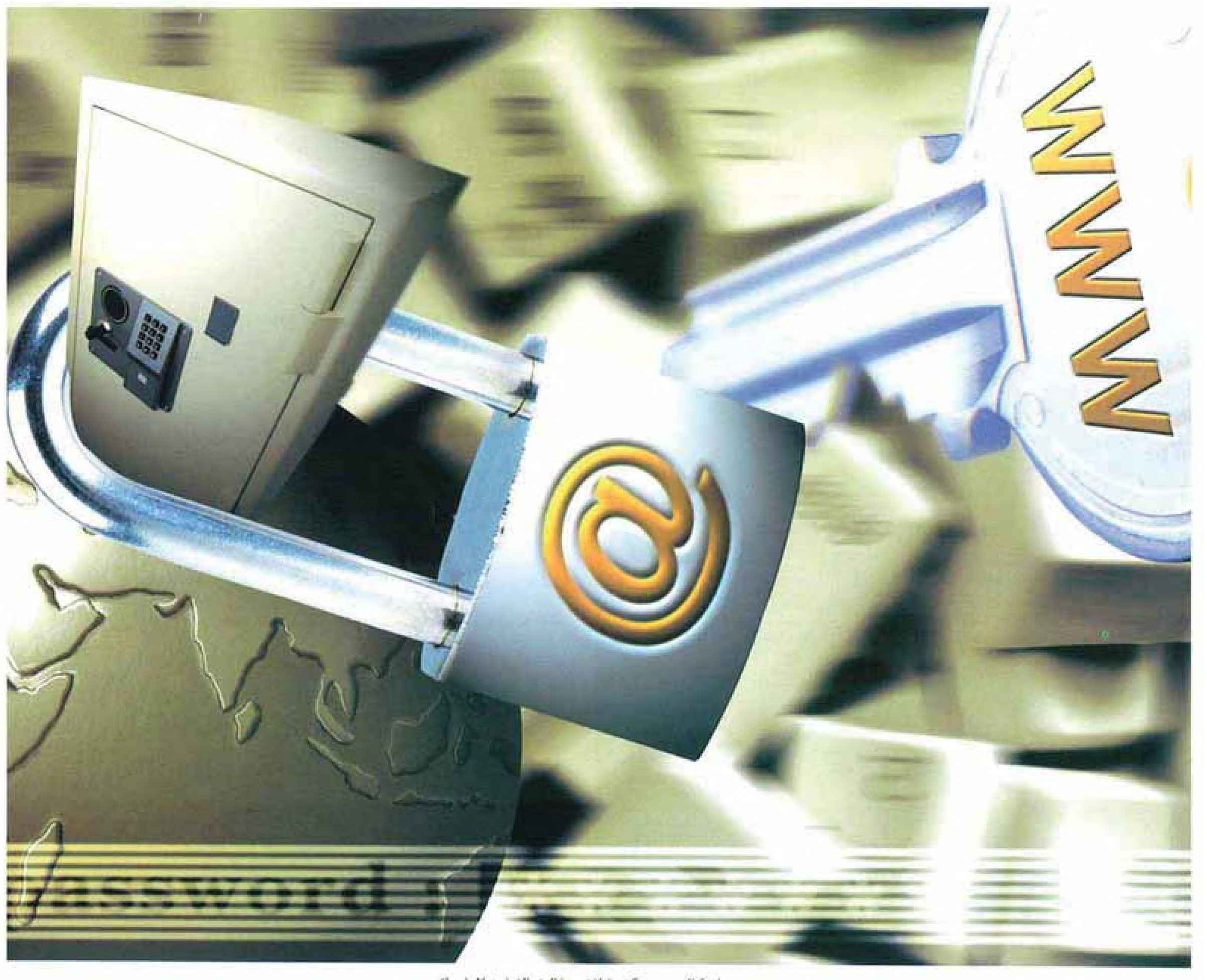
المرحلة الأولى من القمة العالمية لمجتمع المعلومات بمدينة جنيف

بعد عقد عدة اجتماعات تحضيرية، ولقاءات دولية على مستوى الخبراء، استضافت مدينة جنيف المرحلة الأولى من القمة العالمية لمجتمع المعلومات، كما كان مقرراً من ١٠ إلى ١٢ديسمبر عام ٢٠٠٣م، على الرغم من التوتر الذي طرأ على العلاقات الدولية بسبب الحرب على العراق؛ وقد شارك في القمة أكثر من ١٠ آلاف شخص يتوزعون على النحو الآتي:

- ٤٥٩٠ ممثلاً عن ١٧٦ دولة.
- ١١٩٢ ممثلاً عن ١٠٠ منظمة دولية.
- ٢٣١٠ ممثلين عن ٤٨١ منظمة غير حكومية.
- ٥١٤ ممثلاً عن ٩٤ مؤسسة من القطاع الخاص.
- ٩٧٠ صحفيًا عن ٦١٣ وسيلة إعلام.
- ٩٢ رئيس دولة، و ٥ نواب رئيس، معظمهم من البلدان النامية.
- ٤٧١ ضيفًا.

ومن بين الهيئات والمنظمات العربية والإسلامية والدولية التي حضرت القمة جامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والاتحادين الأوربي والإفريقي، ومركز التجارة الدولية، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، وصندوق الأمم المتحدة للسكان، ومنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة، ومنظمة التجارة العالمية، واليونسكو إلخ...

وخلال يومي المؤتمر عُقدت ثلاث موائد مستديرة، كانت الأولى تحت عنوان «إيجاد فرص رقمية». فقد ناقش المشاركون موضوع حق تمكين شعوب العالم من الحصول على تقنيات المعلومات والاتصالات بوصفها حجر الزاوية لبناء مجتمع المعلومات، وهو حق تتقاسمه الإنسانية، وهذا الأمر يتطلب وضع الأطر القانونية



حاجة إلى جهود كبيرة لفتح مغاليق التعاون المعلوماتي

والتشريعية لتشجيع كل شعوب العالم على الاستفادة من تقنيات المعلومات، وتبادلها والاستثمار فيها، بالإضافة إلى إيجاد شراكة وتعاون في محاولة لسد الفجوة الرقمية بين البلدان الغنية والفقيرة؛ والمائدة المستديرة الثانية كان موضوعها «الفرص والتحديات». فقد ناقش المشاركون فيها مسألة التوفيق بين تدفق المعلومات في عالم رقمي، مع ضرورة الحفاظ على التنوع الثقافي واللغوي المحلي، وحرية التعبير والذوق العام على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)؛ أما المائدة المستديرة الثالثة، التي كان موضوعها «تقنيات المعلومات والاتصالات كأداة من أدوات تحقيق الأهداف الانمائية»، فقد كانت مناسبة فريدة بالنسبة إلى المشاركين للتباحث حول آفاق تحقيق التنمية الشاملة للشعوب كافة، وخاصة في مجالي التعليم والصحة، بالاستفادة المثلى من تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة.

نتائج المرحلة الأولى من القمة

خلال المرحلة الأولى من القمة العالمية لمجتمع المعلومات التي احتضنتها جنيف تمّ اعتماد وثيقتين

رسميتين، هما: إعلان المبادئ، وخطة العمل:

- إعلان المبادئ تحت عنوان: «بناء مجتمع المعلومات: تحد عالمي في الألفية الجديدة»؛ فقد تضمن المحور الأول منه، الذي يحمل عنوان: «رؤيتنا المشتركة لمجتمع المعلومات»، التزام المجتمع الدولي بناء مجتمع معلومات جامع وشامل لكل دول العالم، يهدف إلى تنمية الإنسان أينما كان؛ وهذه الرؤية المشتركة في بناء مجتمع المعلومات تؤكد مبدأ المساواة في الفرص المتاحة، وعلى البعد العالمي الذي يجب أن تكون عليه حقوق الإنسان، وحرياته الأساسية من حيث الحصول على التعليم والمعرفة والمعلومات والاتصالات، الأساس الأول لتقدم البشرية. كما ألحت الدول المشاركة في هذه القمة على ضرورة التوزيع المتكافئ لمنافع تقنيات المعلومات بين فئات المجتمع الإنساني كافة، بما من شأنه أن يحول الفجوة الرقمية بين البلدان المتقدمة وتلك التي تمر اقتصادياتها بمرحلة تحول إلى فرصة رقمية في متناول الجميع تعكس تضامن الشعوب والأمم بعضها مع بعض.

أما المحور الثاني من إعلان المبادئ فقد تضمن التزام الحكومات بتطوير البنية التحتية لتقنيات وشبكات المعلومات والاتصالات حتى يسهل على الجميع الوصول إلى المعلومات، ويتم بعد ذلك اكتساب المعرفة من قبل كل الأطراف بشكل يسهّل بناء القدرات الفردية، ويكسب المهارات التي تمكن من فهم مجتمع المعلومات واستيعابه، ثم إثرائه وإعادة صياغته وبنائه.

وقد جاء في المحور الثالث من إعلان المبادئ تأكيد ضرورة تقاسم المعرفة من أجل بناء مجتمع معرفي يحترم الخصوصيات الثقافية واللغوية للشعوب والأقوام البشرية التي، على الرغم من انخراطها في مجتمع المعلومات، تحافظ على هويتها وكيانها. وتتاح لأفرادها المعلومات بحرية ومساواة ومسؤولية لسد الفجوة الرقمية، وتسخير الجهود نحو التنمية الحقيقية التي تستفيد منها شعوب العالم كافة.

- خطة العمل: تهدف خطة العمل إلى ترجمة تلك المبادئ إلى مشروعات وخطوط عمل، وإستراتيجيات، من الواجب اتباعها لكيلا تبقى المبادئ حبراً على ورق؛ لذلك تصاغ الخطط العملية في شكل أهداف إنمائية يشترك في تنفيذها الحكومات، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني، والمؤسسات الإقليمية والدولية حتى تتمكن من الرقي والتقدم باستخدام المعلومات وتقنيات الاتصال الحديثة، وتجاوز الفجوة الرقمية بين دول العالم.

وخطة العمل كما أقرتها القمة العالمية لمجتمع المعلومات في جنيف تتكون من أربع مراحل، هي:

- «خطوط العمل»: وتتمثل في وضع الإستراتيجيات والآليات اللازمة لتحقيق أهداف التنمية، وتحسين البنية التحتية للمعلومات والاتصالات، بالإضافة إلى تحسين القدرات الفردية في الاستعمال الأمثل لتقنيات المعلومات والاتصال الحديثة وسط بيئة شفافة وحرة ومسؤولة، وتتحلى بالثقة والأمن، وتحث على الإبداع وأخذ المبادرة.

- «جدول أعمال التضامن الرقمي»: ويهدف إلى تهيئة الظروف التي تمكن من تعبئة الموارد البشرية والمادية والتقنية؛ لتستوعب جميع الفئات الاجتماعية في مجتمع

خلال المرحلة الأولى من القمة العالمية لمجتمع المعلومات التي احتضنتها جنيف تم اعتماد وثيقتين رسميتين، هما: إعلان المبادئ تحت عنوان: "بناء مجتمع المعلومات: تحد عالمي في الألفية الجديدة" وخطة عمل: تهدف إلى ترجمة تلك المبادئ إلى مشروعات وخطوط عمل وإستراتيجيات



العالم المتقدم ينعم بوسائل اتصال متطورة تفتقدها الدول النامية

المعلومات الناشئ. بالإضافة إلى استنفار جميع الظروف والموارد اللازمة الأخرى.

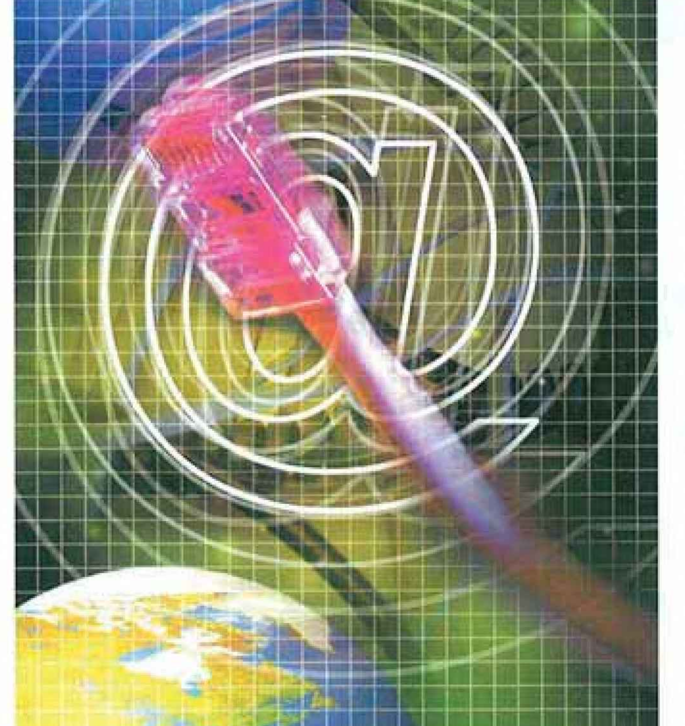
- «المتابعة والتقويم»: دعت خطة العمل التي أقرتها القمة أيضًا إلى صياغة مخطط واقعي لتقويم الأداء، وتحديد علامات القياس (النوعية والكمية) بواسطة المؤشرات الإحصائية المقارنة، وإبراز نتائج البحوث؛ وذلك لمتابعة تحقيق الغايات والأهداف الواردة في خطة العمل.

- «نحو المرحلة الثانية من القمة العالمية لمجتمع المعلومات بتونس» يُتوقع من قمة تونس العالمية لمجتمع المعلومات أن تنظر في متابعة وتنفيذ خطة عمل مرحلة جنيف على الأصعدة الوطنية والإقليمية والدولية، وصياغة الوثائق النهائية المناسبة، استنادًا إلى النتائج الرامية إلى دعم عملية بناء مجتمع معلوماتي عالمي، وإلى تقليص الفجوة الرقمية.

تقويم نتائج القمة العالمية لمجتمع المعلومات بجنيف

خلال الإعداد للمرحلة الأولى من القمة العالمية لمجتمع المعلومات، اتفق الجميع على أنها تكتسب أهمية قصوى، خصوصًا أنها تُعدّ حاسمة وتاريخية، لما ستفضي إليه من نتائج منتظرة، من شأنها أن تسهم بفاعلية في بناء مجتمع المعلومات، وتقارب الهوة الرقمية بين بلدان الشمال وبلدان الجنوب أو ردمها.

غير أن المتأمل في النتائج التي أفضت إليها يفاجأ بغياب توافق بين مجموعة الدول المشاركة، وظل الكثير من الملفات مفتوحًا، والقضايا العاجلة لا تزال عالقة، وتم تأجيل بحث المسائل الشائكة إلى قمة تونس، ولاسيما مسألة تمويل صندوق التضامن الرقمي الذي طالب الأفارقة بإنشائه؛ لمساعدتهم على نشر التقنيات الحديثة،


برنامج عملي مدروس لتقليل الهوة المعلوماتية بين الشمال والجنوب

مثل: الإنترنت، والهاتف الجوال بطريقة أوسع وأسرع؛ كما أن قمة جنيف لم تنعكس على نتائج ملموسة ذات أهمية كبيرة، ولم تتمكن من حسم القضايا الشائكة، وهذا ما يضاعف من دور قمة تونس في إنقاذ العالم من خطر الهوة الرقمية التي تهدده.

المرحلة الثانية من القمة العالمية لمجتمع المعلومات بتونس

إيمانًا منها بأن القمة تشكل فرصة فريدة للمجتمع الدولي لمناقشة مجتمع المعلومات، ووضع تصور له من خلال إشراك الجهات الأساسية والفاعلة من دول، ومنظمات دولية، ومؤسسات القطاع الخاص، والمجتمع المدني، والمنظمات الحكومية، بالإضافة إلى سعيها إلى التطرق إلى قضايا رئيسة ترمي إلى بناء مجتمع المعلومات، وصياغة السياسات، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والاهتمامات الثقافية والأخلاقية والتقنية: فإن تونس قدمت ترشحها لاستضافة المرحلة الثانية من القمة العالمية لمجتمع المعلومات بعد أن شاركت في أعمال المرحلة الأولى من مجتمع المعلومات بجنيف بوفد رسمي رفيع المستوى قاده رئيس الدولة الذي ألقى كلمة أكد فيها أن «بناء مجتمع المعلومات والاتصالات يشكل خيارًا وطنيًا جوهريًا لتونس»، وأن «الفجوة الرقمية هي فجوة تنموية، وهوة تعوق الحوار بين الحضارات قبل أن تكون فجوة تكنولوجية»، وأن «رؤية تحقيق مجتمع يشمل الجميع تقتضي العمل على إشاعة أواصر التضامن والتآزر بين شعوب العالم قاطبة بقصد تقليص الفجوة الرقمية، والحد من مخاطرها».

وقد حرصت تونس كذلك على الإعداد الجيد للقمة بتهيئة الأجواء المناسبة لاستقبال ما لا يقل عن ١٥ ألف مشارك في القمة، من بينهم ٦٠ رئيس دولة، وبإنشاء لجنة تنظيم وطنية تعمل مع الأمانة التنفيذية، واللجنة الدولية العليا التابعة للاتحاد الدولي للاتصالات على وضع برنامج عمل واقعي ومدروس يرمي إلى الحد من الخلل في مستوى التنمية بين بلدان الشمال والجنوب، خاصة فيما يتعلق بامتلاك تقنيات الاتصالات والمعلومات، وإيقاف تيار الهوة الرقمية، وإصدار وثائق مرجعية تعتمدها دول العالم لبناء مجتمعات متجانسة، من حيث التنمية بتطوير البنية التحتية للمعلومات والاتصالات، وبإبرام اتفاقيات شراكة، لتنمية الموارد البشرية، ورفع مستوى مهاراتها، والحد من قرصنة المعلومات أو إساءة استخدامها، دون المساس بحرية التعبير، أو خصوصيات الأفراد والمجتمعات، والأمن العام، وحقوق الملكية الفكرية.



العلا: الطاردة الجاذبة *

(2)

هاشم علي بكير الشريف

الرياض - السعودية

في هذا العدد تجيء الحلقة الثانية من أصل ثلاث حلقات استطلاعية خاصة بالعلا.. ففي الأولى كنا قد أوردنا نظرة شمولية عن وادي القرى ـ العلا ـ أسمائها، ولمحات من تاريخها، وبعض أحيائها وأخيافها وعيونها، ورأينا مشاهدات من آثارها وماضيها وحاضرها.. وعرضنا لبعض أعيانها.

توقفنا في عين البركة، رأينا مشاهد من محطة السكة الحديدية، شاهدنا آثار التعديات السافرة للبحث عن الكنوز، زرنا الأعيان...

توقفنا في الديرة؛ تاريخها، ماضيها القريب، سوقها، حركة البيع والشراء، ورأينا جوانب من أحيائها، جبالها، بعض آثارها، تعرفنا إلى بعض معالمها، عين تدعل، جبل أم ناصر، مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونتواصل في هذه الحلقة مع العلا نتنقل هنا وهناك، ونقف عند بعض ما يستحق الوقوف.. وقبل ان نغادر خيف البركة، فهناك قصة تعليم البنات وهي تجربة فريدة من نوعها.

تعليم مختلط

لمّا لم يكن هناك مدارس بنات بعد في العلا، وذلك في أواخر السبعينيات من القرن الهجري الماضي، وكانت المدرسة المنشية بالعلا - البِرْكة - مجاورة لبيت الشريف علي بكير، فكانت ابنته نور الهدى - وهي صغيرة في ذاك الوقت - ترقب أخاها بكيرًا الذي



يكبرها، وأبناء الجيران أقرانها في الجيرة يذهبون إلى المدرسة، ويتعلمون القراءة والكتابة. فاستهوتها المسألة فأخذت تذهب معهم، وتقف عند باب الصف مستمعة خارجية. وما لبث أن تفاهم والدها، وهو متعلم، ويدرك قيمة تعليم البنات مع المسؤولين في المدرسة، وكان مديرها آن ذاك الأستاذ/ محمد عبدالله المبارك. رحمه الله. فسمحوا لها أن تنتظم مع الطلاب في الصف، فصارت تكلّف بما يكلف به زملاؤها وتدخل الاختبارات معهم، بل وتمنح شهاداتها كأي طالب آخر. وكان ذلك تجاوزًا محمودًا من قبل أناس واعين متحضرين لا تحدوهم عقد ولا أوهام.. ومضى الحال إلى أن حصلت نور الهدى على عدد من السنوات الدراسية الأولية. وقد خلف الأستاذ/ سالم الحداد على إدارة المدرسة في أثنائها.

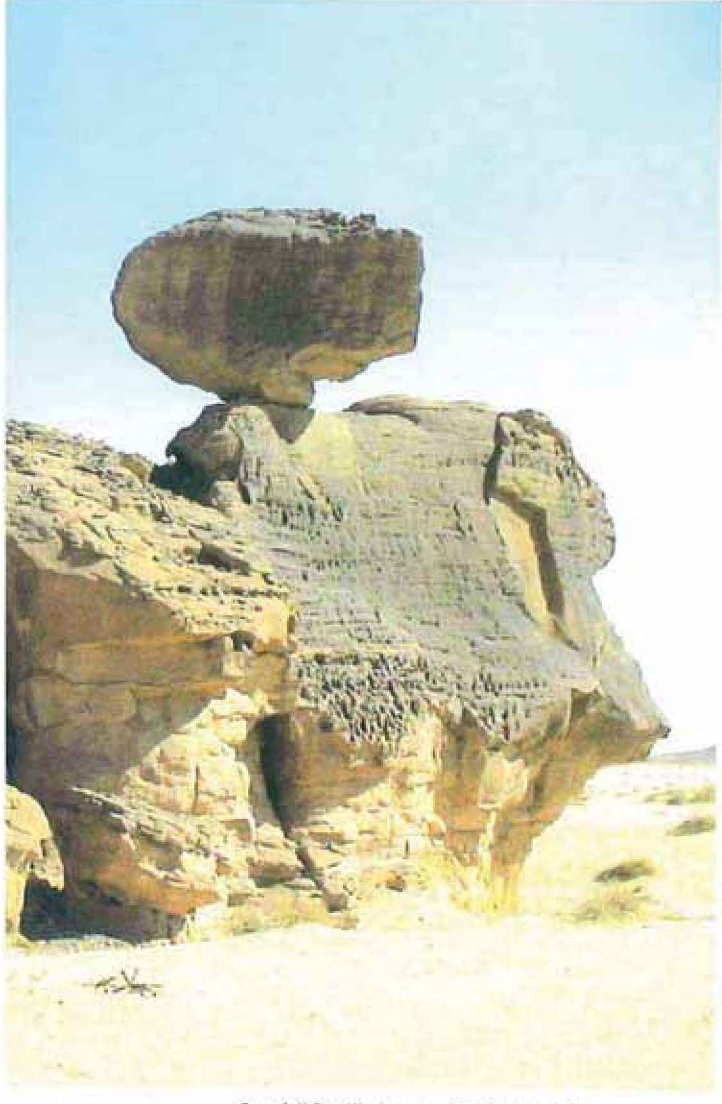
بعدها بسنوات قليلة توافق بعض أعيان العلا على فتح مدرسة بنات أهلية شبه خيرية، فتكفل مسؤولو المدرسة المنشية بتوفير الكتب والطباشير والسجلات وضرورات التعليم.. وتبرع صالح خليفة. رحمه الله.

بدار للمدرسة، وتبرع الشريف علي بكير بابنته نور الهدى مدرِّسة، وعينت عربية القبلي - رحمهما الله - وهي المتعلمة في الأردن براتب يساوي ٢٥٠ ريالاً، وعينت الأستاذة مشيرة وهي مصرية مرافقة لزوجها مهندس الزراعة براتب ٣٠٠ ريال. وكان يؤخذ على كل طالبة ٣٠ ريالاً شهريًا وبقي الحال إلى أن ضُمت المدرسة إلى الرئاسة العامة في نحو سنة ١٣٨٣هـ.

ولا تزال نور الهدى كما هي الحال مع زملائها وأقرانها يتذكرون أيام الدراسة والزمالة بكثير من الحنين لما فيها من ذكريات طفولة وجيرة وزمالة ودراسة لا تنمحي من الذاكرة، ولا يزال عطرها يعبق السنين.

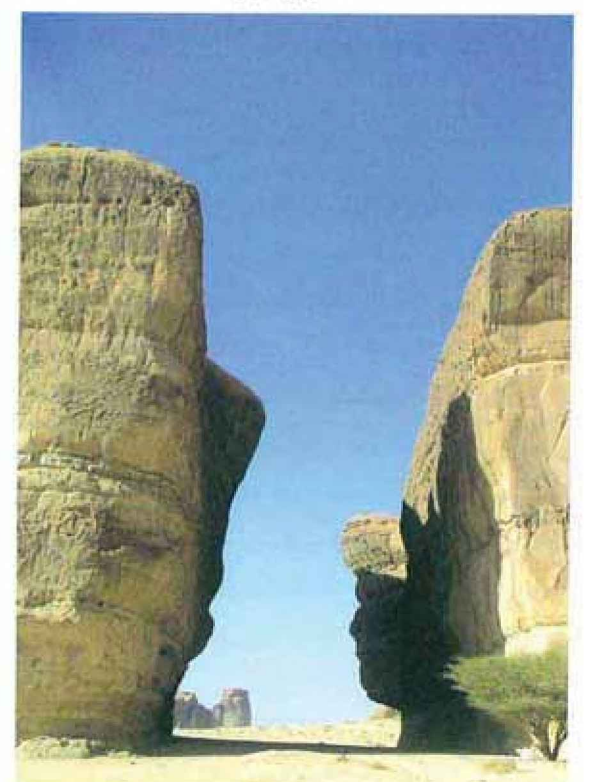
الخريبة

في الشمال من الديرة تقع أخياف الزهرة

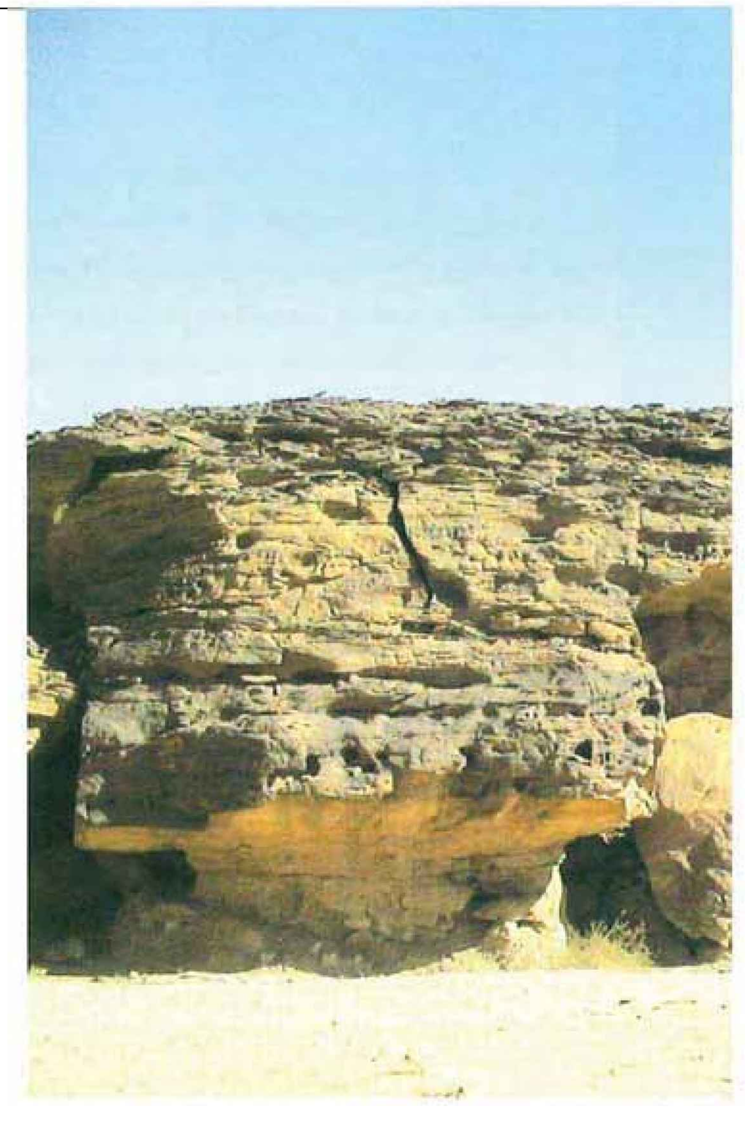


عوامل التعرية تتجلى في هذه اللوحة الطبيعية

ممر بين جبلين



من مغريات جبل عكمة الجاذبة كثرة أوكار الطيور (عقبان) في أعاليه الشرقية المواجهة لأول أشعة شمس تصيب المنطقة. ومشهد الطيور وهي تطير وتعود لتقع في أوكارها بما تحمله من غذاء لصغارها

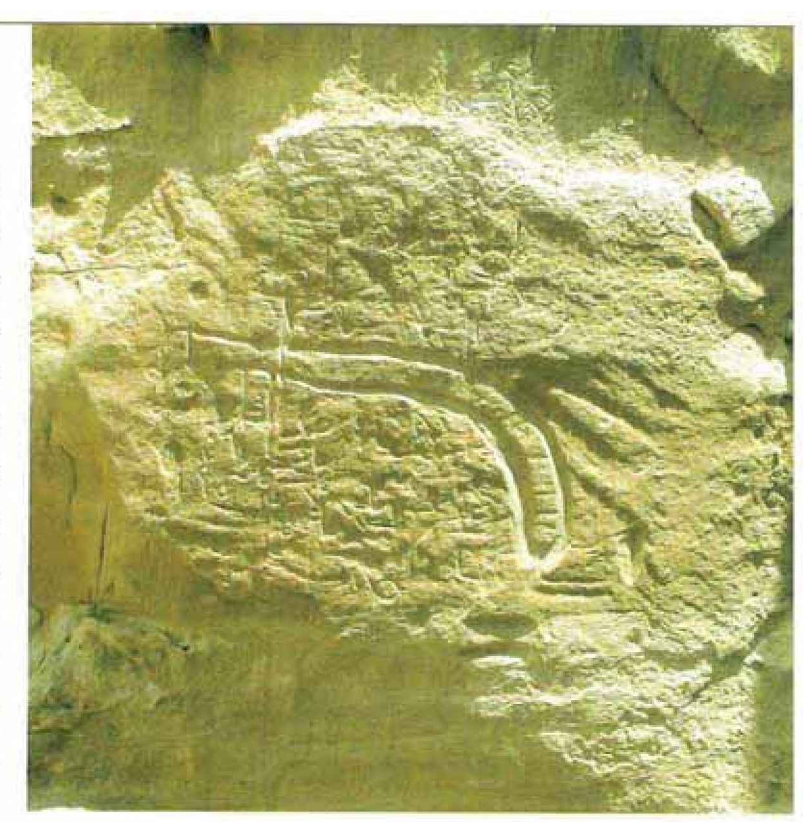


القطَّار هو جبلٌ يقع جنوب شرق العلا، يرده سكان البادية المحيطة للتزود بالماء، وهو جبل ركامي يمتص مياه الأمطار الهاطلة عليه، ويسربها نضحًا من قاعه عبر مغارات صغيرة ومتوسطة الحجم ممتلئة بالماء الزلال المتجدد

والصالحية، وغيرهما. وتقع إلى الشرق منهما خرائب وأطلال مدن أثرية قامت بعضها فوق بعض فأصبحت طبقات، كل مدينة تخفي تحتها أخرى، وهذا ما تدل عليه البحوث الأثرية المتأخرة، والقائمة على قدم وساق، حيث تحتكر جامعة الملك سعود البحوث والتنقيبات الأثرية هناك.. وهذه المنطقة الممتدة في أحضان الجبال الشرقية قبل تحول طبيعتها كلما اتجهنا شمالاً حيث تصبح جبالاً منفصلة ومتناثرة بتشكيلات أخاذة تسمى حاضرًا بـ «الخريبة» وهي خربة حقًا يغطي ركامها المكون من أكوام ممتدة على مدى كيلومترات تزيد على الثلاثة تضيق وتتسع عرضًا تبعًا لطبيعة الجبال الحاضنة لها مكونة من ركام كثيف وسميك من الحجارة المشذبة والمرقومة الحمراء المأخوذة من الجبال الحاضنة.. ومن أهم المعالم الظاهرة حتى الآن في الخريبة الحوض الحجري المنحوت من صخرة واحدة، وهو دائري الشكل بعمق مترين تقريبًا وبقطر يساوي عمقه. في جانب من داخله توجد ثلاث درجات، وسمك جداره نحو عشرة سنتيمترات، ويعرف هذا الأثر بـ «محلب الناقة».

وتقول الحكاية: إن ناقة صالح عليه السلام المذكورة في القرآن الكريم بشيء من التفصيل كانت تشرب الماء يومًا، وشرب - ثمود - يومًا، وكانت الناقة تسير على طول الوادي من أعلاه إلى أسفله - ويقال من الشام حتى اليمن صعودًا ونزولاً - تشرب الماء يومًا، وتحلب آخر.. وأما محلب الناقة في الخريبة فلم يكن سوى واحد من المحالب المنتشرة على طول الوادي، إن صدقت رواية المحلب فهذا يعني أن الناقة كانت تحلب كميات هائلة من الحليب في كل يومين، إذ إن المحلب الوحيد القائم حتى يومنا يتسع إلى أطنان من الحليب.

ولكن المنطق يقول: إن ما يعرف بالمحلب لم يكن



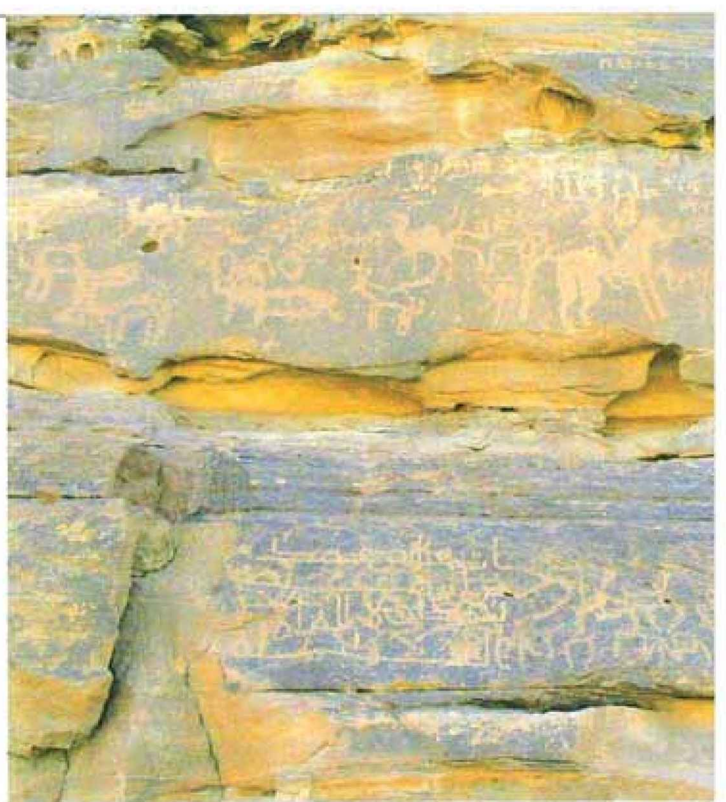
رموز ونقوش نبطية منتشرة في كل مكان

كذلك خاصة أنه يعلو بأكمله كل طبقات الآثار تحته وحوله، وهذا يعني أنه يعود في أصله إلى حضارة متأخرة قامت في المكان ذاته فوق أطلال سابقاتها.. وكذلك إذا وضعنا في الحسبان أن الآثار الثمودية الإنشائية (المنشأة) مطمورة في أغلبها تحت الأرض بسمك يصل أمتارًا بسبب تعاقب الزمن عليها، وتعاقب الحضارات التالية لها، وهو ما تؤكده السيول الجارفة التي تصيب العلا كل فترة من السنوات حيث تجرف التربة فتظهر كنوز أثرية لحضارات متعاقبة من أقدمها الثمودية - النبطية.

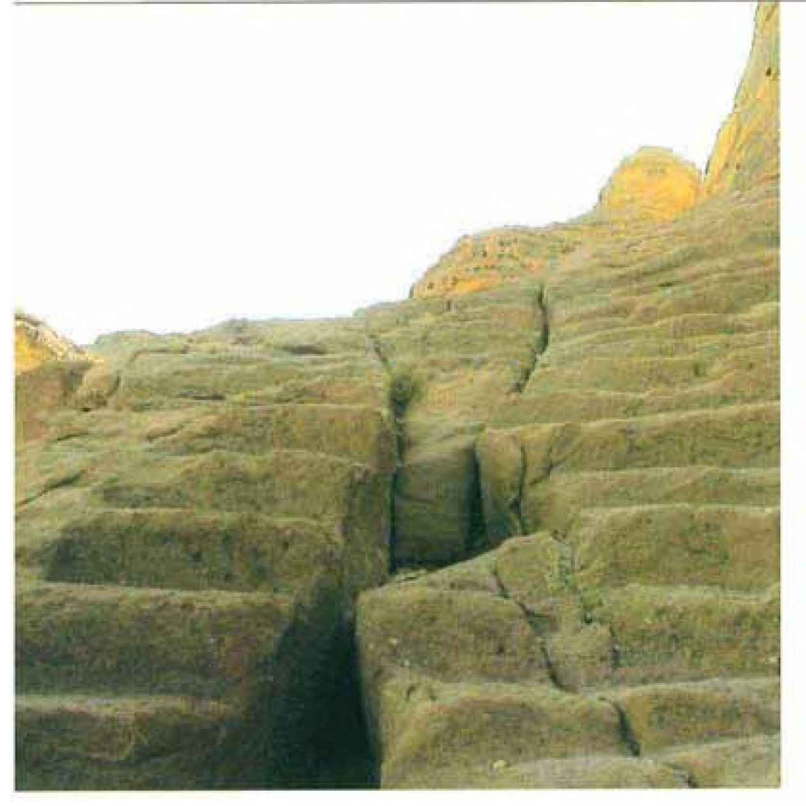
وتشهد العلا من حين إلى آخر أمطارًا غزيرة، وسيولاً جارفة تتلاطم من جال إلى جال بين سلاسل الجبال منحدرة من أعلى الوادي تسندها روافد لا تحصى منهلة من الأعالي على جانبي الوادي، تدعمها شلالات ساقطة من قمم الجبال بمنظر أخاذ.. وفي بعض الأحيان تتفاقم السيول، وتتعاظم إلى أن تصبح هادرة يسمع هديرها من مسافات بعيدة جارفة لا تبقي شيئًا في طريقها.. فتصبح خطرًا محدقًا يسقط فيه ما يسقط من مزارع بأكملها ومواش وحتى بشر.. وأحيانًا كانت السيول تلجئ الناس إلى الهرب من بيوتهم المحيطة بها المياه واللجوء إلى الجبال بما فيها من مغارات وصخور وإلى القلاع العثمانية فتزدحم الجبال والقلاع بالأسر عدة أيام بلياليها ولا يخلو الأمر من نشوء علاقات جديدة وحميمة بين أناس جمعتهم شدة وألجأتهم محنة إلى تقاسم المكان المحدود والمشاركة بالزاد الموجود.

ولعل من أواخر الشواهد على هذه السيول سيل سنة ١٤٠٦هـ، وقبله سيل ١٣٩٢هـ الذي أخرج غالبية سكان العلا من بيوتهم الطينية أن ذاك عدة أيام، فامتلأت الجبال والقلاع، وانتشرت الخيام في كل مكان آمن. وكان الناس، وقد جمعتهم الشدة، يتحلقون حول النار يشعلونها لجلب الدفء، والدفء ينشأ في صدورهم فتجمعهم مواقف وحاجات تترك في النفوس ذكريات وأثرًا يدوم مع دوام الحياة.. بل إن بعض هذه

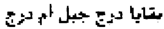
الملاحظ على جبل أم درج أن اللوحات المنقوشة عليه متصلة على طول الجادة الأصلية المندثرة، وهذه اللوحات غنية جدًا بالصور والرموز والكتابات، وقد أصابتها كثرة تداول الأيام بانهيارات وتشوهات كثيرة، إضافة إلى العبث الذي طالها مخربًا كثيرًا منها



لوحة أثرية على امتداد درج وقد انهار أغلب أجزائها



مقايا درج جبل أم درج



المواقف ربما تطورت لتنتج علاقات اجتماعية قد تثمر عن زواج أو نسب أو حتى رضاعة..».

ولا تزال تسمع بعض القصص والحكايات التي تروى هنا وهناك الناتجة من تلك الظروف والمناسبات، وفيها كثير من الدروس والعبر والمواقف الإنسانية.

وبمقابل السيول الجارفة التي تضرب المنطقة من حين إلى آخر كانت العلا تصاب أيضًا بفترات جفاف يستدعي اللجوء إلى الله عز وجل من خلال صلاة الاستغاثة التي كانت تثمر أحيانًا قبل أن يغادر الناس صعيد الصلاة فينشأ السحاب سريعًا، ويهطل المطر غزيرًا، والناس لا يزالون في المصلى فيتداركون أنفسهم بما معهم من أردية يتقون بها المطر.

وفي الخريبة وبجوار المحلب نجد الحفريات التي تقوم بها بعثات جامعة الملك سعود، وقد كشفت عن دور ظهرت جدرانها وأغلب ما ظهر منها لا يزال متماسكًا متينًا مبنيًا من حجارة مقطوعة ومشذبة بعناية بعضها مرقوم بنقوش رائعة.. وفيها نجد بقايا أو أجزاء من تماثيل حجرية بالحجم الكامل، مقطعة الرؤوس، تعرضت لعبث ما.. ولا يفوت أن نشير إلى أن الحفريات الكشفية القائمة بعضها ملاصق تمامًا لحوض المحلب خاصة من الناحية الغربية، وهو ما يخشى منه أن يؤدي إلى انهيار المحلب، وهو قطعة واحدة تزن أطنانًا! لو سقطت لتشظت.

مقابر الأسود

في الخريبة، وتحديدًا في الجبال، توجد مجموعة

كبيرة من القبور المنحوتة عميقا في الجبل بعمق نحو مترين، متناثرة على مسافة كبيرة من الجبال وتعرجاتها.. وعرف أكبر تجمع لهذه المقابر بـ «مقبرة الأسود» حيث إن عددًا من الأسود الخرافية تعلو المقابر، كما لو كانت تحرسها. ولا تزال بعض القبور المبنية كالزرائب تحوي بقايا عظام.. لا يعرف إلام تعود.

ان نحاتين مشاهير تتكرر اسماؤهم على بعض أجمل المقابر وأشهرها.. وهم كثر.

نقش معيني بمقابر الأسود

ومن نقوش المقابر نورد هذا النص: «هاني بن وهب إل من قبيلة مليح طالبًا العفو من نكرح وود



جبل أم درج من خارجه

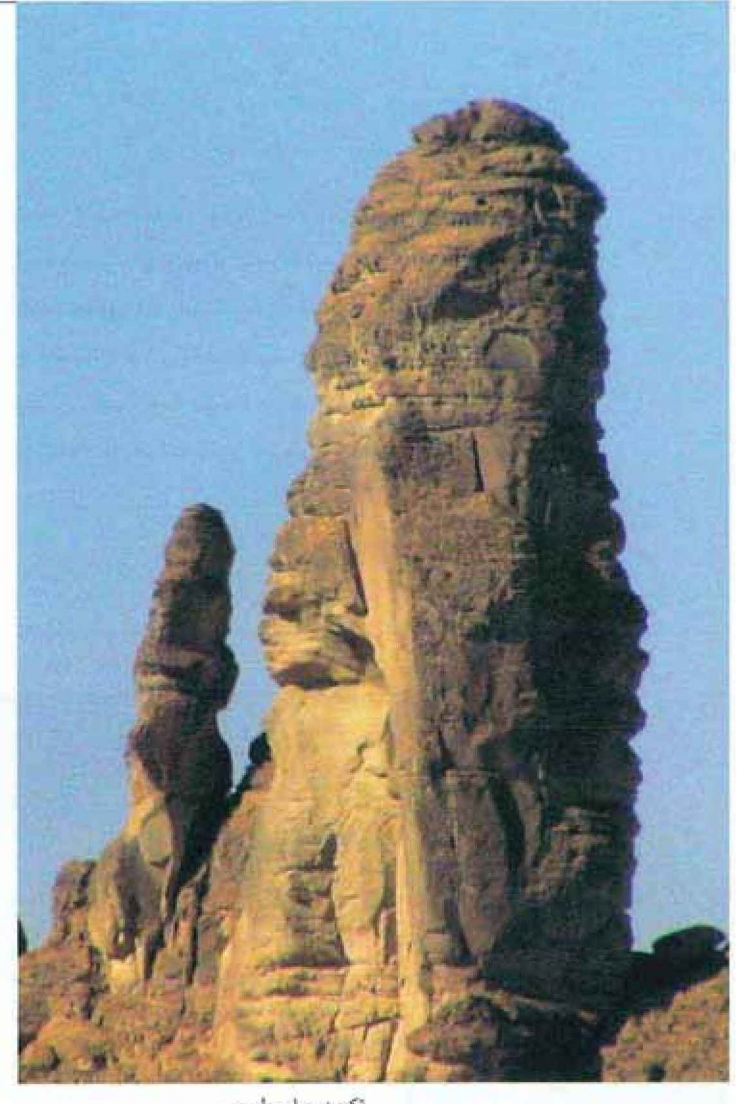


منظر للغيوم والجبال في موسم الأمطار

وفي هذه المقابر، كما هو في أكثرية المقابر، نجد لوحات تعريفية منقوشة فوق المقابر تحوي اسم صاحب أو صاحبة القبر ووقفيتها وتاريخ إنشائها «بذكر اسم الملك الذي أنشئت في عهده» والنهي والتحذير من العبث بها، واسم النحات الذي قام بإنشائها.. وهنا نجد أسماء ملوك معينين، وأكثرهم ورودًا هو اسم الملك «الحارث المحب لشعبه». كما نجد

عندما ينقل إلى القبر، الذي عمر في نفس السنة ونفس التاريخ».

بقي أن نقول إن أهم الحضارات التي قامت بموقع الخريبة هي الحضارة الدادانية قبل الميلاد، وكانت الخريبة عاصمتها المسماة «ددن»،كما تعاقبت عليها حضارات عدة مثل المعينية، واللحيانية، والنبطية، وسائر سلسلة الحضارات المتصلة منذ ما قبل الميلاد



تكوين جبلي طبيعي

بآلاف السنين حتى يومنا هذا دون انقطاع. وللمزيد في هذا الجانب الرجوع إلى «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي وغيره من مراجع التاريخ والتراث.

بين القمة والقاع

في الخريبة وعلى امتداد انحناءات جبالها ترى عددًا من القلاع. بعضها لا يزال مكتملاً. وبعضها لم يبق منها إلا أطلال. والميزة الظاهرة المشتركة التي تجمع هذه القلاع والأطلال هي أنها بنيت في أماكن في غاية الوعورة حيث إنها أقيمت على بروزات في صفحة الجبل القائمة. وفي ارتفاع يقع في الثلث العلوي منه في الأغلب. كما هي الحال مع اللوحات المنقوشة والمرسومة ذات المواقع المرتفعة الوعرة.

ومع مرور الزمن وتقادم الأيام. بما فيها من عوامل تعرية. وقوى طبيعية. انهارت الجسور المؤدية إلى تلك القلاع. وتهدمت السلالم الموصلة إليها.. ولا تعود. كما هو معروف. كل هذه القلاع إلى حضارة واحدة. ولا إلى عهد محدد.. فمنها المتقادمة.. ومنها العثمانية الحديثة.. وحول هذه القلاع تدور حكايات وأساطير مرتبطة بالكنوز والذهب والجن والسحر والرصد.. وكتاب الله..! وتستغل هذه القلاع لادّعاء بطولات مزعومة. ومغامرات متوهمة في أغلبها بدعوى الوصول إليها.. ودخولها.. وربما حدوث مواقف غريبة.. وأوهام بطولية.

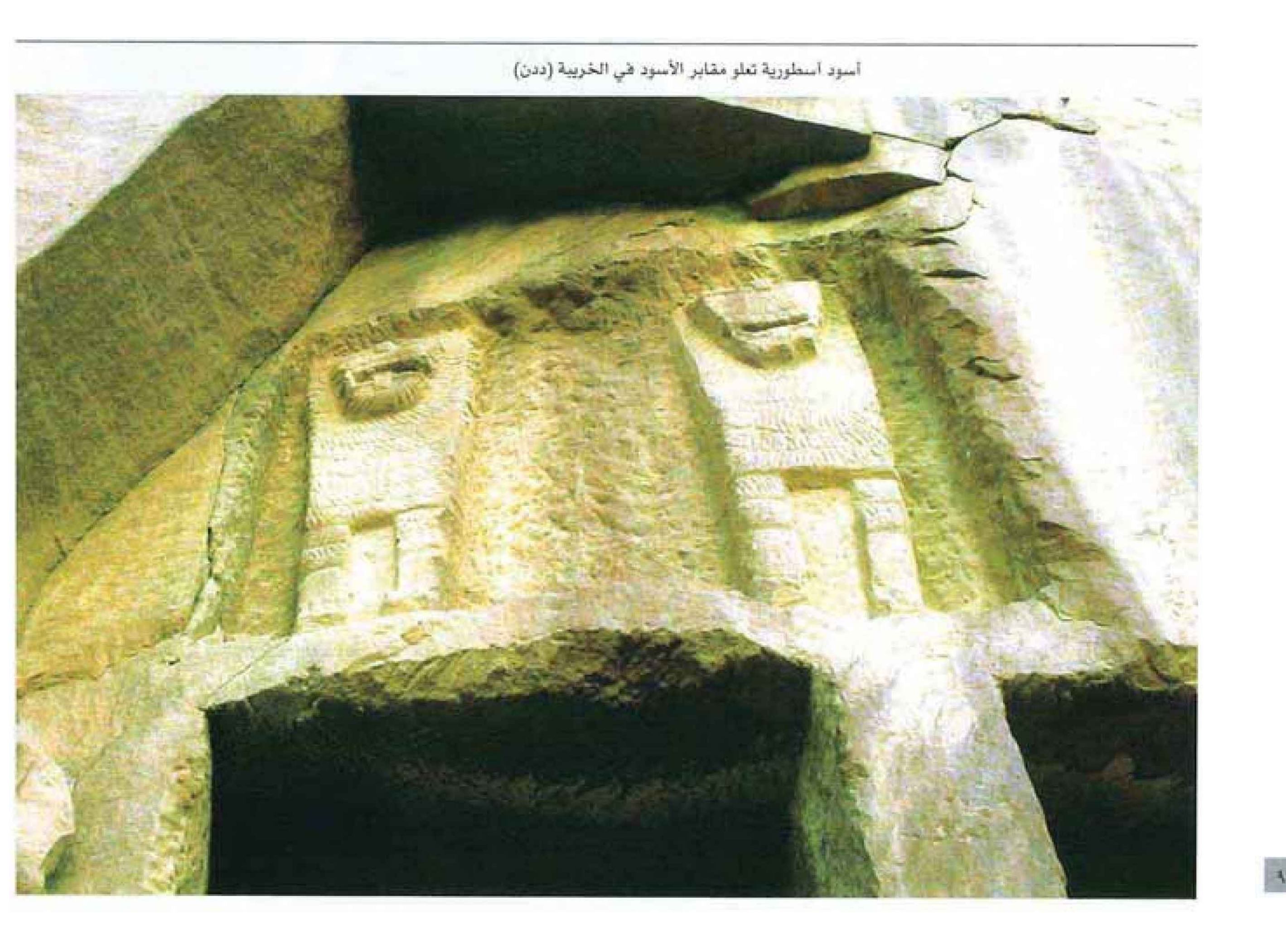
كنا في الخريبة، وكان معي فهد الرويلي ومحمد الشرعبي. وهو شخصية كاريكاتورية مثيرة، مثقف ثقافة ذاتية . قراءة ومتابعة.. وحماسة . له ضحكة مجلجلة بتميز نغمتها، سريع البديهة لمّاح.. وكان قناصًا رائعًا يلمح النقوش والآثار.. والطيور ولو كانت سريعة المرور من بعيد . وقد أفادتنا ميزاته

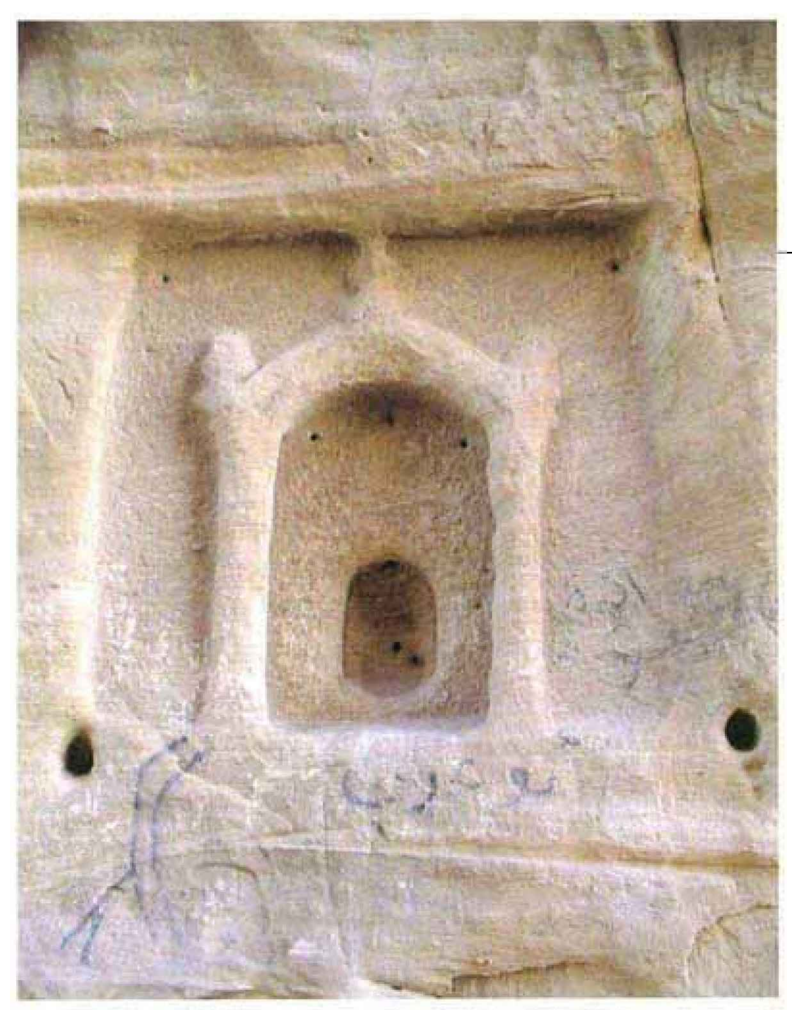
عشرات من التكوينات الخرافية العجيبة على امتداد الجبال. بما تحويه من مناظر إيحائية تتداعى لها خيالات من الذكريات البعيدة. وحكايات الأوهام والأساطير تغرق الناظر إليها بتأملات عميقة ساحرة

هذه كثيرًا، وروّح عنا كل حين.. وكان معنا عوّاد النعيمي ومنصور النحاس.. ومما يلفت النظر في الخريبة وجبالها أنها تحوي تراثًا غزيرًا جدًا من الآثار.. فهي تحت قدميك تحت الركام وأمام ناظريك في الجبال تصلها بسهولة وفوقك في أعالي الجبال تتمنى بلوغها مع أن محاولة ذلك فيه كثير من الخطورة والمغامرة المميتة أحيانًا.. وليس أدل على ذلك من هوس جبل ام درج، وجبل عكمة.

أهم الحضارات التي قامت بموقع الخريبة هي الحضارة الدادانية قبل الميلاد، وكانت الخريبة عاصمتها المسماة "ددن". كما تعاقبت عليها عدة حضارات مثل المعينية، واللحيانية، والنبطية، وسائر سلسلة الحضارات المتصلة منذ ما قبل الميلاد بآلاف السنين حتى يومنا هذا دون انقطاع

أسود أسطورية تعلو مقابر الأسود في الخريبة (ددن)





شبابيك تحمل إيحاءات عقائدية

الحرة وعكمة "وهوس أم درج"

في الجهة الشمالية الغربية سلسلة من الجبال ذات التاريخ والحكايات كما هي الحال مع سائر الجبال والمعالم في العلا.

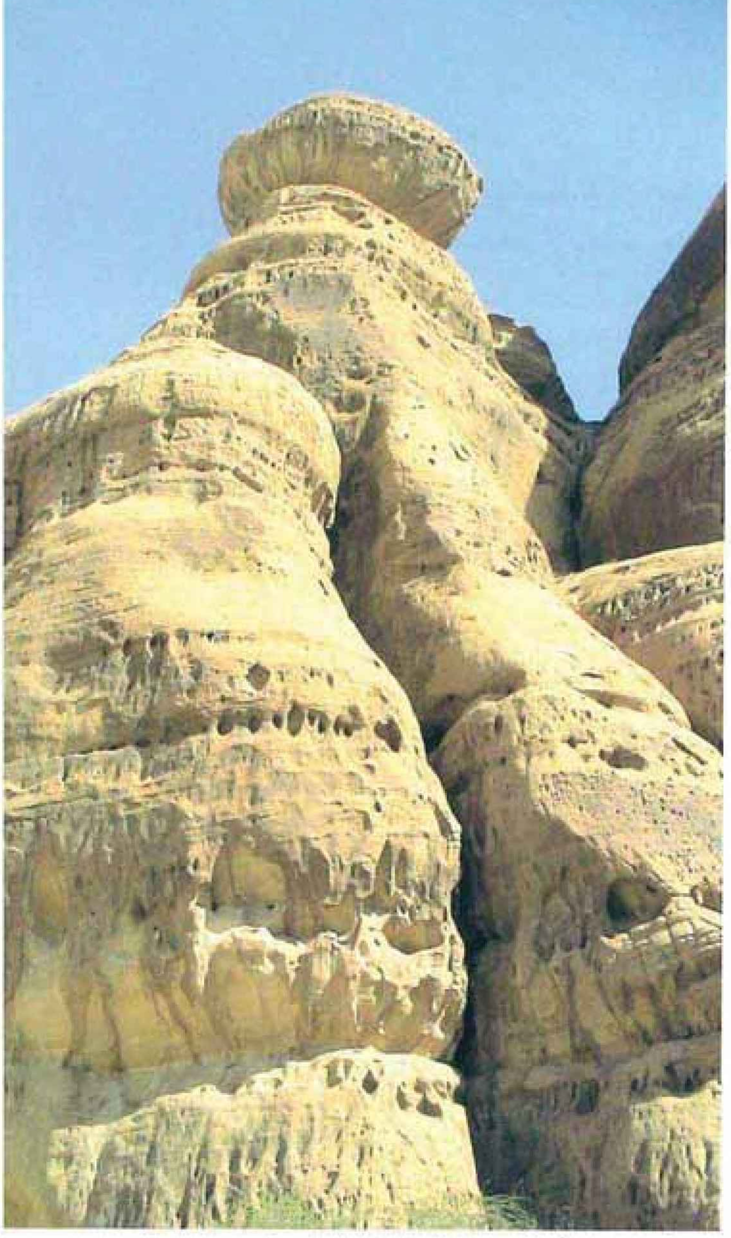
فهذه الحرة (حرة عويرض) وهي قمة جبل تصل إليه عبر طريق ممتد متوغل بين جبل عكمة وجبل الحرة، وهو طريق مسفلت.

والعابر من هذا الطريق لا يكاد يزيح نظره عن الجبال متنقلاً بينها سريعًا مصطادًا عشرات من التكوينات الخرافية العجيبة على امتداد الجبال، بما تحويه من مناظر إيحائية تتداعى لها خيالات من الذكريات البعيدة، ومن حكايات الأوهام والأساطير تغرق الناظر إليها بتأملات عميقة ساحرة، ويمتد الطريق نحو أربعة ٤كم حتى يصل إلى قاع الجبل. ليبدأ الطريق بالصعود بعد عبور بوابة ليست لها أي ضرورة. وكان هذا الطريق في أصله جادة قديمة، استخدمها البدو والعثمانيون.. يبدأ الطريق صعودًا بتعرج وعر وصعود مجهد للسيارات بمنعطفات ضيقة.. تأخذك المسافة نحو نصف ساعة حتى تستوي فوق الجبل فتجد حرة ممتدة بامتداد النظر تغطيها الأحجار البركانية السوداء وتتخللها طرق البادية وجوادّهم (جمع جادّة. وهي الطريق الأعظم الذي يجمع الطرق) المرئية من الأعلى متلوية بين قمم الجبال أمامك وعلى سفوحها.. ويتجه بك الطريق إلى الحافة الشرقية من الحرة إلى أن يتوقف عند مطلّ ناله بعض التحسين الطفيف.. من هذا المطل تشاهد العلا أمامك ممتدة يمينًا من مغيرة، وشمالاً حتى الحجر. وتشاهد من هناك كامل المنظر بكل تفاصيله.. العلا.. وأحياءها.. تشاهد التغيرات الحادثة.. تشاهد الجبال وأعاليها.. من هذا المكان يتباين المشهد حسب الأوقات. ففي الصباح ترى ما لا تراه في الظهيرة أو العصر والمغيب.. أو الليل تتباين المشاهد بما طرا عليها من تشميس وتظليل وتعتيم من هناك في الشتاء وموسم المطر تشاهد المسطحات المائية والغدران فوق سفوح الجبال وإذا مازادت

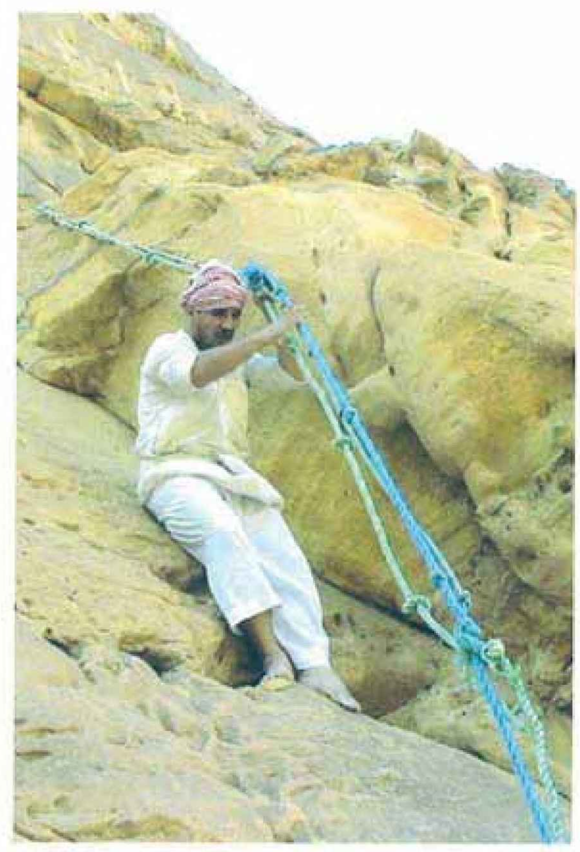
حول القلاع تدور حكايات وأساطير مرتبطة بالكنوز والذهب والجن والسحر والرصد.. وكتاب الله..! وتستغل هذه القلاع لادّعاء بطولات مزعومة.. ومغامرات متوهمة في أغلبها بدعوى الوصول إليها.. ودخولها.. وربما حدوث مواقف غريبة.. وأوهام بطولية

الأمطار فاضت الغدران مكونة سيولاً تجري إلى مساقطها متحولة إلى شلالات موسمية جذابة رائعة.. من على الحرة يمكنك الاستمتاع بمشاهدة السحب تنشأ في الأسفل متصاعدة، وتزداد تراكمًا قبل أن تصلك حيث المطل مكونة مشاهد آسرة بروعتها، ومن على الحرة تشاهد منظر غياب الشمس وسقوطها في الهوات السحيقة البعيدة وراء الجبال الممتدة أمامك..

ومن فوق الحرة إلى الأسفل مباشرة ترى جبل أم درج القائم بذاته بقمتيه المليئتين بالآثار.. والأسرار..



يلاحظ صعوبة تسلق مثل هذه الجبال



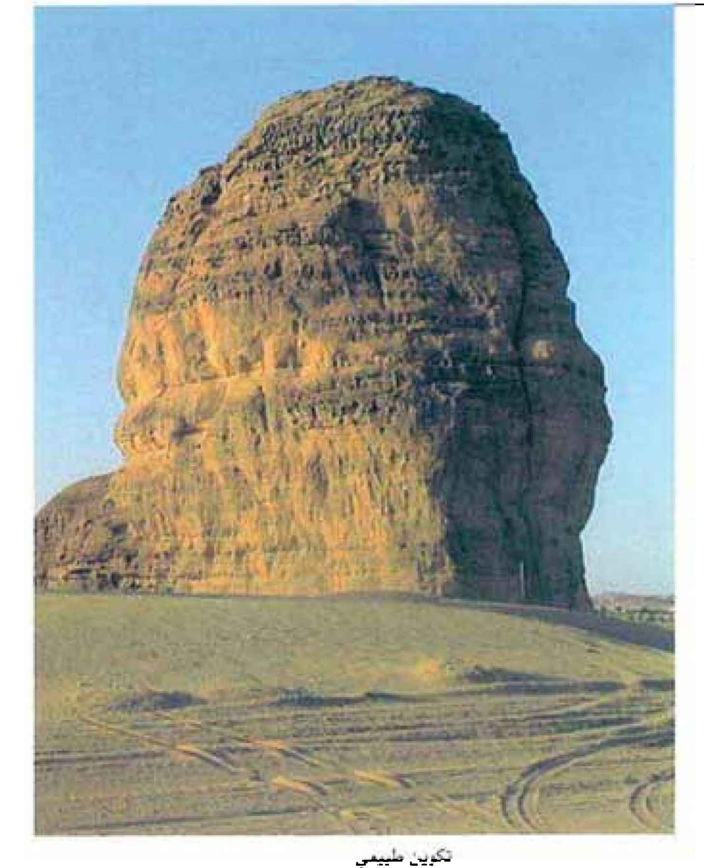
أحد هواة البحث عن الآثار يتسلق جبل أم درج

والأخطار.. وتشاهد غير بعيد إلى الشمال جبل عكمة المرتبط بقصة النبي صالح عليه السلام، وبثمود، والأنباط، وسائر الحكايات كما هي كل الأماكن في وادي القرى.. وفي الحرة، وخاصة في موسم الشتاء والأمطار، تعصف رياح شبه نفاثة الجاتني إلى تجربة المثل القائل «الريح الي ما تقواها.. عنها».. فقد الجاتني شدة عصف الريح إلى الجلوس والالتصاق بالأرض بشيء من القلق والإحساس بالمغامرة الخطيرة خوفًا من ان تقتلعني الرياح فتطوح بي بعيدًا.. أو ...

على الحرة ترددت كثيرًا في كل الأوقات مصطحبًا معي ثلة (النشامى) في بعض الأحيان او وحدي في بعضها متأملاً مستمتعًا لا أدع شيئًا يفوتني دون تصويره.. فمن الغياب إلى السحاب، ومن الجبال وغرائبها إلى الوادي بمزارعه وأحيائه وامتداده.. ومن شروق الشمس وغيابها إلى القمر ورحلته الممتعة بليله ونهاره.

وتتخلل الحرة جواد تحولت إلى طرق برية للسيارات يستخدمها البدو أهالي المنطقة في التنقل بين هجرهم وقراهم الواقعة وراء الجبال الغربية مثل ظاع وغيرها، وبين العلا حيث التسوق والتزود بالحاجيات، وما إلى ذلك من الشؤون الاجتماعية.

الحفريات الكشفية القائمة بعضها ملاصق تمامًا لحوض الحلب خاصة من الناحية الغربية، وهو ما يخشى منه أن يؤدي إلى انهيار الحلب، وهو قطعة واحدة تزن أطنانًا! لو سقطت لتشظت


تكوين طبيعي

أم درج

أم درج جبل قائم بذاته يقع خارج سور العلا الشمالي في الناحية الغربية.. وللمفارقة فإن مركز شرطة العلا الشمالي يقع بمحاذاة هذا الجبل، وعلى مرمى حجر منه.. وجبل أم درج جبل قائم عمودي تروى حوله الكثير من حكايات الأساطير والذهب والجن والسحر وكل الأسطوانة.. سقط فيه من سقط من هواة المغامرة والطامعون دون ان يتحرك أحد لحماية الجهلاء من جهلهم، أو لاستغلال المكان كموقع جذب سياحي مثير وفريد.

استحثتني كثرة ما يروى عن هذا الجبل، وعن اشتمال قمته الكبرى على معبد نبطي مملوء بالآثار



«القطار» أكبر برك جبل القطار

والتماثيل والألواح المرقومة ملحقة به بعض المباني المساندة حسب بعض الروايات، واستحثتني حادثة وقعت لزميل دراسة في المرحلة الثانوية كان فيها آخر ضحايا جبل أم درج..!

أخذت معي فهدًا ومحفوظ الرويلي، ومحمد الشرعبي، وخالد ماضي.. وكان بدر يعاني شدًا عضليًا ألجاه إلى الاستعانة بمكاز يتقوى به على المشي. وأما خالد فقد كان الوحيد من بيننا الذي سبق له أن جاء إلى المكان، ويفترض به أن يدلنا على المراقي غير الوعرة.. إلا أنه سلك أوعر الطرق، وتبعه بدر المصاب؛ مما كلفه مشقة مضاعفة.. بينما أنا ومحمد عيد تبعنا فهدًا، وهو أكثر المجموعة خبرة في تسلق الجبال ومعرفة مراقيها مصحوبة بجرأة على تجريب أوعر المسالك.. إلا أنه قادنا إلى أقرب الطرق وأكثرها اختصارًا وقادنا إلى منتصف الجبل حيث نهاية المرحلة الأولى وبداية المرحلة الثانية المميتة في كثير من الأحيان.. وهذه المرحلة تنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل.. تبدأ الأولى بالاستعانة بحبال تركها الرواد وما زالت تتجدد كل حين، وتبلغ هذه المرحلة نحو خمسين مترًا قائمة على نحو عمودي - حسب تقديري - تليها مرحلة أخرى قد تكون أكثر وعورة من سابقتها، وإن لم يكن يبدو ذلك على نحو جلي، وفيها بعض الميلان الضعيف، وبقايا أطلال درج مسحته السنون والأزمان، تلوح بقاياه هنا وهنالك، ومن هذه المرحلة وقعت بعض الحوادث المميتة. وتبلغ هذه المرحلة في طولها مع ميلانها المتجه يمينًا نحو مئة متر وتزيد.. تليها المرحلة الأخيرة والحاسمة وهي شديدة الوعورة يخيل إليك أن أي خطأ أو غفلة من المتسلق تفقده أي احتمال لأمل بالتصحيح بالمتابعة أو العودة.. وهذه المرحلة تقترب من المئتي متر.. لا شك في ذلك، وجميعها قائمة عمودية محصورة بين قائمين متعامدين يحصران بينهما زاوية قائمة. وفي هذه المرحلة حبال مدلاة من القمة إلا أن ضرر الحبال قد يكون أكثر من نفعها. فلرقي هذه المسافة وتسلقها يحتاج المتسلق إلى جميع أطرافه طوال الوقت، إضافة إلى ظهره كمثبت له مع رجليه يحشره في الزاوية مواصلاً ارتقاءه بوضع شبه جالس، أو قائم .. وهكذا دواليك حتى يبلغ القمة

كانت السيول تلجئ الناس إلى الهرب من بيوتهم المحيطة بها المياه إلى الجبال بما فيها من مغارات وصخور . وإلى القلاع العثمانية. ولا يخلو الأمر من نشوء علاقات جديدة وحميمة بين أناس جمعتهم شدة إلى تقاسم المكان المحدود

منهكًا فاتر القوى لاهثًا متقطع الأنفاس وهذا جانب يحسن عدم إغفاله ويجب أخذ ما يكفي من الماء حتى إن بعضهم قد أصيب بجفاف نتيجة الإجهاد واللهاث الشديد، فأسعفوا إلى المستشفى.

اكتفينا بوصول نصف الجبل. ولم نواصل ولأننا مجموعة مكونة من خمسة أشخاص، والمغامرة قد لا تكون محمودة العواقب.. ومن الدروس المستفادة أن هذا الجبل لا يجب صعوده لا في فصل الشتاء حيث الرياح شديدة نفاثة خطيرة على قمته، والبرد قارس قد يعيق من يتورط في بلوغ القمة.. ولا في فصل الصيف كذلك لشدة الحر وشدة العطش الناتج من شدة الإجهاد..

وقد التقيت مرة أحد من اعتادوا تسلق أم درج عدة مرات، وذكر لي أن قمته ملأى بما قد يثري ويغري من الآثار التي أهدر كثير منها في محاولات



الغيوم تتسلق جبل الحرة صاعدة من الوادي

إنزالها عبر الحبال، أو حتى حملها في بعض الأحيان، حيث يسقط أغلبها لثقلها وحجمها، ولوعورة المكان، وتعذر مواصلة الرحلة بالأحمال.. وهذا نداء إلى هيئة السياحة لعلها تولي هذا الموقع العناية المستحقة حماية له وللمتهورين في الوقت ذاته، وإعداده وإعداد سلالم آمنة فيه خدمة للسياحة.

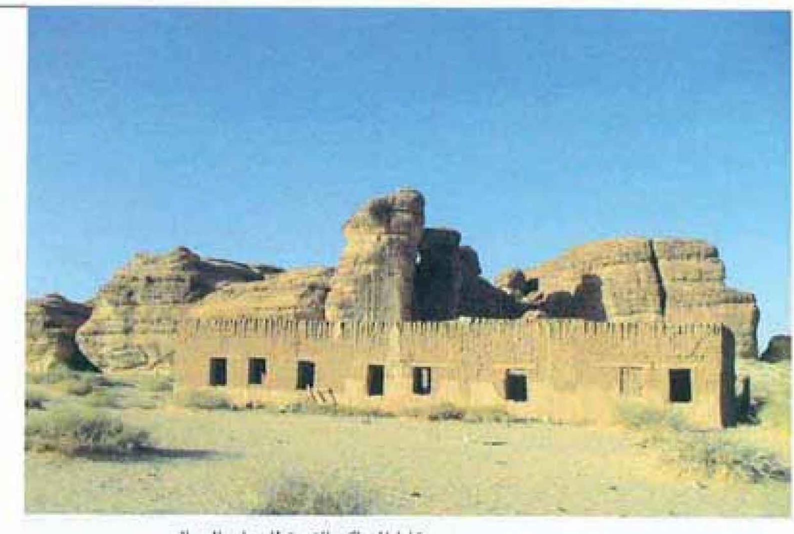
والملاحظ على هذا الجبل أن اللوحات المنقوشة متصلة على طول الجادة الأصلية المندثرة، وهذه اللوحات غنية جدًا بالصور والرموز والكتابات وقد أصابها كثرة تداول الأيام بانهيارات وتشوهات كثيرة، إضافة إلى العبث الذي طالها مخربًا كثيرًا منها.

جبل عكمة

جبل ضخم صلد قائم أملس، يطل على ضاحية



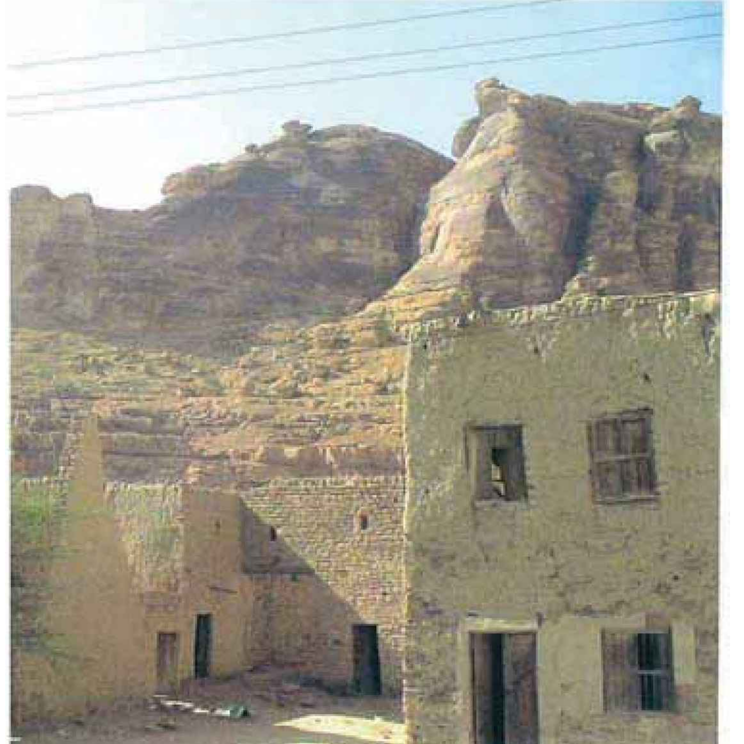
محلب الناقة من الخارج وقد لامسته الحفريات، الخريبة (ددن)


بقايا المساكن التي تطل على الجبال

فيه غير بعيد لأحد المدرسين..! قادمًا مع زملائه من منطقة أخرى.. وهذا يقودنا إلى الإشارة إلى أن هناك الكثير من الطامعين الذين يأتون مزودين بخرائط وأوصاف وعلامات تحدد لهم مواقع أثرية، ومواقع كنوز مزعومة بعضها صحيح منة بالمنة حسب شهادة كثير من العارفين.

أما مصادر تلك الخرائط والمعلومات فهي غالبًا ما تكون من فلسطين وتركيا والمغرب والغرب وحتى أمريكا.. ما يعني باختصار أن الطامعين المتطلعين إلى ثروات بلادنا الأثرية والإنسانية التاريخية والإنسانية

بقايا الطنطورة بالديرة بعد الاعتداء عليها من قبل بعض المتطرفين



العذيب، وأمامه مدخل العلا الشرقي (أم عاذر) الوحيد بين الجبال، ولهذا الجبل قصة مرتبطة بنبي الله صالح عليه وعلى نبينا السلام، وتقول الحكاية: إن النبي صالحًا خرج بمن آمن معه امتثالاً لأمر الله عز وجل استعداداً لإيقاع غضب الله على قومه ثمود الذين عقروا ناقة الله ولم يمتثلوا طاعته.. فصعد بمن معه هذا الجبل الشاهق الذي يتمتع بموقع لا ينافسه أي موقع آخر حيث يكشف جميع مواقع العلا، ووادي القرى وجبالها وتلاعها وأوديتها. ويقع الحجر إلى يساره شمالاً، والعلا أمامه ويمينه جنوبًا.. وخلفه يقع جبل حرة عويرض.

وفي جبل عكمة عشرات المواقع الأثرية المغرية بما يثار حولها من حكايات ضاربة في عمق الأسطورة، وبما تكتنزه من أطلال آثار تلوح عن بعد في أماكنها الحصينة متمثلة بأطلال أبنية عتيقة، ولوحات جبلية يفسرها المهتمون برموز وإشارات تدل على ثروات حضارية وتاريخية ومادية، وليس آخرها علمية.

وكما هي الحال مع جبل أم درج فقد شهد جبل عكمة سقوط بعض المغامرين وكان آخر حادث وقع

الحضارية منتشرون في أغلب أصقاع الدنيا.. ولا يزال الحال على ما هو عليه تزداد سوءًا يومًا عن يوم جارفًا في تيار الطمع أناسًا من كل الأطياف والأوصاف...! مدمرين تاريخنا وتاريخ الأمم السابقة والحضارات.. مفيدين أعداء الأمة وأعداء الدين من خلال توفير شواهدنا ووثائقنا التاريخية لهم ليزوروها.. ويخفوها ويزعموا أكاذيبهم!

وعودة إلى حكاية النبي صالح عليه السلام ومن آمن به وصحبه فإن الرواية تقول إنه اعتلى ومن معه قمة الجبل يشاهدون الغضب الإلهي والعذاب محدقًا بالحجر وبقومهم الكفار العصاة إلى أن قضي عليهم بما كسبت أيديهم.

ومن مغريات جبل عكمة الجاذبة كثرة أوكار الطيور (عقبان) في أعاليه الشرقية المواجهة لأول أشعة شمس تصيب المنطقة ومشهد الطيور وهي تطير وتعود لتقع في أوكارها بما تحمله من غذاء لصغارها، وقد أسعفتنا الكاميرا في رصد المشهد على مدى أكثر من ساعة استغرقها. بينما كنا أنا وبدر ومحمد متجهين إلى الخريبة ومحلب الناقة إذ وصلنا متأخرين قرب المغيب.. وهذا ما استدعى عودتنا إلى الخريبة وآثارها مرة أخرى في ضوء النهار للتصوير والمشاهدة..

ويقول محمد الشرعبي: إن سكان التبت هم من يدربون هذا النوع من الطيور لأغراض الصيد والقنص.. والعقبان تصنف ضمن فصيلة النسور إلا أن لها طباع الصقور في مسألة الصيد والغذاء على ما تصطاده هي ذاتها..

ونغادر عكمة الأسرار والحكايات الأسطورية القديمة.. عكمة الغرائب.. عكمة الجمال الطبيعي المنثور على كل أرجائه. عكمة الشموخ والتحدي.. عكمة الصلادة والصمود.. عكمة البقاء والإيحاء....! كما هي سائر جبال العلا.

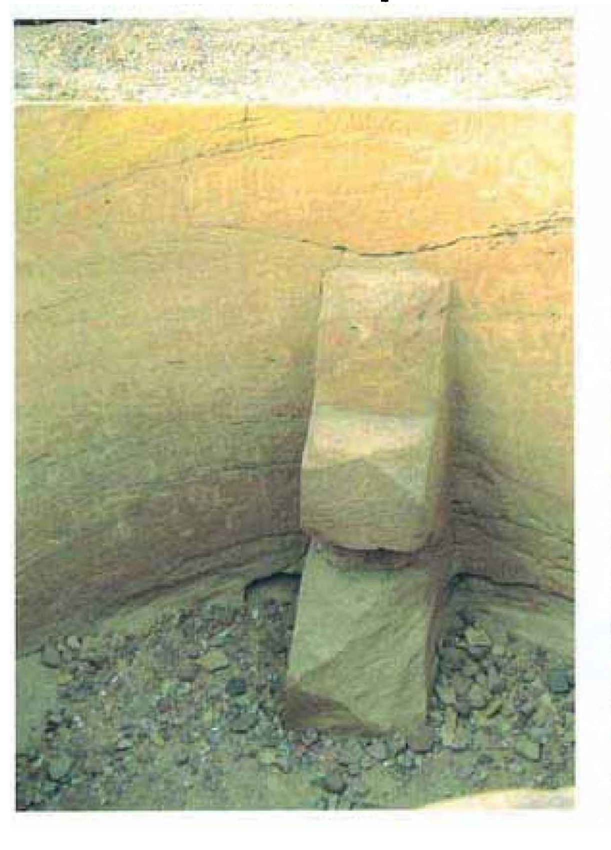
العذيب

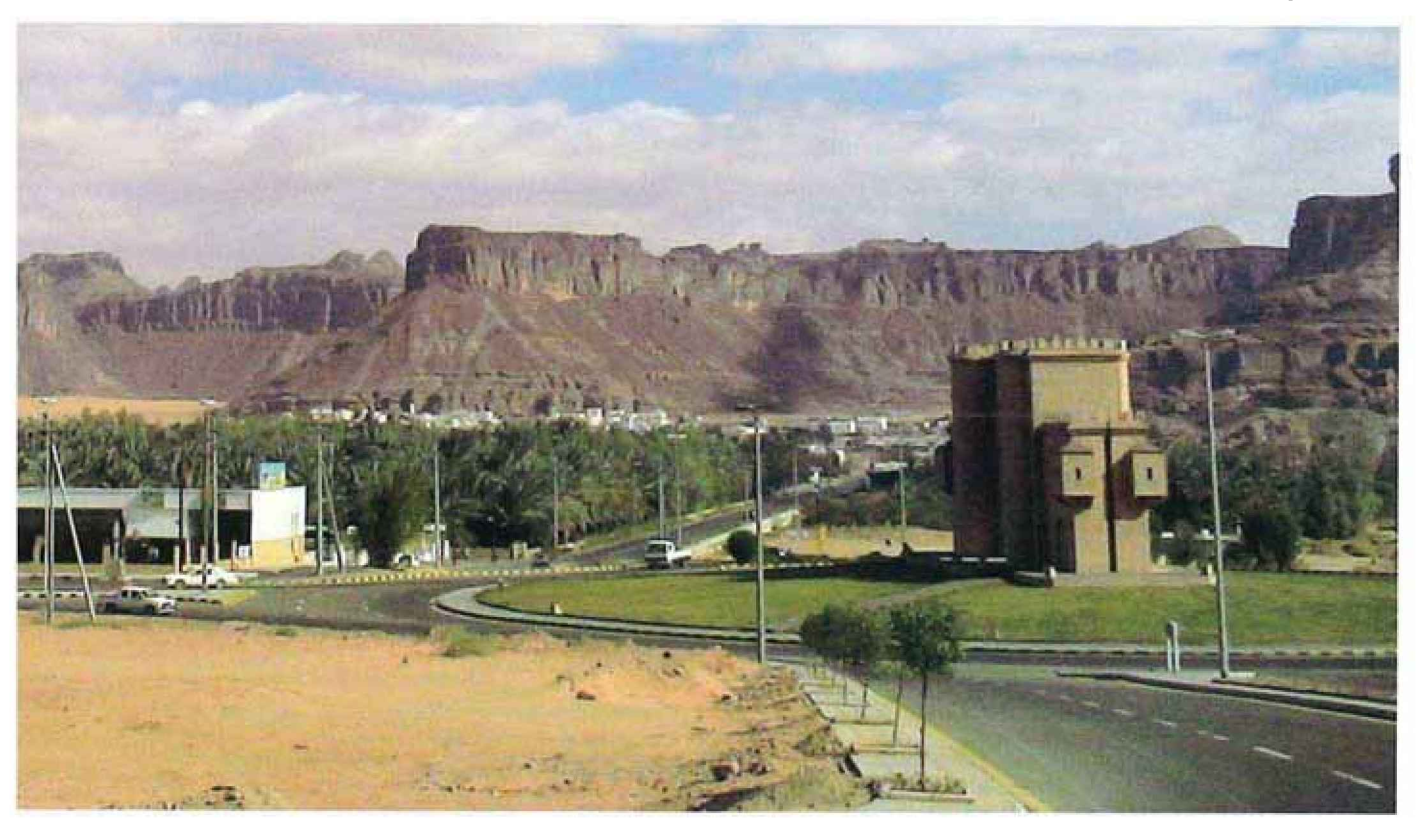
والعذيب هي الضاحية الفاصلة بين شمال العلا والخريبة من ناحية الجنوب. وبين الحجر (مدائن صالح) شمالاً.

وقد ورد ذكر العذيب بالاسم نفسه دون أن يتبدل في كتب المراجع والتراث وفي الشعر القديم. وقد اشتهر العذيب بكونه منزلاً لبني عذرة في العصور



درج داخل محلب الناقة بالخريبة





منظر شامل لعين البركة والجبال الشرقية والمحاش

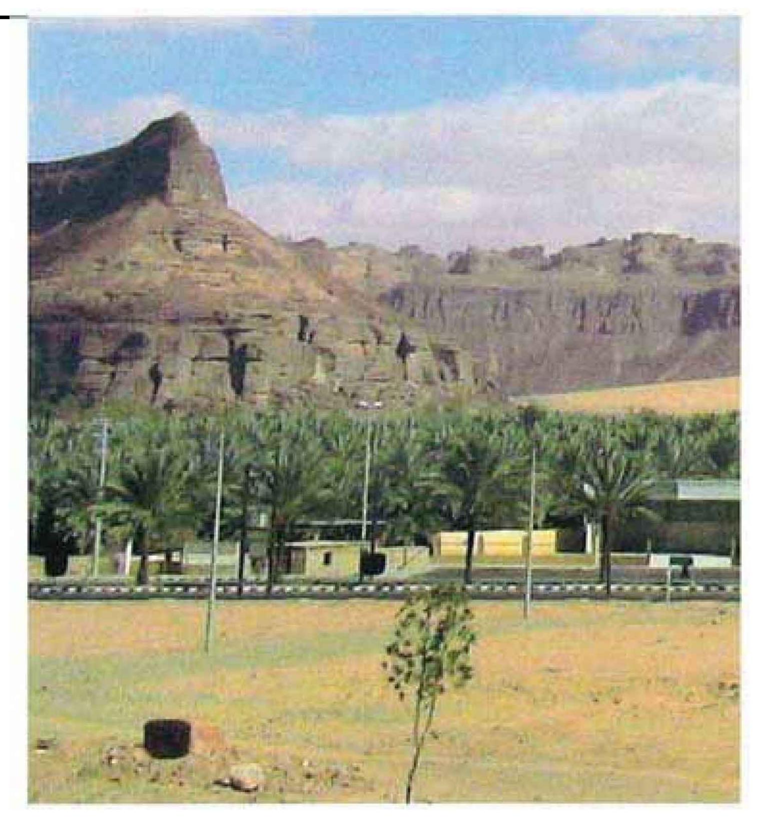
الإسلامية الأولى وهي القبيلة القضاعية المنسوب إليها الحب العذري، وقد اشتهر فيهم شاعرهم العاشق جميل بن معمر - جميل بثينة - فورد ذكر العذيب في شعره، كما ورد ذكر وادي القرى، ونذكر بقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً
بوادي القرى إني إذًا لسعيدُ

أما بني عذرة فبمرور الأيام اندمجوا مع قبيلة بلي.

والعذيب هو الحد الطبيعي الفاصل لطبيعة الجبال الشرقية.. فالجبال الشرقية الواقعة جنوبه عبارة عن سلاسل عظيمة، وأطواد متصلة من حدود ضاحية مغيرة جنوبًا حتى بوابة العلا الشرقية (أم عاذر) شمالاً محتلة العلا بامتدادها نصف الشمالي من محاذاة هذه الجبال. وابتداءً من العذيب تتباين طبيعة الجبال حيث تتغير الجبال الشرقية بالتبدل إلى تكوينات مفردة أحادًا وجماعات مشكلة لوحات عجيبة بتفردها، ولوحات أعجب بتجمعها.. ولا ترى فيها جبالاً ضخمة أو متصلة إلا ما ندر هنا أو هناك وتستمر هذه الجبال بطبيعتها تلك تتضاءل وتقل وتتناثر أكثر كلما اتجهنا شرقًا وشمالاً. بينما تبقى سلاسل الجبال الغربية في موازاتها محتفظة بطبيعتها وضخامتها إلى ما بعد الحجر شمالاً.

أما الحجر بعجائبه ومقابره المنحوتة في الجبال وقصوره فإنه يحتل الجبال المتناثرة والمكتظة شمال العذيب. والعذيب ضاحية زراعية خصبة تربتها، وافرة مياهها، غناءة مزارعها غناءة.. عليل نسيمها.. تكثر فيها المناظر الجبلية الأخاذة بتكويناتها الرائعة، وبعض



هذه الجبال تقع ضمن المزارع، بل لعل بعض أهمها وبعض أجملها أدخلت ضمن ملكيات خاصة.. علمًا بأنها ثروة طبيعية عامة لا يصح احتكارها والاستئثار بها دون الآخر..! وقد قيل من حمى حمًى ادفنوه بها.

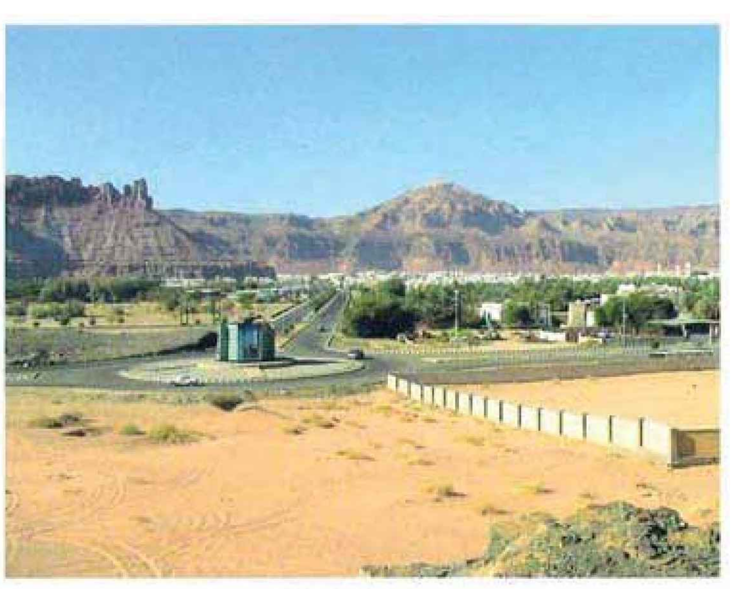
الشاقوق

في العذيب وفي نحو منتصف العقد التاسع من القرن الهجري المنصرم استيقظ الناس على ظاهرة «الشاقوق». والشاقوق كان عبارة عن صدع أرضي (مشابه للحفريات في هذه الأيام) ممتد باتجاه من الشمال إلى الجنوب لمسافة تزيد على كيلو مترين وبعمق من مترين إلى ثلاثة باتساع متر واحد.. ولم نجد أي تعليل مقنع في تلك الأيام، أو لعل السن لم تكن تسعف لفهم القضية إلا أن ذلك الشاقوق ربما كان ناتجًا من زلزال ضعيف في قوته أصاب المنطقة، ولم ينتج منه أكثر من ذلك الصدع دون أن يتنبه له أحد، لكونهم نيامًا، ولقلة سكان العذيب في ذلك الوقت، وهم كانوا من البسطاء.

القطّار

والقطّار هو جبلٌ يقع جنوب شرق العلا، يرده سكان البادية المحيطة للتزود بالماء، والطريق إليه صحراوي يمهد من حين إلى آخر، ويتفرع من طريق المدينة المنورة يسارًا مقابل قلعة مطران - إحدى قلاع السكة الحديدية - ويمتد طريقه الصحراوي نحو (٧٠كم) متوغلاً بين الجبال الشرقية، وهو جبل ركامي يمتص مياه الأمطار الهاطلة عليه، ويسربها نضحًا من قاعه عبر مغارات صغيرة ومتوسطة الحجم ممتلئة بالماء الزلال المتجدد على مدار الساعة.

ووزعت موارد المياه حسب الحاجة، فأكبرها للورد



منظر للوادي (العلا) باتجاه الشمال



منظر سقوط الشمس إلى المغيب

العام. يليه غدير البنات. ثم مورد المواشي والدواب. وتنمو داخل الكهوف وجدرانها بعض النباتات المائية. وحوله يوجد عدد من أشجار النخيل.

وأخيرًا انهار سقف أكبر المغارات، ودفن أغلبية بركة الماء. وأصبح من المخاطرة دخول المغارة؛ لكون سقفها مكونًا من طبقات معرضة للانهيار في اي وقت، وقد وضعت أمامها لوحات تحذيرية من خطر انهيار الصخور.

عريتم

أما عريتم فهو معلم يقع يمين طريق حائل غير بعيد عنه، وعلى بُعد (٣٦كم) شرق العُلا. وعريتم عبارة عن مسيال يجري فيه السيل على أثر هطل المطر، وهو على مستوى سطح الأرض تقريبًا، ولا يلبث أن يكشف السيل عن سطح جبل غائر بأكمله في الأرض، وفجأة تجد مساقط مائي. أحدها كأنما هو بئر منحوتة عميقًا في الجبل يسقط فيه ماء السيل، ويفيض منه.. نزلنا إلى هذه المساقط، ووجدنا بعض النقوش والرموز الأثرية، توغلنا بين مجاري السيل فوجدنا نفقًا يمر فيه الماء. دخلت النفق، وتبعني محمد عيد متوجهًا إلى مسقط الماء المضاء بما أصابه من أشعة الشمس.. كنا نمشي بين جانبي النفق، وبيدي الكاميرا، وتحتي ماء لا أدري عمقه، يتبعني محمد، فجأة وجدت نفسي أسقط في الماء حتى وسطي، رافعًا الكاميرا بيدي

في الشمال من الديرة تقع أخياف الزهرة والصالحية، وغيرهما. وتقع إلى الشرق منهما خرائب وأطلال مدن أثرية قامت بعضها فوق بعض فأصبحت طبقات. كل مدينة تخفي تحتها أخرى. وهذا ما تدل عليه البحوث الأثرية المتأخرة

خوف ابتلالها. سقطت في الماء بعد أن انهار النتوء الذي أقف عليه. عاد محمد عيد على عقبيه في حين واصلت طريقي حتى تسلقت الكوة المفضية إلى الأعلى.

من أعيان العلا

من أعيان الديرة القديمة

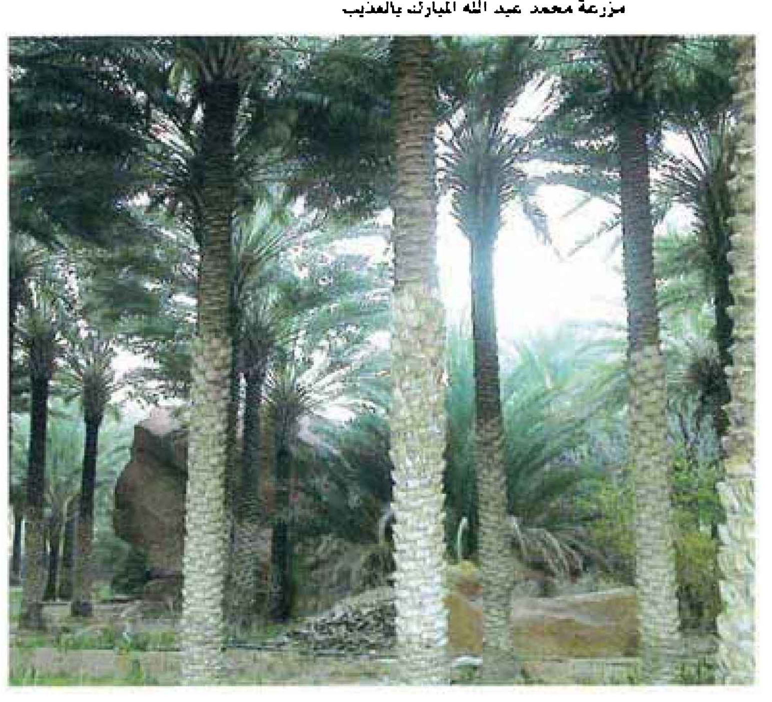
من أعيان العلا الطارئين عليها نجد في الحميدية الفتاتحة، وكان كبيرهم الشيخ إبراهيم فتوح - رحمه الله - ولم يبق منهم إلا قليل. وفي الحميدية كان العنزاوية، ولا يزالون. في العلا، وكان القبلية، ولا يزالون. أما المحمودية فكان يقطنها الشقيرات، وكبراؤهما حسن ومحمود، رحمهما الله.. هجر أبناؤهم العلا.. أما الرزيقية فكان بها آل أبي سميح، ولا يزالون.. ويرتكز في المنشية منذ صباه نايف الرويلي، وهو الوحيد من جماعته في العلا أبًا عن جد، ولنايف هذا حكايات تتجزأ من أغلبية حكايات المجتمع في العلا وما حولها من قرى وهجر وبواد، وبه يضرب المثل في الكرم والذهانة.. فيقال ما فيه أكرم من الرويلي ولا أذهن..!

وللرويلي مشب شهير في بيته ضمن مزرعته في خيف المنشية.. وهذا المشب مفتوح على مدار الساعة، يرتاده الكبير والصغير، والمقيم والعابر.. وهو مكان بسيط مسقوف بجريد النخيل المسود بدخان الحطب، وهو سقف لا يحمي من المطر، بل هو يصبغه بسواد متراكم عبر السنين يصبغ كل ما يصيب إن كان ملابس أو شعرًا.. وعلى الرغم من بساطة المكان في بنائه وفرشه إلا أنه لا يخلو أبدًا من مرتاديه....!

وإلى أن نلتقي في الحلقة الأخيرة من استطلاع العلا التي سنعرج خلالها على الحجر - مدائن صالح - وثمود وآثارهم، وعلى روضة السمهوني، وغزوة الهايس، وعلى كل ما سيكون شائقًا ومثيرًا، سنشاهد قلاع السكة المنهارة نتيجة الحفريات الهمجية.. وسنجرب أوهام الكنوز والرصد.. فإلى اللقاء.

❖ نشرت الحلقة الأولى بعنوان العلا: الطاردة الجاذبة في العدد ٣٤٧ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

مزرعة محمد عبد الله المبارك بالعذيب







حديث النهر

لشاعر كشمير ـ عبدالأحد آزاد

محمد محمد السنباطي

البحيرة ـ مصر

في زَبَدي الطافي فوق الأمواج

تتنفس أشواقي

في فَوَران التيار الزاحف كالأفواج

أتقدم نحو النائي من أهدافي

وهناك أعانق موسيقا الكونِ النشوان

❖❖❖

ليلاً ونهاراً لا أتوقف عن ترحال

عبر وهادٍ وأخاديدَ طوال

فوق صخورٍ وجلاميد

لا أتمهل منتظرًا إطراء

لا أتوقف كي ألهو

تسألني عن وطني؟

وطني طول طريقي الممدود

فأنا كالريح وكالطير مع الصبح مع الليل

مع الزَّبد الطافي فوق الأمواج

❖❖

لا يشغل موجي إطراءٌ ومديح

لا يتلعثم خطوي من كيل التجريح

ثمة هدف أسمى جئت إلى العالم من أجله

وأظل أسافر حتى ألقاه

لستُ كما الإنسان أخاف الإدلاءَ بأقوال

أو أخشى من أشباح الأغلال

بل نحو بساتين الأبد أحثُّ خطاي

لا أنكص للخلف

أنا لا أتزين كالأزهار

لا أبني أعشاشًا كالأطيار

فهنائي في دوامات الصخب المحتدم

وثورات الأرض المهتزة من تحتي

بل في صرخات الزلزال

❖❖

هأنذا في الترحال أنظف أرجاء جسوري

وأسوّي الأرض التالعة فأخفضها

أقفزَ فوق جنادلَ

أقهر كل عنادٍ لعوائقَ وأروّضها

أنا لا أتحدى إلا من يعترض طريقي

لا أتهاون في ساحات نزال

أجرح جسدي فوق سدود

ثم أعود فأجمع أشتاتي وشظايا روحي

كي أهزم أجساد الصخر

وأحطم ما يعترض طريقي

وأمرُّ، أهيم وَجَرَياني حرّ

نحو الغابات المختفيات بعيدًا.

❖❖

وأنا

من يهب الغيمات جناحين

من يغفر زلات الأمطار

من يعطي الآفاق ثيابًا زرقاء ووردية

أما الرعد فيأخذ من صوتي ويدمدم

❖❖

وعلى أسطح أوديتي

أنشر أبسطة المخمل للأحباب

كي يرتاحوا بعد عناد

وليمرح كل محب عاشق

إذ يأتون إليّ

يأتون إليّ ويبتهجون

أعطيهم فرحًا وهناء

أسقيهم كأس الحرية دون حدود

يأتون جميعًا يفتقدون البلسم للروح المعطوبة

يأتون جميعًا لمياهي لجسوري

وأنا، لن أهدأ حتى يتخلص هذا العالم

مما يفصل إنسانًا عن إنسان

لن أهدأ حتى تتخلص تلك الأرض من الإجحاف

❖❖

أنا، إن كنت أفتت صخرًا وجبالاً

فأنا أغسل أجسام صبايا يتفوقن جمالاً

مادامت دواماتي منذ قديم تشتاق إلى الحب

أتمنى لو أغدو رقراقًا ولطيفًا

لو ألهو بين شعابٍ وخمائل

لو أحمل مائي في أقنية وجداول

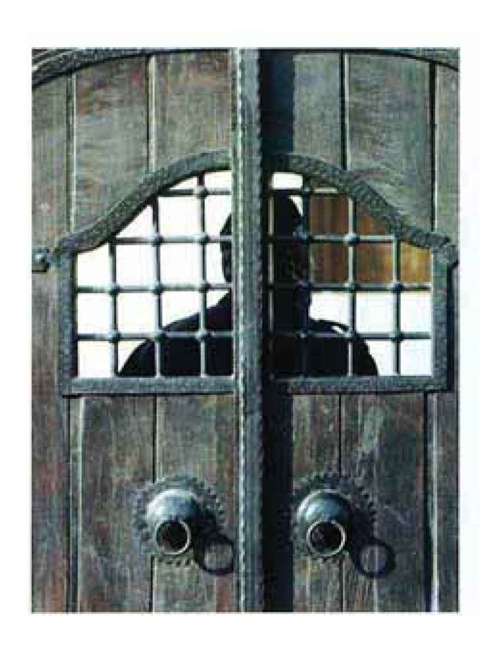
للسوسنة العطشى

ثم أهدّئُ من خطوي، أتمهل مشتاقًا

أتطلع في زهرات اللوتس تتفتح

مبتسمات للشمس

هنالك في وسط الماء.



ممنوع الدخول!!

خالد عبدالله الغانم

الرياض - السعودية

على فؤادي لوحة علقتها تقول:

حبيبتي: ممنوع الدخول!!

كعادتي.. مزاعمي غريبة

فلم أزل أدعوك بالحبيبة

وخافقي المقفول..

مازال في يديك كالحقيبة

ورقمه السري لا يعرفه سواك

قلبي ومن يحمله.. فداك

.....

نصبت مقلتيك لي فخين في الطريق

ومنذ تلك اللحظة البعيدة..

أحاول الخروج من قرارها العميق

كأنني الغريق

في البحر والأمواج في طريقه..

غاضبة عنيدة

تذيب نار الشوق في جوانحي المكابرة

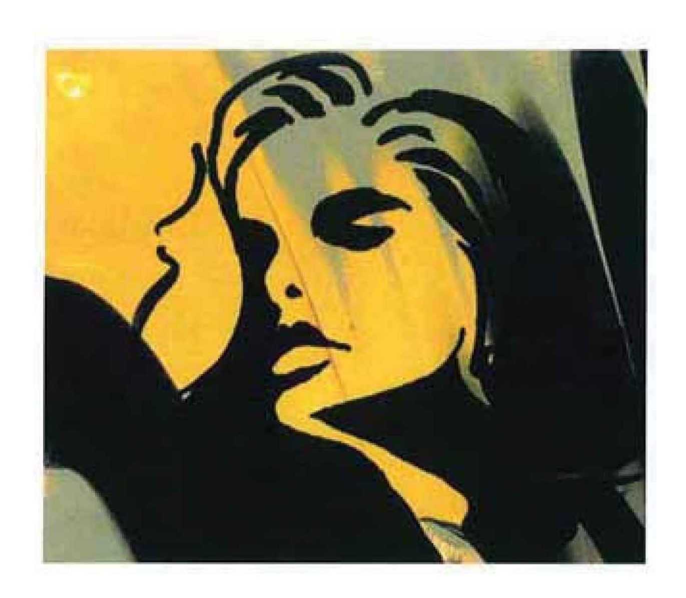
فتحمل الأقدام جسمي..

والخطا تجرني إليك كالأسير

أما رأيت الطير إن غلت قدور الهاجرة

يفر منها لا نذا

بعشه الصغير؟؟



استشهادي

سعد البواردي

الرياض - السعودية

توحدتِ يا «قدس» من كل طيفْ
فلا تسْأليني..
لماذا..؟! وكيفْ..؟!
على صرخة الغدر أرخصت روحي
أقاوم كل احتلال.. وزيفْ
فلا الموتَ أخشى
ولا الجرحَ أخشى..
حياتي لأجلكِ من دون خوفْ
دمي في ثراكِ ربيع حياة
وأنشودتي غيمة وسط صيفْ
لأني كانت ضمير.. وجود
وجود.. وصد لكل الذي حيفْ
خذيني بحضنكِ يا قدس إني
شهيد. عنيد. جواد. وسيفْ
أقدُّ من الصخر أمضى سلاح
فلا تسأليني لماذا؟ وكيفْ؟!
لأجلكِ يا قدس بعتُ حياتي
لأني اصطفيتك أهلاً. وضيفْ
على العهد.. والوعد عمري فداكِ
فما في يقيني انكسار. وخوفْ



راعية الأوز

ترجمة: توفيق علي منصور

القاهرة ـ مصر

كانت للملكة العجوز التي مات زوجها منذ بضع سنين ابنة جميلة. وعندما شبت، وترعرعت تمت خطبتها لأمير يعيش بعيدًا عنها بمسافة كبيرة. وعندما اقترب موعد زواجها استعدت لمغادرة قصرها ميممة شطر مملكة الأمير في رحلة طويلة. فحزمت أمها الملكة أمتعتها مما خف حمله، وغلا ثمنه، مثل الجواهر والأدوات من الذهب والفضة والملابس الثمينة، وكل ما يليق بعروس ملكية: لأنها كانت تحب ابنتها حبًا جمًا. وأعدت لها خادمة تركب معها، وتسلمها إلى عريسها: كما أعدت لكل منهما حصانًا تركبه في رحلتها. وكان حصان الأميرة يدعى «فيديل»، وهو قادر على الكلام.

وعندما حان وقت بدء الرحلة، دخلت الملكة العجوز غرفة نومها، وتناولت مقصًا صغيرًا، وقطعت خصلة من جدائل شعرها، وأعطتها لابنتها، وقالت لها:

ـ حافظي عليها يا ابنتي، ففيها سحر ربما تحتاجين إليه وأنت في الطريق.

وتعانقتا في وداع رقيق، ووضعت الأميرة خصلة الشعر التي أخذتها من أمها في صدرها، وامتطت صهوة جوادها، وبدأت رحلتها إلى مملكة العريس. وذات يوم وهما تسيران بجوار أحد الأنهار، بدأت الأميرة تشعر بالعطش، فقالت لخادمتها:

ـ أرجوك أن تنزلي وتحضري لي بعض الماء من هذا النهر في كأسي الذهبية، فإنني أريد أن أشرب.

فأجابت الخادمة:

ـ كلا! إذا كنت عطشانة، فلتنزلي من على الحصان، وتتوجهي إلى النهر، وتنبطحي على الماء وتشربي، فإنني لن أكون خادمة لك من الآن.

وكانت الأميرة عطشانة إلى الدرجة التي جعلتها تنبطح على ضفة النهر الصغير، وتشرب، وكانت خائفة، فلم تحضر كأسها الذهبية لتملأها وتشرب منها، ثم بكت وقالت:

ـ يا للهول! ماذا يخبئ لي القدر؟

فأجابتها خصلة الشعر قائلة:

يا للهول! ويا للهول!

فلو علمت بالمصيبة أمك لداهمها الحُزن ملء الفؤاد.

ولكن الأميرة كانت لطيفة جدًا ومتواضعة جدًا، ولم تقل شيئًا عن سوء تصرف خادمتها، بل ركبت حصانها ثانية، واستمرت في المسير. واشتدت حرارة النهار وهما في طريقهما، وقست حرارة الشمس لدرجة أن أصاب العطش الأميرة ثانية، حتى إذا أتيتا نهرًا آخر بدأت الأميرة تشعر بالعطش، وقد نسيت الحديث الوقح الذي قالته خادمتها، فقالت:

ـ أرجوك أن تنزلي وتحضري لي ماء لأشرب في كأسي الذهبية.

ولكن الخادمة أجابتها بإجابة أكثر وقاحة وتعاليًا عما سبق أن قالت:

ـ اشربي كيفما تشائين! فلن أكون خادمتك بعد الآن.

وحينئذ استبد العطش بالأميرة، فنزلت وتمددت ومالت برأسها على صفحة الماء، وبكت قائلة:

ـ ماذا يخبئ لي القدر؟

فأجابتها خصلة الشعر قائلة للمرة الثانية:

يا للهول! ويا للهول!

فلو علمت بالمصيبة أمك لداهمها الحزن ملء الفؤاد.

وبينما هي تميل لتشرب سقطت خصلة الشعر من صدرها، وراحت مع التيار دون أن تراها، لأنها كانت جدّ خائفة.

ولكن خادمتها رأتها، وفرحت لذلك فرحًا شديدًا؛ لأنها كانت تعلم مالها من سحر. وسوف تقع الأميرة المسكينة تحت سلطانها بعد أن فقدت خصلة الشعر المسحورة.

وعندما فرغت الأميرة من شرب الماء نهضت، واستعدت أن تركب حصانها «فيديل» قالت لها الخادمة:

- سأركب أنا «فيديل»، وستركبين أنت حصاني.

واضطرت الأميرة إلى أن تترك حصانها للخادمة، وأن تخلع ملابسها الملكية، وترتدي ملابس الخادمة الرثة.

وفي النهاية، عندما اقتربتا من نهاية الرحلة، هددت الخادمة الشريرة سيدتها بالقتل إن هي أبلغت أي إنسان بما حدث. ولكن الحصان فيديل رأى كل شيء وسمع كل شيء تمامًا. وركبت الخادمة فيديل وركبت الأميرة الحصان الآخر. وظلتا تسيران على هذا الطريق حتى دخلتا القصر الملكي. وهناك عمت الفرحة كل القلوب، وهرع الأمير إلى لقائهما وأنزل الخادمة من فوق حصانها، ظنًا منه أنها هي الأميرة التي سيتزوجها، وقادها إلى الغرفة الملكية في الدور العلوي، بينما ظلت الأميرة الحقيقية في الفناء بالدور الأرضي.

وحدث أن أطل الملك العجوز من النافذة فرآها واقفة في الفضاء، ورأى إلى أن ملامحها الرقيقة كانت لا تنبئ بأنها خادمة، فقد توجه إلى الغرفة الملكية ليسأل العروس عمن تكون هذه المرافقة التي رافقتها، والتي ظلت واقفة في الفناء؛ فقالت:

- أتيت بها لتصاحبني في طريقي؛ أرجوك أن تكلفها بأي عمل حتى لا يتسلل إليها الكسل.

ولم يكن الملك يفكر في عمل يسنده إليها، إلا أنه أخيرًا قال:

- لَدَيَّ صبي يرعى الإوز. وربما كان من الأنسب أن تساعده على ذلك.

وكان هذا الصبي الذي يتعين على الأميرة الملكية أن تعاونه يدعى «كوركي». وبعدئذ قالت العروس المزيفة على الفور للأمير.

- زوجي العزيز! أرجوك أن تصنع لي معروفًا.

فأجاب الأمير:

- على الرحب والسعة.

فقالت العروس المزيفة:

- مُرْ أحد الجزارين أن يذبح هذا الحصان الذي كنت امتطيه؛ لأنه كان شرسًا وآذاني طوال الرحلة.

والحقيقة أنها كانت خائفة جدًا من فيديل الذي يستطيع أن يتكلم، ويبلغه بما حدث للأميرة. وأعطى الأمير أوامره بقطع رأس الحصان المخلص فيديل. وعندما سمعت الأميرة الحقيقية هذا النبأ بكت، وتوسلت إلى الجزار أن يعلق رأس الحصان على جدار عالٍ بالبوابة المعتمة في المدينة. كانت تمر بها نهارًا وليلاً بحيث تراه عند مرورها. ووعد الجزار بما رغبت فيه، وعلّق رأسه على البوابة المعتمة.

وفي صباح اليوم التالي، بينما كانت هي وكوركي يمران بالإوز في البوابة قالت والحزن يعتصرها:

فيديل! فيديل!

ويا حسرتاه! لقد علقوك على الجدران

فأجابها الرأس:

عروس الأمير! عروس الأمير!

لقد حوّلوك إلى راعية

ولو علمت بالمصيبة أمك

لداهمها الحزن ملء الفؤاد

وخرجا من المدينة يرعيان الإوز أمامهما. وعندما أتيا إلى الوادي جلست على أحد الأحجار، وأسدلت جدائل شعرها التي كانت جميعها من الذهب الخالص.. وعندما رآها كوركي تضوي في ضوء الشمس، همّ بنزع إحدى الخصلات. ولكن الأميرة صاحت:

هُبّي يا نسمة هُبّي

وخذي قبعة الراعي

هُبّي يا نسمة هُبّي

وخذيه بعيدًا عني

وضعيه في الدوامة

يجري خلف القبعة

فوق تلال صخرية

والوديان الرملية

لا امشط شعري الذهبي

واضفر الخصلات!

فهبت الريح الشديدة، فعصفت بقبعة كوركي، فطارت بعيدًا فوق التلال، وراح يهرول خلفها. وقبل أن يعود إليها كانت قد فرغت من تمشيط شعرها وجدله في جدائل ووضعه في وضعه الصحيح. وكان غاضبًا منها، كما كان سليط اللسان بحيث وعد بأن يخاصمها ولا يتحدث معها على الإطلاق. ولكنهما ظلا يرعيان الإوز حتى أقبل المساء وبدأ الأفق ينسج خيوط الظلام، فعادا إلى حظيرة الإوز.

وفي اليوم التالي، بينما كانا يمران في البوابة المعتمة، نظرت الفتاة المسكينة إلى رأس الحصان فيديل المعلق على الجدار وصاحت:

فيديل! فيديل!

وياحسرتاه! لقد علقوك على الجدران

فأجاب الرأس:

عروس الأمير! عروس الأمير!

قد حولوك إلى راعية

ولو علمت بالمصيبة أمك

لداهمها الحزن ملء الفؤاد!

ثم قادت الإوز، وجلست مرة أخرى بالوادي، وبدأت تمشط شعرها، كما فعلت من قبل.. وحينئذ هرول إليها «كوركي» وأراد أن يُمسك به.. ولكنها صاحت قائلة:

هُبّي يا نسمة هُبّي

وخذي قبعة الراعي

هُبّي يا نسمة هُبّي

وخذيه بعيدًا عني

وضعيه في الدوامة

يجري خلف القبعة

فوق تلال صخرية

والوديان الرملية

لأ مشط شعري الذهبي

وأضفر منه جدائله

فهبت الريح وعصفت بقبعته، وطارت بعيدًا فوق التلال حتى راح خلفها ليمسكها. وعندما عاد كانت قد مشطت شعرها، وصففته ثانية، كما كان. وظلا يرعيان الإوز حتى أظلمت الدنيا.

وفي المساء عادا إلى بيتهما فذهب «كوركي» إلى الملك العجوز، وقال له:

ـ أنا لا أريد أن تعاونني تلك الفتاة الغريبة في رعاية الإوز مرة ثانية.

فسأل الملك:

ـ لماذا؟

فأجاب:

ـ لأنها لا تفعل شيئًا إلا أن تتعبني طوال النهار.

فطلب منه الملك أن يقص عليه كل ما حدث: فقال:

ـ عندما نذهب بقطيع الإوز في الصباح ونمر بالبوابة المعتمة، كانت تبكي، وتتحدث مع رأس الحصان المعلقة على الجدار، وتقول:

«فيديل!، فيديل»!

ويا حسرتاه! لقد علقوك على الجدران

فيجيبها الرأس قائلاً:

عروس الأمير! عروس الأمير!

لقد حوّلوك إلى راعية

ولو علمت بالمصيبة أمك

لداهمها الحزن ملء الفؤاد

ثم أبلغ «كوركي» الملك بما حدث في الوادي حيث يرعى الإوز: وكيف كانت قبعته تطير، ويضطر إلى اللحاق بها، ويترك القطيع. ولكن الملك طلب منه أن يذهب كالمعتاد في اليوم التالي. وفي الصباح، اختبأ الملك خلف البوابة الدكناء، وسمع ما تقول الأميرة لرأس الحصان «فيديل»، وما يجيبها به الرأس. ثم ذهب الملك إلى الحقل، واختبأ خلف إحدى الشجيرات على جانب الوادي. ورأى بعيني رأسه كيف يقود الراعي والراعية قطيع الإوز. وكيف تسدل الأميرة شعرها بعد وقت قصير. وكيف يضوي تحت أشعة الشمس. ثم سمعها وهي تقول:

هُبّي يا نسمة هُبّي

وخذي قبعة الراعي

هُبّي يا نسمة هُبّي

وخذيه بعيدًا عني

وضعيه في الدوامة

يجري خلف القبعة

فوق تلال صخرية

والوديان الرملية

لأمشط شعري الذهبي

وأضفر منه الخصلات

وسرعان ما هبت ريح حملت معها قبعة «كوركي». بينما استرسلت هي في تمشيط شعرها وجدله. ورأى الملك كل هذا، ثم تسلل دون أن يراه أحد عائدًا إلى القصر.

وفي المساء عندما عادت الفتاة الصغيرة راعية الإوز ناداها الملك، وانتحى بها جانبًا، وسألها لماذا فعلت ذلك؟ فانفجرت باكية، وقالت:

- لا أستطيع أن أبلغك أو أبلغ أي شخص آخر. وإلا فقدت حياتي.

ولكن الملك ألحّ عليها في الرجاء حتى أفرغت ما في قلبها من حديث، كلمة كلمة. وكان من حسن حظها أن فعلت ذلك؛ لأن الملك أمر لها بثياب ملكية لتلبسها، ونظر إليها بإعجاب؛ إذ كانت رائعة الجمال. ثم استدعى ولده الأمير، وأبلغه بأنه تزوج العروس المزيفة، التي لم تكن إلا خادمة لهذه الأميرة العروس الحقيقية التي تقف أمامه.

وابتهج الأمير عندما رأى الأميرة بجمالها الرائع، وعرف كيف كانت رقيقة وصبورة. ودون أن يقول شيئًا، أمر بإقامة مأدبة كبيرة لكل نزلاء القصر. وجلس العريس على رأس المائدة، بينما جلست الأميرة المزيفة على أحد جانبيه، والأميرة الحقيقية على الجانب الآخر؛ ولكن دون أن يعرفها أحد؛ حيث كانت باهرة لأعين الناظرين، وكانت بعيدة الشبه عن راعية الإوز الصغيرة، بما ارتدت من ملابس فاخرة.

وبعد أن تناول الجميع العشاء، وسعدوا بالحفل أذاع الملك العجوز أن كل القصة كما سمعها، وطلب من الخادمة الحقيقية أن تقول ما ينبغي أن يُفعل بمن يتظاهر بهذا المنظر.

فأجابت العروس المزيفة:

- لا شيء أكثر من وضعها في صندوق ترتشق في داخله مسامير حادة، ثم تأتي بزوج من الخيل يجرانها من شارع إلى شارع حتى تهلك.

فأجاب الملك:

- هذه هي أنت! وحيث إنك حكمت على نفسك، فلابد أن يكون هذا هو مصيرك.

ثم تزوج الأمير الصغير زوجته الحقيقية، وحكما بسلام في المملكة وغمرتهما السعادة طوال حياتهما.

المراجع

Grimm's Fairy Tales: Stories Old and New. (New Lanard. Scotland: Geddes and Grossets, Ltd., 1995), pp. 160 - 170.



الهلال بوصفه شعارا وطنيا ودينيا في تركيا

تأليف: أرميناج ساكسيان ARMENAG SAKISIAN

ترجمة: محمد خير البقاعي

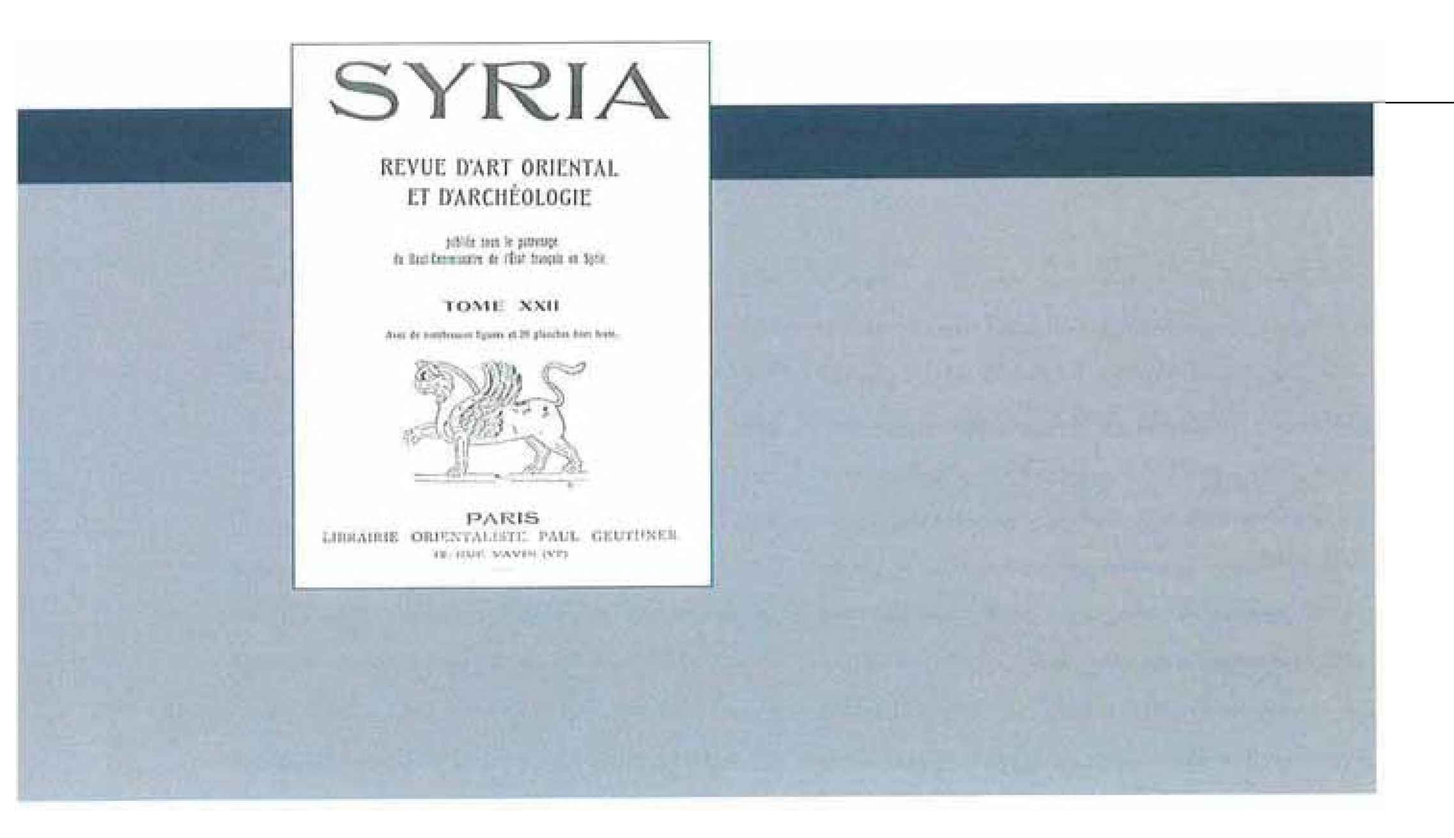
الرياض - السعودية

كان الأدباء والشعراء العرب يستلهمون معالم الكون، وفي مقدمتها القمر الذي تأملوه وتناولوه في أعمالهم، خصوصاً في موضوعات الغزل وذكر الجمال والمدح؛ فقد ورد ذكره في معظم القصائد الوجدانية، والأغاني العاطفية، واعتمد عليه الروائيون في إضاءة الطريق أمام شخصياتهم في الروايات التي تتحدث عن الحرب الليلية، وعند الإقدام على جرائم السرقة والقتل، ولقاء العشاق في جنح الليل حين يؤنسهم القمر، ويهديهم نوره *.

كنت على وشك مغادرة باريس عام ١٩٩٢م عندما وقعت عيناي على كتاب لدى أحد بائعي الكتب المستعملة أغراني عنوانه، فاقتنيته على عجل بسعر مرتفع، وكان عنوانه: القمر: أساطير وطقوس في الحضارات المصرية القديمة والسومرية والبابلية والحثية والحورية والكنعانية، وعند بني إسرائيل والعرب، وفي الإسلام، وفي إيران القديمة والهند وكمبوديا والصين واليابان وسيبيريا. ألف الكتاب عدد من الباحثين في المركز الوطني الفرنسي للأبحاث، ونشرته دار النشر المعروفة سوي SEUIL في عام ١٩٦٢م، ولما وجدت سانحة قرأت الكتاب، وشغلتني عنه شؤون الحياة، وأذكرنيه الأخ الصديق الباحث الأستاذ عبد الرحمن الشقير عندما حدثني عن اهتمامه بتأليف كتاب عن الهلال في جانبيه الحضاري والثقافي، وسألني عن كتب بالفرنسية أو بغيرها عن الموضوع فذكرت له الكتاب، ووعدته بإحضار نسختي، وترجمة ما يخص الهلال من الكتاب، ولما عدت إلى الكتاب وجدت أنه من المناسب أن أترجمه إلى العربية لأملأ فراغاً في المكتبة العربية حول الموضوع؛ إذ لم أجد فيما استطعت الوصول إليه من فهارس الكتب الغربية كتاباً يدانيه في الشمول والجمع بين الجانب الأكاديمي والشعبي.

أما بالعربية فلم أستطع الوصول إلا إلى ثلاثة كتب عن القمر عموماً: اثنان منها اختلط فيهما الجانب العلمي بالجانب الأسطوري، والثالث جمع فيه مؤلفه بين متفرقات غريبة، والكتب هي:

- القمر، تأليف محمد علي المغربي، عضو الجمعية الفلكية



بباريس، وبين يدي الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م، ٢٠٨ صفحات.

- الإنسان والقمر. تأليف الدكتور محمد يوسف حسن، مدرس بكلية العلوم بجامعة عين شمس. الناشر دار الثقافة الإنسانية للنشر. الطبعة الأولى ١٩٥٩م. ٢٣١ صفحة.
- القمر في القرآن الكريم والسيرة الشريفة والفكر العربي، للكاتب العراقي رياض حمزة شبر علي، (١٩٧٠م ؟). بلا ناشر. ١١٢ صفحة.

وتطلبت ترجمة الكتاب الفرنسي العودة إلى عدد من البحوث التي تتعلق بالموضوع مما ذكره مؤلفوه، وكان منها البحث الذي أقدم للقارئ العربي ترجمة له اليوم عن الهلال بوصفه شعاراً وطنياً ودينياً في تركيا. وكاتب هذا البحث مختص بعلم التركيات آثاراً وثقافة وتراثاً، ويقدم في بحثه وجهة نظر يمكن ألاّ نوافقه في بعض جوانبها، ولكنه بناها على وثائق مادية لا تزال موجودة اليوم (الرايات واللوحات والآثار)، فكانت دراسة توثيقية بذل فيها الباحث جهداً كبيراً.

ويحتاج دحض أدلته إلى جهد يوازي، إن لم يفق، الجهد الذي بذله في الوصول إلى النتائج التي انتهى إليها. وقد نُشر هذا البحث في مجلة سورية SYRIA، «مجلة الفن الشرقي وعلم الآثار»، المجلد ٢٢، لعام ١٩٤١م، ص٦٦-٨٠. واجد من المفيد في هذا التقديم أن أشير إلى بعض الدراسات المقاربة، سواء كانت بالعربية أو بغيرها من اللغات حول الموضوع نفسه. ابدأ برسالة العلامة أحمد تيمور باشا تاريخ العَلم العثماني المطبوعة في المطابعة السلفية في القاهرة عام ١٣٤٧هـ. وهي تقع في ثماني عشرة صفحة من القطع الكبير. قال في بدايتها بعد حمد الله والصلاة على النبي وآله وصحبه: (أما بعد فهذه نبذة في تاريخ العلم العثماني كنا نشرناها في صحيفة الأهرام في ١٣ شوال سنة ١٣٤١هـ لمّا شرعت الدولة المصرية في تغيير علمها، وكثر السؤال وقتئذ عن العلم العثماني وتاريخه: لأنه الأصل في العلم المصري. فأجبنا بما يلي مع بعض زيادات زدناها هنا).

وأشير بالفرنسية إلى كتاب الدكتور رضا نور، تاريخ الهلال:

1.Histoire du croissant.-Alexandrie, impr. De Al-Bassir. 1933, 181p., fig. Et pl.

وهو يشغل الجزء الأول، الكتاب الرابع من مجلة «التركيات» Turcologie. وقد أتحفني الزميل الدكتور أحمد صبرة بصورة عنه حصل عليها من مكتبة بلدية الإسكندرية فله جزيل الشكر؛ وأشير بالروسية إلى بحث فاسيلي بارتولد W. Barthold وعنوانه: مشاركة في مسألة الهلال بوصفه رمزاً للإسلام، وهو بحث منشور في مجلة أكاديمية العلوم الروسية عام ١٩١٨م، رقم ٦، ص ٤٧٦. ويشير كاتب البحث الذي نترجمه إلى ترجمة فرنسية مخطوطة له أنجزها من يدعو زافريوف J. Zavriew. وبارتولد (١٨٦٩، ١٩٣٠م) أحد العلماء الروس الذين وقفوا حياتهم لدراسة المنطقة الممتدة من بحر قزوين غرباً إلى منغوليا شرقاً. وعن هذه المنطقة كتب معظم مؤلفاته التي عني فيها بدراسة التأثيرات الحضارية والدينية واللغوية، وبدراسة العوامل الجغرافية والاقتصادية، ودراسة الطرق والمسالك التجارية: البري منها والبحري... وترجم من مؤلفاته إلى العربية: «تاريخ الترك في آسيا الوسطى». ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني ١٩٩٦م؛ وأذكر بالإنجليزية بحث ويليام ريدغوي W. Ridgeway، أصل الهلال التركي The Origin of the Turkish Crescent المنشور في مجلة المعهد الملكي للأنتروبولوجيا، ٣٨، ١٩٠٨م، ص ٢٤١، ٢٥٨؛ وما كتبه مرجليوث باللغة نفسها في موسوعة الأديان والأخلاق، مج ١٢، ص ١٤٥؛ وإلى كتاب ل. أ. ماير L. A. الشعار السراساني، المنشور في أكسفورد عام ١٩٣٣م، Mayer Saracenic Heraldry. Oxford, 1933, p. 25؛ وباللغة التركية إلى ما كتبه ف. كرداوغلو بعنوان: «الهلال والنجمة في العلم التركي»، أنقرة، ١٩٣٨م F. Kurtoglu Türk bayragi ve ay yildiz. Ankara, 1938.

وأرجو أن أعمل تباعاً على تقديم هذه البحوث مترجمة ومشروحة باللغة العربية لتغطية هذا الجانب الذي أهمله الباحثون العرب إلا ما رأينا من رسالة أحمد تيمور باشا المختصرة. لقد رأيت من تمام الترجمة أن أعلق على مواضع الغموض في النص لأقرّبه إلى القارئ العربي. وقد أتبعت تعاليقي بكلمة المترجم بين معقوفتين. وأختم هذه المقدمة بما ذكره لي الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية من أنه رأى مجموعة من البيارق والأطواغ التركية محفوظة في متحف كراكوفا (بولونيا) عند زيارته لها. والمؤلف هنا يتحدث عن واحد من تلك الأطواغ التي يعتقد أنها مما غنمه الملك البولوني جان الثالث سوبييسكي عند أسوار فيينا. ويطيب لي في نهاية هذا التقديم أن أحقق أمراً كنت قرأت شيئاً منه في مصدر غاب عني؛ وهو أن الفرنسيين يسمون محل بيع الحلويات Viennoisme نسبة إلى مدينة «فيينا» في النمسا التي يبدو أنها اشتهرت بصناعة الحلوى المخبوزة. ومنها ما يسمونه الكرواسان Croissant الهلال الذي يبدو أن له قصة تاريخية تقول: إن النمساويين عندما انتصروا على العثمانيين الذين كانوا يحاصرون مدينتهم، صنعوا احتفالاً بالمناسبة حلوى على شكل علم العثمانيين (الهلال) والتهموها، وصاروا في كل صباح يأكلونها مع قهوة الصباح احتفالاً بانتصارهم على العثمانيين الذين

يشيع في الغرب رأي يتقاسمه الباحثون العثمانيون مع إخوانهم الغربيين: فحوى هذا الرأي أن الهلال كان الشعار الوطني والديني للأتراك منذ زمن متقدم. ويبدو أن المظاهر تدعم وجهة النظر هذه

كان الهلال مرسوماً على أعلامهم فيما يبدو.

أ.د. محمد خير محمود البقاعي

الرياض ٧/٣/١٤٢٦هـ

النص المترجم

يشيع في الغرب رأي يتقاسمه الباحثون العثمانيون مع إخوانهم الغربيين: فحوى هذا الرأي أن الهلال كان الشعار الوطني والديني للأتراك منذ زمن متقدم. ويبدو أن المظاهر تدعم وجهة النظر هذه. إن قبب المساجد، فضلاً عن المآذن تنتهي في الأعم الأغلب بهلال يُوضع في أقصى طرف جذع له عُقد. وهو ما يسمونه في الشرق علم. ويتوافق من وجهة نظر ديكورية (تزيينية) مع سنبلة تزيين قمة السقف أو مع سهم قبب الأجراس. إن أقدم الإشارات إلى علم هي على الأرجح في مدينة آني(١) التي تحولت كاتدرائيتها إلى مسجد في القرن الحادي عشر الميلادي. واستبدل بصليبها هلال فضي على القبة (٢).

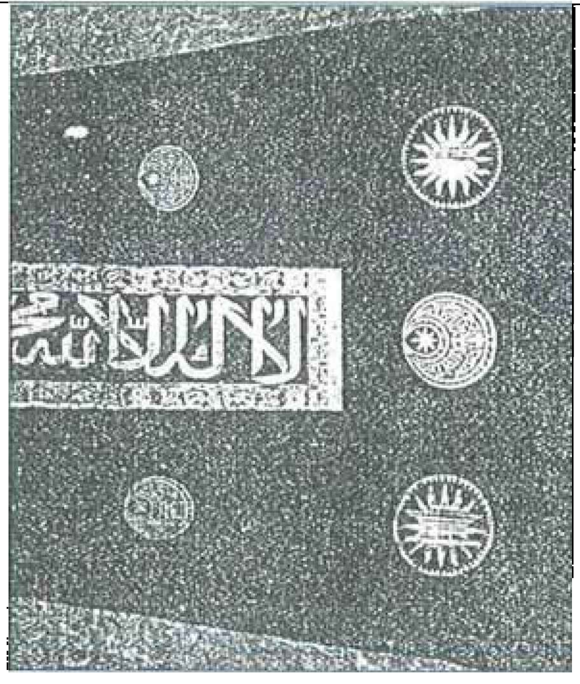
ويظهر في مشهد للقدس منشور في الدليل التوجيهي للقيام برحلة اللازورد عام ١٤٥٧م المحفوظ في المكتبة الوطنية (الفرنسية)، مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد رُفع على مآذنه علم عليه هلال (٣). ويظهر في لوحة تنتمي إلى مدرسة بيليني (٤) Belini . محفوظة في متحف اللوفر، تمثل حفل استقبال السلطان المملوكي سفير حكومة البندقية دومينيكو ترافيزان Domenico Travesan في القاهرة عام ١٥١٢م. تظهر فيها، قبب وأبراج يعلوها الهلال. ويبدو أنها جزئية أصيلة بسبب الشعار المملوكي الذي يظهر في تلك اللوحة أيضاً. وتحتفظ بعض النقوش والرسوم من العصر العثماني بالطراز نفسه.

وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي أذكر لوحة ملكيور لوركس (٥) Melchior Lorichs. ولوحة أخرى تعود إلى ما قبل عام ١٥٦٠م: وهما يمثلان مشهدين من إستانبول محفوظين في قاعة الأختام في المكتبة الوطنية الفرنسية (٦). ويمثل مشهد من الجزائر العاصمة يعود إلى الزمن نفسه، منشور في كتاب عنوانه: «مجموعة أيقونات وصور تاريخية من الجزائر» للفنان الفرنسي (ليون) اسكوير (٧)صروحاً نرى عليها الشعار نفسه (٨). إن فائدة الشعارات التي يمكن أن تكون مرسومة على الرايات هي أكبر من تلك التي تُزيَّن بها الأعلام.

ولدينا من القرن الخامس عشر لوحتان جداريتان: تمثل إحداهما نزول البرتغاليين عام ١٤٧١م على الساحل المغربي في أصيلا (٩)، وتمثل الأخرى حصار تلك المدينة، نرى فيهما اعلاماً يظهر فيها الهلال (١٠). ويعود الكرتون الذي رُسمت عليه اللوحتان إلى الرسام البرتغالي المشهور نونو غونسالفيس (١١) Nuno Gonçalves الذي شهد استيلاء ألفونسو الخامس (١٢) على تلك المدينة (١٣).

أما اللوحات الجدارية العشر التي تمثل استيلاء شارل كوينت (١٤) Charles-Quint على تونس العاصمة في عام ١٥٣٥م، وسُميت تلك اللوحات «الوقائع المنسوجة»، فهي للرسام جان كورنوليس فيرميان (١٥) Jean Cornolis Vermeyen الذي رافق الحملة. وقد صور نفسه في واحدة من اللوحات وهو يرسم في موقع من ساحة المعركة. نرى في المستوى الأول من لوحته: الاستيلاء على تونس العاصمة. فارساً مسلماً يحمل ترساً رُسم عليه هلالان ونجمان بغير ترتيب منتظم:

شعار الهلال المقرون بالنجم يعود إلى القرن الثامن عشر، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون بعض الصروح التي تعود إلى القرن الرابع عشر، مثل أولو جامع في مدينة بورصة مزينة بذلك الشعار



الشكل ١: تفاصيل راية استولت عليها القوات البحرية لحكومة البندقية في معركة ليبانت، محفوظة في قصر الدوقات في البندقية.

وفي لوحته المسماة خروج العدو من حلق الوادي (١٦) نرى هلالاً كبيراً في وسط ما يبدو أنه درع أو عَلَم (١٧).

وإذا انتقلنا إلى القرن السابع عشر وجدنا على خريطة بحرية قديمة، مؤرخة في مرسيليا عام ١٦٢٣م، مهداة إلى الكاردينال دو ريشيليو (١٨) Richelieu أن إفريقية ممثلة برامي سهام يضع عمامة، وعلى ترسه المزين بالطغراء هلال، وهو يرمي سهماً نحو إسبانيا (١٩).

وتحتفظ رهبانية مالطا بسلسلة من الأختام الملونة والرسوم بالألوان المائية تعود إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر تمثل معارك بحرية لفرسان مالطة ضد الأخوين برباروس (٢٠) ترفع فيها السفن أعلاماً عليها أهلّة. وإذا كان من غير الممكن الاعتراض على مجمل الجانب المادي من هذه الأمثلة فإن دلالته الوطنية أو الدينية ينبغي أن تُفَحَّص تفحصاً دقيقاً.

ولدينا شهادة تركية تعود إلى بداية القرن الثامن عشر تنفي وجود أي دلالة سلالية، أو دينية للهلال. يصف محمد أفندي (٢١) الثامن والعشرون، الذي عُيِّن عام ١٧٢٠م سفيراً في بلاط لويس الخامس عشر Louis XV الألعاب النارية بهذه الكلمات:

«منَصب من اللهب الأبيض يظهر وقد علاه هلال، يبدو فوقه بوضوح تاج ملكي، ويبدو أن الفرنسيين يشيرون إلى كل بلد بشعار خاص، ويبدو أن الهلال هو شعار سلطاننا، وهم يعدون تقليد ذلك الشعار في احتفالهم ضرباً من ضروب احترامهم لنا» (٢٢).

إن محمداً أفندي الذي يستخدم صيغة الشك: «إيميش - imich» كان مدبراً، ودبلوماسياً (كان منذ زمن قليل قد مثل بلاده بصفة مندوب ثان في مؤتمر باساروفيتز (٢٣) Passarowitz)، وهو في الوقت نفسه أديب (٢٤). إذاً لا يمكن أن يتبادر إلى أذهاننا أنه يجهل حقيقة هذا الشعار لو أنه كان شعاراً وطنياً ودينياً. إن أعلام قبب المساجد والمآذن كانت تزين على مدى الزمن في بلاد الأتراك بنماذج تجذب الأنظار من أهلة وأشكال أخرى مشابهة. وقد نشر الدكتور رضا نور (٢٥) دراسة مهمة، تستحق أن نشيد بها، خصصها لدراسة الهلال، أورد فيها ما لا يقل عن ٢٠٩ من تلك النماذج (٢٦). ولكن ما يؤسف له أن الصروح التي تنتمي إليها تلك النماذج لا تساعد على تأريخها، والدكتور رضا نور كان أول الذين أشاروا إلى ذلك.

يوجد عدد من المخطوطات التي تعود إلى نهاية القرن السادس عشر، وتحتوي على مشاهد حربية أشهرها مخطوطتان: "شجاعتنامه" التي تعود إلى عام ١٥٨٦م، و"تاريخ اليمن" التي تعود إلى عام ١٥٩٤م

وتحتفظ رهبانية مالطا بسلسلة من الأختام الملونة والرسوم بالألوان المائية تعود إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر تمثل معارك بحرية لفرسان مالطة ضد الأخوين بربروس ترفع فيها السفن أعلاماً عليها أهلّة

وينبغي التنبه في المقام الأول إلى أنها تنتهي بطرز متنوعة كل التنوع: اثنان منها يمكن أن يختلطا بسهولة بالهلال [٢٧]؛ وتلك هي حالة القرص المجوف بوساطة دائرة أخرى مما يوحي بشكل هلال يلتقي طرفاه. وحالة الهلال الذي يرتفع قرناه، ويقترب طرفاهما ليتقوسا إلى الخارج. ويتحدث البارون دو توت [٢٨] Le baron de Tott في مذكراته، بما عُرف عنه من دقة الملاحظة، عن هذا النمط من الأعلام بوصفه «نوعاً من أنواع الأهلّة» [٢٩]. ويكتسي العَلَم

الشكل ٢: القسم الأسفل من الراية التي استولى عليها جان سوبيسكي في أثناء حصار فيينا عام ١٦٨٣م، مأخوذ من رسم ملون في كنيسة القديس جان دو لاتران في روما والأرقام تشير إلى الألوان: ١. أحمر. ٢. أخضر. ٣. أصفر. ٤. أبيض. ٦. بنفسجي.

أشكالاً أخرى مختلفة كل الاختلاف: من ذلك أنه يمكن أن ينتهي بطراز من فن الزخرفة العربي (أرابسك)، أو بكتابة منقوشة ضمن إطار مزخرف، أو بمجرد عقدة كمثرية الشكل. بل إن هناك بعض النماذج التي هي تخيلية خالصة. من ذلك شكل المحبرة مع ريشتها الموجودة على أحد مساجد القرن الذهبي [٣٠]، ويعود إلى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، وقد كان مؤسسه أحد الخطاطين [٣١].

لننظر إلى ذلك التنوع في الأعلام بوصفه يتوافق مع طراز تزييني أكثر مما يتوافق مع رمز ديني. هذا من جهة، وينبغي من جهة أخرى أن نلاحظ أن تلك الأعلام ليست وقفاً على الصروح الدينية، وإنما نراها أيضاً على المباني المدنية. وإن مخطوطة هونارنامه Hünername [٣٢] الشهيرة التي تعود إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي تقدم لنا أمثلة لذلك العصر. أشهرها: مثال دير القديسة إيرينا Sainte- Irene [٣٣]، وهو صرح استُخدم مستودعاً للذخيرة بعد فتح القسطنطينية، ولم يُستخدم البتة مسجداً [٣٤]. ولن أتحدث عن النوافير ذات الأعلام التي كانت منتشرة بأعداد كبيرة. وقد ألمح البارون دو توت إلى إعادة بناء قصر الوزير الذي احترق، فقال: إن المهندس المعماري استبدل بالأهلة أزهار الزنبق لإتمام تزيين إحدى القبب، وخلص من ذلك إلى القول: «إن الأتراك لا يقيمون لتلك العلامة وزناً كبيراً» [٣٥]. وقد أقام البارون دو توت في تركيا أيام حكم السلطان مصطفى الثالث [٣٦] في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، لإعادة تنظيم سلاح المدفعية.

أما فيما يخص القِدم النسبي لمختلف أنماط الأعلام فإنه من المستحيل تأريخها تأريخاً مؤكداً. ولكن شعار الهلال المقرون بالنجم يعود على أي حال، ومن دون أدنى شك إلى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، أي المتأخرة عن ١٨٢٦م، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون بعض الصروح التي تعود إلى القرن الرابع عشر، مثل أولو جامع في مدينة

بورصة (٣٤) مزينة بذلك الشعار (٣٥)، بينما ينبغي أن نصنف أعلام الرخام أو الحجر التي تتخذ شكل الأرابسك المفرغ، أو أزهار الزنبق، أو الكمثرى المحفوظة غالباً في المتاحف بين أكثر النماذج قدماً (٣٦). أما الأعلام ذات الكتابة فإنها تبدو متقدمة عليها؛ وهناك منها ما هو كثيف جداً مما يدل بالتأكيد على أنه يعود إلى عصر متأخر. وأخيراً هناك عينات الأهلة المسطحة، أو ذات القرون التي ينبغي أن تعود إلى عصور مختلفة دون أن يكون بالإمكان تحديد عمرها.

وإذا انتقلنا إلى تصوير الهلال على الرايات فإننا نصطدم أيضاً بصعوبات تحديد الزمن بالنسبة إلى الرايات الأصلية، وبصعوبات المطابقة بالنسبة إلى الرايات المستنسخة. ولكننا نستطيع على أي حال أن نحاول تكوين فكرة عن أكثر الرايات التركية قدماً عبر الرايات التي تربطها التقاليد بأحداث عظيمة، والتي لا بد أنها ألهبت المخيلات. وتصنف ضمن هذه الرايات رايتان: إحداهما استولت عليها من الأسطول التركي بحرية حكومة البندقية في عام ١٥٧١م في معركة ليبانت (٣٧) Lepante؛ والثانية وقعت في يد جان سوبيسكي (٣٨) Jean Sobieski عندما حاصر العثمانيون فيينا عام ١٦٨٣م.

لقد أسهمت القوات البحرية لحكومة البندقية إلى جانب حلفائهم الإسبان، وفرسان مالطة إسهاماً حاسماً في الانتصار الذي تحقق في معركة ليبانت. وهناك راية ضخمة تعدّ من غنائم تلك المعركة، محفوظة اليوم في القصر الدوقي في صالة مجلس العشرة (الشكل ١). وهي راية من الحرير الأحمر، مزينة بالأصفر، طولها ٩ أمتار و ٧٠ سم، وعرضها متران و ٢٠ سم. وهي على شكل مثلث، وفي وسطها مستطيل يحتوي على عبارة التشهد الإسلامية. كما يوجد قرب رأس المثلث سيف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه المشهور، ذو الشعبتين، الذي يُسمى: ذا الفقار، تغطيه آية النصر (٣٩). ويحيط بالمستطيل زخرف نباتي ملتف كالأغصان، وأزهار الخزامى بأسلوب التزيين التركي الذي يعود إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، في حين أن حواشيها ذات اللون الأزرق السماوي مكونة من طراز يذكِّر بأزهار الزنبق، وتندمج الفراغات في الحواشي فتصبح مملوءة بطريقة تزيينية متتابعة. ونصادف هذا النمط من الحواشي في الشرق الأوسط كله، وفي تزيين السجاد على وجه الخصوص. إن المسافة بين السارية ورأس الراية مزينة. فضلاً عن شكل الشمس المتوهجة بطراز (موتيف) يسميه الملازم دو لوسيا (٤٠) de Lucia «الهلال المغلق». والمقصود بهذه التسمية مجموعة من الأقراص مرسوم في كل منها شكل بيضوي يلامس المحيط. وإذا نظرنا إلى الشكل البيضوي على أنه فراغ فإن لدينا شكلاً دائرياً وغليظاً لشبه هلال لا يمت بصلة إلى القد المشوق والأنيق للهلال الذي يأخذ شكل المنجل. إن هذه الأهلَّة المغلقة مغطاة بكتابات دينية، ويوجد نجم ضمن الشكل البيضوي (٤١). ونحن نعرف ذلك الطراز، ليس بمفرده، بل مكرراً ثلاث مرات بوصفه عنصراً شائعاً في الزينة التركية التي كانت تُستخدم من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر الميلاديين على الديباج والسجاد والخزف المزخرف، مع فارق ضئيل يتمثل في أن دائرة صغيرة تحل محل الشكل البيضوي. ونجده أيضاً في تلبيس الصدف والحرشفيات على التماثيل

إذا أخذنا في الحسبان الطابع الكوني للإسلام فإن ذلك ربما يكون أفضل دليل على أن الهلال لم يكن رمزاً دينياً. ولم يكن الهلال عند الأتراك في أي مستوى من المستويات موضعاً للتقديس

الخشبية. ويبدو أن هذا الترتيب الثلاثي لا ينفي فكرة التمثيل القمري فقط، وإنما له علاقة بأسلحة تيمورلنك (٤٥).

ويتحدث غونزاليس دو كلافيجو Gonzalez de Clavijo (٤٦) عن تلك الأسلحة التي لها شكل ثلاث دوائر تشبه حرف O، والتي كانت مرسومة على النقود والأختام، وعلى كل ما يمت بصلة إلى الفاتح المخيف. ويرسمها كلافيجو على شكل هرم معكوس. ويضيف أن معنى سيد أقسام العالم الثلاثة مرتبط بها (٤٧). وإذا كان واضحاً أن العناصر الكتابية وسيف الإمام علي (رضي الله عنه) هما رمزان إسلاميان فإنه يبدو أن للطرز الأخرى في هذه الراية طابعاً تزيينياً أكثر منه شعارياً.

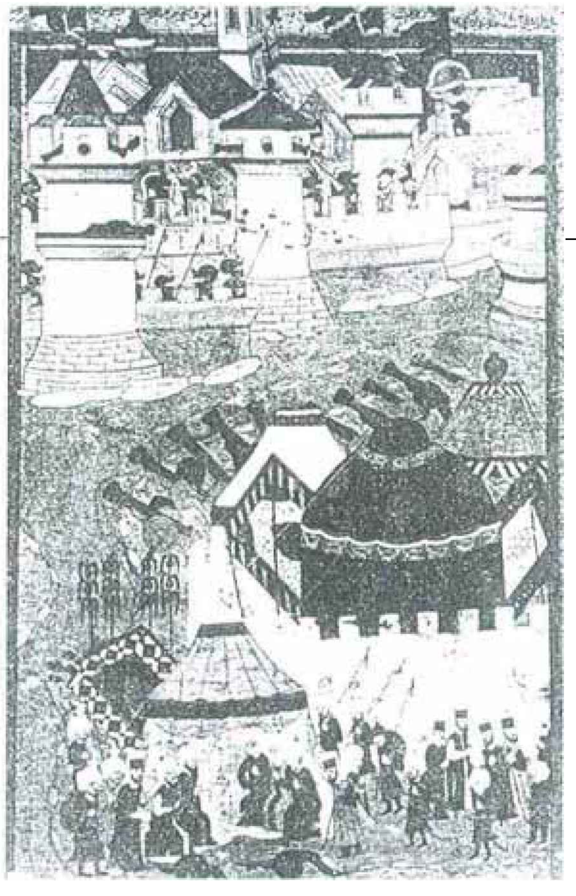
وإذا صدقنا المصادر البولونية (٤٨)، فإن الملك سوبينسكي أرسل إلى البابا الراية الضخمة «التي كان يُعتقد أنها راية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)». التي أُخذت من خيمة الصدر الأعظم نفسه في عام ١٦٨٣م أمام جدران فيينا، وحُفظت في روما في كنيسة القديس جان دو لاتران Saint-Jean de Latron (الشكل ٢) (٤٩). ويمكننا أن نؤكد أن قسم الراية الذي يرتبط بالسارية غير موجود لأن الجذعين اللذين نراهما في وسطه، وهما متباعدان، ينبغي أن يمثلا النصل المتشعب لـ ذي الفقار الذي ضاع القسم الداخلي منه، كما ضاع المقبض. وإن قياسات الراية التي تشبه المربع: ستة أمتار وعشرة سنتمترات طولاً، و ستة أمتار و ثلاثون سنتمتراً عرضاً، هي عناصر تؤكد هذا الافتراض. والراية مقسمة إلى اثني عشر شريطاً أفقياً: حمر وخضر وصفر متناوبة. ونجد من جديد بعد أكثر من قرن على هذه الراية «ذو الفقار» الذي وجدناه على راية معركة ليبانت. ونجد الهلال المغلق أيضاً. ويتناوب الهلال المغلق مع شمس منيرة، بل بالأحرى مع نجم يتكون مركزه أيضاً من هلال مغلق (شكل ٢). وعلى أي حال فإن دوائر صغيرة تحل محل الأشكال البيضوية الموجودة على الأهلة المغلقة الموجودة على راية ليبانت. وهذا أكثر تطابقاً مع التمثيل التزييني لهذا الطراز الذي سبقت لنا رؤيته على الصناعات العثمانية الفاخرة. إن الهلال، أي القمر المجوف الذي ينبغي حسب تعريفه المتفق عليه أن يتباعد قرناه ما زال حتى الآن غائباً.

أما السيف الأسطوري ذو الفقار الذي استمرت صورته تتخذ مكاناً لها على الأعلام التركية حتى بداية القرن التاسع عشر: فيبدو أنه علق في غمده، ولما حاول الإمام علي (رضي الله عنه) أن يستله بذل جهداً كبيراً انقسمت معه شفرة السيف إلى قسمين.

وندين للبارون دو توت بوصف بارجة أمير البحر التي اختطفها العبيد الذين كانوا على متنها في أرخبيل الجزر اليونانية، واقتادوها إلى مالطة بينما كان ضباطها والقسم الأكبر من ملاحيها على الأرض. ثم قام الملك (المقصود ملك فرنسا لويس الخامس عشر) بشراء البارجة والعَلَم في مالطة، وأعادهما إلى الأتراك. وقد كان العلم تبعاً لعبارة دو توت يحمل «أسماء خلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الزوايا الأربع، وسيفاً ذا شعبتين شعاراً، وآيات من القرآن (الكريم) على الحواشي، مطرزة بالفضة على نسيج قرمزي» (٥٠).

ويحتفظ متحف القوات البحرية في القرن الذهبي براية ذات حجم استثنائي طولها لا يقل عن ١٤ متراً، وعرضها سبعة أمتار ونصف المتر. نُسجت في بغداد للسلطان سليم الثالث، وتحمل التاريخ الهجري الذي يوافق عام ١٧٩٣م.

يحتفظ متحف القوات البحرية في القرن الذهبي براية ذات حجم استثنائي طولها لا يقل عن ١٤ متراً، وعرضها سبعة أمتار ونصف المتر. نُسجت في بغداد، وليس عليها أي نوع من الأهلة



الشكل ٣: حصار السلطان سليمان القانوني لفيينا عام ١٥٢٩م: منمنمة تعود إلى نهاية القرن الخامس عشر، رسمها السيد عثمان، متحف السراي القديم في استانبول.

تزينها طغرا السلطان سليم المشغولة بالفضة على أرضية حمراء، والسيف المسمى ذا الفقار بشكل طولي، وليس عليها أي نوع من الأهلة.

ويقول «مراجا دوهسون» Mouradja d'ohsson: إنه كان لفرقة الإنكشاريين بيرق كبير مصنوع من الحرير الأبيض طُرِّزت عليه بماء الذهب آيات من القرآن (الكريم). ويُنصب هذا البيرق في المعسكر أمام خيمة الآغا مع ثلاثة ذيول احصنة (أطواغ). وكان لكل كتيبة (اورطة)[illegible] علمها، نصفه أحمر ونصفه اصفر يُنصب أمام خيمة قائدها[illegible]. ونلاحظ أن هذه الشهادة التي تعود إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي لا تأتي على ذكر أي رمز.

وتحمل إحدى الرايات المصنوعة من الحرير. نُشرت على أنها تعود إلى القرن الخامس عشر. وواقع الأمر أنها تعود إلى بداية القرن التاسع عشر. وآية ذلك أنها تحمل التاريخ الهجري الموافق لعام ١٨٢٠م[illegible]، فضلاً عن اسم الله عز وجل، والرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الأربعة. أهلّة مغلقة تغطيها كتابات دينية، شأنها شأن الهلال على راية ليبانت التي تسبقها بقرنين ونصف. كما نجد في خلفيتها زخارف مؤلفة من عناصر نباتية ذات طبيعة تزيينية ظاهرة، منظومة نظماً متناظراً. إذاً، يغيب الهلال غياباً واضحاً من كل الرايات التي تتتابع من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر. الرايات التي نعرف الأصلية منها أو أوصافها، وتأكدنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً من قدمها وتاريخها.

ومهما يكن من أمر فإن الدكتور رضا نور نشر عدداً من الأعلام المحفوظة في متحف راتوس Rathaus في فيينا دون إشارة إلى مصدرها أو إلى تاريخها. نجد أيضاً على تلك الأعلام أهلّة[illegible] إلى جانب ذي الفقار والكتابات والخطوط والنجوم والزخارف.

أما على الأرض فقد كانت الأطواغ[illegible]، ذيول الأحصنة المربوطة بسارية هي الراية الحقيقية للأتراك. والأطواغ هي التي تعطي إشارة ارتحال المعسكر. ويشير عددها إلى مرتبة القائد، ومن هنا جاءت عبارة «باشا بثلاثة ذيول». وترتبط بهذه الذيول الأفكار والمشاعر التي يمثلها العَلَم. وتنتهي سارية الطوغ عموماً بعقدة كروية. وتحتفظ كاتدرائية كراكوفا بين كنوزها بطوغ من هذا النمط، مصدره الغنائم التي استولى عليها سوبيسكي عند أسوار فيينا[illegible]. وإن للطوغ الذي حمله بونابرت من

أشهر رسم من رسوم السلاطين عن جدارة واستحقاق هو رسم السلطان محمد الثاني، فاتح القسطنطينية، وتظهر فيه التيجان الثلاثة: تاج بيزنطة، وتاج قونية، وتاج طرابزون، دون أن نجد أي أثر للهلال

> ينبغي انتظار نهاية القرن الثامن عشر إبان حكم سليم الثالث لنرى الهلال يترافق مع النجم، موضوعاً على خلفية حمراء، ويُعتمد لأول مرة كما يشير إلى ذلك يعقوب أرتين باشا، شعاراً للعلم التركي

مصر والطوغ الذي عرضه غرو (٤٣) Gros في لوحته «معركة أبو قير» الشكل نفسه. ومهما يكن من امر فإن هناك أطواغاً يعلوها هلال. وقد نشر الدكتور رضا نور طوغين من هذا النمط، محفوظين في البندقية، يُظن أن أحدهما يعود إلى الربع الأخير من القرن السابع عشر او إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر (٤٤).

ونعلم حق العلم أن علم الروم، أي الأتراك في دمشق عام ١٥١٧م كان يوجد في رأسه هلال من الفضة المطلية بالذهب (٤٥).

وكانت كل كتيبة إنكشارية (أوطة) تتميز بنيشانها الذي يُرسم على قباب خيامها. هل يمكن لهذه العلامات المتنوعة كل التنوع أن تلقي بعض الضوء على موضوعنا؟ ونجد في كتاب الكونت دو مارسيغلي (٤٦) Marsigli: الوضع العسكري للدولة العثمانية الذي ظهر عام ١٧٣٢م مئة وستين من تلك العلامات نقلاً عن مخطوطة تركية. ولكن ما يؤسف له انه عزف عن

الشكلان ٤-٥ رسم شخصي (بورتريه) لمحمد الثاني، رسمه كوستانزو دو فيراري نحو عام ١٤٧٠م، متحف السراي القديم في إستانبول وصورة ايطالية منقولة من الأصل





نشر شروح الأصل «ليدفع الملل عن القارئ». بيد أنه يمكن أن نبدي الملاحظات الآتية:

ليس بين ما يقارب أربعين علماً منشوراً في ذلك الكتاب أي علم يظهر عليه الهلال. في حين أن اثنين منها يظهر عليهما ذو الفقار. وتنتهي سواري تلك الأعلام كلها بلا استثناء بشكل مكور. وإن لأربعة من الأطواغ رأساً كمثريّ الشكل بعض الشيء، ولا ينتهي أي منها بهلال. وعلى العكس من ذلك فإن أربعة أعلام يظهر الهلال عليها، كما أننا نصادف بعض شبه الأهلة السميكة والمكورة من النمط الذي عرفناه من قبل.

إذاً، ليس في تفحص تلك العلامات سمة إيجابية تُضاف إلى الطبيعة الدينية أو الشعارية المنسوبة إلى الهلال، باعتبار أنه لا يظهر على أي راية أو سارية راية أو طوغ باستثناء بعض الأعلام.

وعندما أراد «مراجا دوهسون» الحديث عن تلك العلامات استخدم العبارات التالية: «كان للكتائب أيضاً نياشينها الخاصة التي تتمثل في سلاح، أو حيوان، أو في أي شيء كان. ونرى تلك الرموز على الخيام، وعلى المشاعل، وعلى أبواب المساكن»(٦٠). تلك العلامات التي كانت تُستخدم لتمييز الكتائب العسكرية لم تكن تظهر إذاً على أعلامها.

كيف مثل الأتراك شعاراتهم في المنمنمات؟ يوجد عدد من المخطوطات التي تعود إلى نهاية القرن السادس عشر، وتحتوي على مشاهد حربية أشهرها مخطوطتان: «شجاعتنامه» Chédjaatname التي تعود إلى عام ١٥٨٦م، و«تاريخ اليمن» التي تعود إلى عام ١٥٩٤م. وهما موجودتان في مكتبة جامعة إستانبول، ومصدرهما السراي القديم. ولا أذكر أنني رأيت في أي من المنمنمات التي تحتوي تلك المخطوطتان عليها أي علم مزين بالهلال. يتحدث الجزء الثاني من «هونارنامه» الذي زينه الفنان العثماني، عن عصر سليمان القانوني. وإن واحداً من رسومها التي شغلت صفحة كاملة، وذُكر أنها تمثل حصار السلطان سليمان لمدينة بلغراد، تمثل في واقع الأمر حصار العاصمة النمساوية فيينا في عام ١٥٢٩م، وقد أُشير إليها في الكتابة التوضيحية بكلمة «بيتش» Petch، وهي التسمية الهنغارية للعاصمة النمساوية (الشكل ٣)(٦١). ترفرف فوق القلعة، على المتاريس التي نميز فيها المدافعين المدرعين والمقنعين أعلام يظهر عليها الصليب، في حين أن ما يقابلها في المعسكر التركي هي الأطواغ. وهناك منمنمة أخرى تمثل فتح فان وان Van(٦٢) في أثناء العودة من الحملة على بلاد فارس، وهي حملة قادها السلطان نفسه. ولا يظهر على أطواغ المعسكر، ولا على رؤوس سواري الرايات التي ترفرف على القلعة أي أثر للهلال. ولا تحتوي أي من مجموعات الرسوم الشخصية للسلاطين، التي تعود إلى القرن السادس عشر، وتُسمى: سلسله نامه Silsilénamé(٦٣)، وشمائلنامه Ché(٦٤) mailname، وشهنامه Chahnamé(٦٥)، على رسم للهلال. وإن أشهر رسم من رسوم السلاطين عن جدارة واستحقاق هو رسم السلطان محمد الثاني، فاتح القسطنطينية، وهو الرسم الذي أنجزه جنتيلي بيلليني(٦٦) Gentile Bellini، والمحفوظ اليوم في الغاليري الوطنية. إنه رسم يدل على الفخامة، وتظهر فيه التيجان الثلاثة: تاج بيزنطة، وتاج قونية(٦٧)، وتاج طرابزون(٦٨)، دون أن نجد أي أثر

لننظر إلى ذلك التنوع في الأعلام بوصفه يتوافق مع طراز تزييني أكثر مما يتوافق مع رمز ديني. كما نلاحظ أن تلك الأعلام ليست وقفاً على الصروح الدينية، وإنما نراها أيضاً على المباني المدنية

للهلال (٧٠). وينطبق الأمر نفسه على الميداليات التي صُنعت في القرن الخامس عشر في إيطاليا، وعليها رسم السلطان نفسه. أما المخطوطات الغربية المزينة بالمنمنمات فإنها تقدم مظهراً مختلفاً كل الاختلاف. فحكاية حصار رودوس Rhodes التي وضعها في عام ١٤٨٠م كاورسان Caoursin نائب مستشار فرسان القديس جان في القدس، وهي حكاية تكثر فيها الرسوم التزيينية. وترجع إلى نهاية القرن الخامس عشر (٧١)، هي نموذج مثالي في هذا المجال: نرى فيها عدداً كبيراً من الأعلام التركية ذات الهلال، بل إن بعضها ذات هلال ونجم، أو ذات نجم فقط. ويبدو واضحاً في عدد كبير من الرسومات التي تمثل المقر، وتشغل صفحة كاملة، التعارض المنتظم بين الأعلام المسيحية والإسلامية: إذ يظهر الصليب على إحدى الرايات المتفرعة، ويظهر على أحد البيارق التي تتكرر متطابقة في معسكر المحاصرين هلال بدل الصليب. ويظهر الهلال أيضاً على الخيام والمنابر التركية. وتمثل إحدى المنمنمات الموجودة في هذا المجلد المحفوظ في المكتبة الوطنية (الفرنسية) الأمير جم (٧٢) Djem وهو يصلي، الذي يسميه الغربيون جيجيم ZiZim (اللوح ١٤٤). ويبدو ساجداً أمام مذبح نُزع غطاؤه. في حين أن التقليد الشرقي يقتضي على العكس أن يظل المذبح مغطىً. إن الجهل بممارسات المسلمين وعاداتهم جعل راسم المنمنمة الملونة

> الرمز بالهلال لتركيا وللإسلام قد قام في الغرب بكل تأكيد على الملاحظة: ولكنه تمثيل فردي جرى تعميمه وتنظيمه في المرحلة الأولى، ثم اقتراحه شعاراً وطنياً في تركيا التي انتهى بها الأمر إلى اعتماده

يضمنها تمثالاً صغيراً بجانب المذبح. ويبيح لنا ذلك أن نفترض أن صانع المنمنمة لم يكن أكثر علماً فيما يخص شعارات الأعلام التركية. إن الرسم الشخصي (البورتريه) لمحمد الثاني (الفاتح)، المحفوظ في السراي القديم، وهو منقول عن الرسم الشخصي الأصلي الموجود في إيطاليا، وقد كنت أول من لفت الانتباه إليه (٧٣)، يسمح على الفور بملاحظة الدور العشوائي الذي يُسند إلى الهلال. إن الرسم الشخصي (البورتريه) الأصيل الذي أنجزه كونستانزو دو فراري Constanzo de Ferrare يمثل فاتح القسطنطينية من دون أي صولجان. في حين أننا نجد السلطان في صورة إيطالية يُعتقد أنها اتخذت من الرسم الشخصي المحفوظ في استانبول نموذجاً نقلت عنه، نجده، يلبس زياً غربياً، ويحمل صولجاناً مزيناً بثلاثة أهلة (الشكلان ٤ و ٥). علماً أن الصولجان ليس علامة من علامات السلطة في الشرق الإسلامي.

وينبغي انتظار نهاية القرن الثامن عشر إبّان حكم سليم الثالث لنرى الهلال يترافق مع النجم، موضوعاً على خلفية حمراء، ويُعتمد لأول مرة كما يشير إلى ذلك يعقوب ارتين باشا (٧٤)، شعاراً للعلم التركي. وكان إيجاد قوات عسكرية منظمة على الطريقة الأوروبية في عام ١٧٩٣م «النظام الجديد» فرصة مناسبة لتطبيق ذلك الإجراء (٧٥). ولكن هذا العلم اتخذ شكله النهائي في أيام حكم محمود الثاني (٧٦) عام ١٨٢٦م، بعد إلغاء الإنكشارية وما رافق ذلك من عنف (٧٧). كان سليم الثالث قد قدم لنلسون بعد معركة النيل عام ١٧٩٨م: وهي المعركة التي شهدت تحطيم أسطول الحملة الفرنسية على مصر هلالاً مزيناً بالأحجار الكريمة. كان الأميرال البريطاني يحمله على أنه علامة تكريم. وفي السنة التالية أصدر السلطان سليم الثالث بإحداث وسام الهلال (٧٨) المخصص للأجانب ولا يُمنح للمواطنين (٧٩). ولو كان الهلال شعاراً دينياً لكان من الصعب منحه للمسيحيين.

ونحن نعلم كما نقل لنا ذلك فاسيلي بارتولد أنه لم يكن للهلال وجود على مساجد تركستان قبل الغزو الروسي[٨٠]. وقد كان مجهولاً في إيران أيضاً. وإذا أخذنا في الحسبان الطابع الكوني للإسلام فإن ذلك ربما يكون أفضل دليل على أن الهلال لم يكن رمزاً دينياً. ولم يكن الهلال عند الأتراك في أي مستوى من المستويات موضعاً للتقديس. كما يمكن أن تغرينا المظاهر بافتراض ذلك. وليس له أي صورة داخل المساجد. ولم يرد ما يبيح ذلك في القرآن الكريم. وليس هناك في حدود علمي كلمة تركية للإشارة إلى الهلال منفصلاً عن القمر[٨١]. إن الرمز بالهلال لتركيا وللإسلام قد قام في الغرب بكل تأكيد على الملاحظة: ولكنه تمثيل فردي جرى تعميمه وتنظيمه في المرحلة الأولى. ثم اقتراحه شعاراً وطنياً في تركيا التي انتهى بها الأمر إلى اعتماده.

إن طبيعة الظروف التي جرى فيه تثبيت محتويات العلم التركي وألوانه تعزز هذا الاقتراح. فلم يكن العصر حينئذ عصر الإصلاحات في المجال العسكري فقط: إصلاحات على الطريقة الأوربية. بل إن الفنون التركية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر سيطرت عليها تأثيرات أوروبية حلت محل التأثيرات الفارسية. فوجدنا الأثاث الخشبي في مساكن سليم الثالث في السراي القديم مصنوعة على طراز لويس الخامس عشر المتموج. وحدث ذلك حتى في الأقاليم: وإن دهشتنا لا تنقضي عندما نجد - على سبيل المثال - في مسجد المرادية في مدينة بورصة. وهو مسجد يعود إلى القرن الخامس عشر. محراباً على طراز لويس الخامس عشر. ويُفسر ذلك ترميم جرى للمحراب في عهد سليم الثالث[٨٢]. تلك هي الظروف التي عُرضت فيه هذه الفرضية التي ترجع إلى عصر السفير محمد أفندي (الثامن والعشرين) على الأقل.

المراجع

* الموسوعة العربية العالمية ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م، ج١٨. ص٣٢١

١. أني. مدينة تركية اشتهرت مآثارها التاريخية من القرون الوسطى. تقع في الجنوب الشرقي من مدينة قارس الواقعة في شرق تركيا حالياً. قضى عليها الزلزال المدمر عام ١٣١٩م فأصبحت غير صالحة للإقامة. وما زالت أنقاضها مجال بحث ودراسة لدى علماء الآثار. انظر

Turk Ansiklopdısı. Milli Eğitim Bakanligı. Istanbul. 1971. M_35

وجاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية. ط١ مركز الشارقة للإبداع الفكري. ١٤١٩هـ/١٩٨٨م. ج٣٢. ص ١٠٠٦٠-١٠٠٦١ كما ظهر استخدام الهلال في مواقف دينية. من ذلك أنه حل محل صليب كنيسة آني في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي عند تحويلها إلى مسجد ليشكل قيمة رمزية أو شعاراً يعبر عن التميز الثقافي. (المترجم).

٢. معلومة أفاد بها N. Marr عن التنقيب في مدينة آني. واقتبسها فاسيلي بارتولد BARTHOLD. إسهام في مسألة الهلال بوصفه شعاراً للإسلام (بالروسية). نشرة أكاديمية العلوم الروسية. ١٩١٨م. رقم ٦. ص ٤٧٦. ترجمة مخطوطة قام بها ج. زافريوف J. Zavrew.

٣. فرنسي ٩٠٨٧. ونشرت هذه المنمنمة في EBERSOLT= ج. إيبرسولت. الشرق والغرب. ١٩٢٩. اللوحة ١١

٤. المقصود بمدرسة بيليني هم جاكوبو بيليني وأبناؤه الذين كان لهم شهرة في عالم الرسم الإيطالي وهم: جاكوبو بيليني الأب Jacopo BELLINI الرسام الإيطالي الذي ولد في البندقية عام ١٤٠٠م، ومات عام ١٤٧٠م. وتتلمذ لجنتيل دا فابريانو Gentile da Fabriano. وكان له ولدان هما جنتيل وجيوفاني ساعداه على إنجاز كثير من اللوحات والرسوم التي لم يبق منها إلا الشيء القليل. وكان السلطان العثماني محمد الثاني استدعى ابنه جنتيل (نحو ١٤٢٩، ١٥٠٧م) عام ١٤٧٩م إلى إستانبول. وهو الذي رسم اللوحة التي يشير كاتب البحث إلى أنها موجودة في متحف اللوفر. ويعد ابنه جيوفاني (١٤٢٩، ١٥١٦م) الأكثر شهرة بين أفراد الأسرة. عن معجم لاروس القرن العشرين (بالفرنسية). (المترجم).

٥. ملكيور لوركس (أو لوربتش). فنان كان في إستانبول بين عامي (١٥٥٦م و١٥٨٣م). وأمضى قسماً من هذه المدة في حاشية أوجيير غيسلين دي بوسبيك سفير الإمبراطورية الرومانية في إستانبول من عام ١٥٥٤م إلى ١٥٦٢م. انظر كتاب. تراث الإسلام. تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث. مجموعة من المترجمين والمراجعين العرب. سلسلة عالم المعرفة الكويتية. ط٣. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. ج١. ص٣٩٠: وكتاب الإسلام والعرب لبرنارد لويس. ترجمة عربية مخطوطة أنجزها أ. د. فؤاد عبد المطلب. ص ٣٩(المترجم).

٦. محفوظة برقم ٣١١١ B مشهد من إستانبول مأخوذ من البحر. مسجد رستم باشا يعود إلى عام ١٥٦٠م مشار إليه فيها

٧. إسكوبير. ليون شارل ستيفان إسكوبير. ممثل ومؤلف مسرحي فرنسي ولد في الجزائر عام ١٨٧١م. ومات في باريس عام ١٩٣١م. وعنوان كتاب إسكوبير

بالفرنسية: Iconographie historique de l'Algérie d'Esquer. (المترجم).

٨. ١٩٢٩، اللوحة ١٣، ٣٥.

٩. مدينة مغربية تقع جنوب طنجة على ساحل الأطلسي، وقد وردت في النص بالتسمية البرتغالية لها إذ يسميها البرتغاليون ارزيلا Arzila. (الامترجم).

١٠. كتالوج المعرض عام ١٩٣١ الفن البرتغالي من عصر الاكتشافات الكبرى حتى القرن العشرين، رقم ٩٧ و ٩٨.

١١. رسام برتغالي كان رسام الملك الفونسو الخامس في عام ١٤٥٠م، وهو أهم رسامي البرتغال في القرون الوسطى (المترجم).

١٢. الفونسو الخامس، الملقب بالافريقي، ملك البرتغال (١٤٣٨، ١٤٨١م). (المترجم).

١٣. في عام ١٤٧١م أتم الملك الفونسو الخامس حشد قوة عسكرية ضخمة مكونة من ٤٧٢ سفينة محملة بثلاثين الف جندي توجهت يوم ٢٤/٩/ ١٤٧١م نحو مدينة اصيلا مقر الثائر محمد الشيخ الوطاسي، واحتلتها فجأة. انظر كتاب. العرب والبرتغال في التاريخ ٩٢هـ ١١٣٤هـ/٧١١هـ ١٧٢٠م د. فالح حنظل، منشورات المجمع الثقافي في ابو ظبي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٩٩. (المترجم).

١٤. إمبراطور ألماني، وملك إسبانيا باسم شارل الاول، ولد في غاند Gand عام ١٥٠٠م، وتوفي عام ١٥٥٨م. وينحدر من اسرة ملكية. وكانت حياته صراعاً مريرا مع فرانسوا الأول ملك فرنسا. وحارب العثمانيين ايضا، وصدهم مؤقتاً في عام ١٥٣٢م من دخول هنغاريا. وفي عام ١٥٣٥م قام بحملة ناجحة ضد العاصمة التونسية تونس والأخوين برباروس. وأخفق في احتلال الجزائر العاصمة عام ١٥٤١م. (المترجم).

١٥. جان كورنوليس فيرميان. رسام ونحات ومهندس معماري هولندي عرف بين عامي ١٥٣٥م و١٥٤٥م. كان رساماً في بلاط الملكة مارغريت ملكة النمسا. ثم انتقل إلى بلاط ماري ملكة هنغاريا، ورافق حملة شارل كوينت على تونس (١٥٣٥م)، وحمل معها بعد الحملة لوحات استمد منها عدداً من اللوحات الجدارية، واستقر به المطاف آخر الأمر في بروكسل حيث قضى نحبه على ما يبدو هناك. (المترجم).

١٦. اسم مكان في العاصمة التونسية. وعنوان اللوحة بالفرنسية كما ورد في الأصل Sortie de l'ennemi de la Goulette (المترجم).

١٧. فالنسيا دو دون جوان VALENCIA DE DON JUAN. لوحات التاج الإسباني، مدريد، ١٩٣٠م، اللوحة ٦٣ و ٦١.

١٨. ارمان جان دوبليسي دوريشيليو (١٥٨٥، ١٦٤٢م)، كاردينال، وسياسي فرنسي، كبير وزراء لويس الثالث عشر، والحاكم الفعلي لفرنسا (١٦٢٤، ١٦٤٢م). (المترجم).

١٩. المكتبة الوطنية، فرنسي ١٢٢٠، ٢.

٢٠. خير الدين واخوه عروج، اميرا البحر اللذان عاشا في جربة في تونس، وفي الجزائر. وكان لهما موقف مشرف في مواجهة الاسبان وقاتلا خلفاءهم في الجزائر، عززا السيطرة العثمانية على البحر الأبيض المتوسط لما يزيد على ٣٠ سنة. توفي خير الدين في استانبول وضريحه اليوم في حي من احياء إستانبول يسمى بشكطاش على البوسفور في الجانب الأوربي امام مسجد سنان باشا. انظر المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، تأليف س. موستراس، ترجمة وتعليق عصام محمد الشحادات. الجفان والجابي، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٥٩، ١٦٠، وانظر كتاب تاريخ الهلال لرضا نور

(بالفرنسية)، اللوحة ٢٠ (المترجم).

٢١. وكان له دور بارز في إدخال المطبعة العربية إلى الدولة العثمانية، وتأسيس اول مطبعة عربية في إستانبول. (د. صابان).

٢٢. قصة سفارة محمد افندي إلى باريس في عهد السلطان أحمد الثالث في عام ١١٣٣هـ (١٧٢٠م) (بالتركية). إستانبول، ١٣٠٦هـ، ص١٢٨.

٢٣. مدينة يوغوسلافية تقع في صربيا كانت مقراً لمعاهدة سلام بين تركيا وحكومة البندقية في ٢١ يوليو تموز ١٧١٨م تخلت بموجبها تركيا عن صربيا الجنوبية للإمبراطور النمساوي. عن معجم لاروس القرن العشرين (بالفرنسية). (المترجم).

٢٤. محمد ثريا MEHMED SUREYA، سجللي عثماني، (معجم تراجم بالتركية).

٢٥. رضا نور: صحفي ومؤرخ ورجل سياسة تركي، ولد في مدينة سنوب Sinope عام ١٨٧٩م. كان في بداية أمره جراح اطفال في كلية الطب في إستانبول. واسهم إسهاماً فاعلاً في الثورة التركية التي نتج منها دستور عام ١٩٠٨م. عمل في السياسة نائباً لمدينة سنوب، وسجن، ونُفي إلى البانيا، وشارك في انتفاضة الشعب ضد حكم السلطان. عاد إلى بلاده بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤، ١٩١٨م، وشغل عدة مناصب وزارية. اعتزل الحياة السياسية بعد عام ١٩٢٣م، وذهب إلى باريس للانصراف إلى أعماله الأدبية والتاريخية. الف ما يقارب ٥٢ كتاباً - احدها عن التاريخ التركي في أربعة عشر مجلداً. عن معجم لاروس القرن العشرين (بالفرنسية). (المترجم)

٢٦. تاريخ الهلال، ١٩٣٣م. وتشغل تلك الدراسة المجلد الأول، الكتاب الثالث، من مجلة التركيات Turcologie، الأشكال من ١ إلى ١٧.

٢٧. لقد لفت نظري السيد J. Deny=م. ج. دني إلى دلالة سارية العلم التي تنتهي بقرص، ودلالة كلمة مهتشي mahtche الفارسية (برهان قاطع Burhan-Kati): لأن المعنى الأصلي لهذه الكلمة هي الهلال. ونجد أنفسنا مجبرين على الإقرار بأن الفرس شأنهم شأن الأتراك كانوا يعرفون سارية العلم التي تنتهي بقرص.

٢٨. البارون فرانسوا دو توت: جنرال فرنسي، ابن نبيل هنغاري لاجئ. عمل مترجماً لدى السفير الفرنسي في إستانبول (١٧٥٧، ١٧٦٣م). ثم قنصلاً في القرم عند التتار. أعاد تنظيم الجيش التركي، وحصّن مضايق الدردنيل (١٧٧٣، ١٧٧٥م). وعين عام ١٧٧٦م مفتشاً في أساكل المشرق. ثم عمل مارشالاً. ثم هاجر إلى هنغاريا ١٧٩٠م. كتب مذكراته عن الترك والتتار Mémoires sur les turcs et les tartares، وتعد مصدراً مهماً عن تاريخ تركية. (المترجم).

٢٩. مذكرات البارون دو توت عن الأتراك، باريس، ١٧٨٥، ١، ص١٤٦.

٣٠. طرم هي القسم الأوروبي من إستانبول وكان الميناء الحربي للمدينة. (المترجم).

٣١. د. رضا نور. م. س، الشكل ١٢، رقم ١٨، وخليل أدهم HALIL EDHEM، مساجدنا في إستانبول ترجمة F. Mamboury، ف. مامبوري، إستانبول، ١٩٣٤م، ص ٧٥.

٣٢. مؤلَّف يتحدث عن التاريخ والتراث الشعبي، مؤلفه السيد لقمان حلبي ولا نعلم إذا كان المؤلف تركياً او اعجمياً او من أورميا (شمال العراق). ويتحدث الكتاب أيضا عن المهارات التي ابرزها السلاطين العثمانيون في الصيد والرياضة والتربية البدنية بأسلوب فيه كثير من المبالغة. عن موسوعة اللغة التركية والأدب، ج٤، ص ٢٨٧ (د. صابان).

٣٣. دليل متحف طوبقبو سراي، إستانبول، ١٩٣٦م، الشكل١، وتنتمي تلك المنمنمة إلى المجلد الأول من المخطوطة الذي اكتشف مؤخراً، تحسين أوز هونارنامه، المجلد الأول، مجلة الجمعية الشرقية Hünername. TAHSIN OZ في فلسطين، Journal of the Palestine Oriental Society مج١٨، ١٩٣٨م، ص ١٦٨. وإيرينا: إمبراطورة بيزنطية وقديسة عند الكنيسة الأرثوذكسية، زوجة الإمبراطور ليون الرابع، صارت بعد وفاته الوصية على ابنهما قسطنطين السادس. اوصلت تاراسيوس أحد أنصارها إلى بطركية القسطنطينية، وأطاحت بابنها عن العرش، وأمرت بسمل عينيه سنة ٧٩٧م، وحكمت خلال خمس سنوات باسم إمبراطور وليس إمبراطورة. دفعت الجزية لهارون الرشيد وتآمر عليها كبار الضباط سنة ٨٠٢م، وأعلنوا ناظر المالية عندها نقفور (نيسيفور) إمبراطوراً عليهم، فنفاها إلى جزيرة الأمراء، ثم الى جزيرة لسبوس. انظر المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، م. س، ص ١٩٤، ١٩٥ (المترجم).

٣٤. خليل أدهم، م. س، ص ١٣٨.

٣٥. م. س، ١، ص ١٤٧، و ٢، ص ٢٥٤

٣٦. سلطان عثماني، ولد ومات في إستانبول ١٧١٧، ١٧٧٤م، اعتلى العرش عام ١٧٥٧م خلفاً لعثمان الثالث، اعلن الحرب على روسيا عام ١٧٦٨م، وخسر في اثنائها مناطق كثيرة خلفه أخوه عبد الحميد. (المترجم).

٣٧- تكتب بورسه، وهي في الأناضول، فتحها اورخان بن عثمان السلطان العثماني الثاني سنة ١٣٢٥م، وجعلها مركز السلطنة، وأحرقها تيمورلنك سنة ١٣٧٧م، وأعاد بناءها محمد الثاني (الفاتح). انظر المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، م. س، ص١٤٧، ١٥٨ (المترجم).

٣٨. د. رضا نور، م. س، الشكل ٦، رقم ١٣ و ١٤

٣٩. د. رضا نور، م. س، الشكل ٧، رقم ١، والشكل ١١، رقم٢، والشكل ١٢، رقم ١٣، ٢٠ و ٢١؛ والشكل ١٣، رقم ٢٣، ٣٤، و ٣٥

٤٠. مدينة بحرية يونانية، اسمها اليوناني «إيباكتوس» او «نوباكتو»، تقع على الجانب الشمالي من المضيق الذي يحمل الاسم نفسه. حاصرها العثمانيون عام ١٤٧٧م دون ان ينجحوا بالاستيلاء عليها. ثم استخلصوها من البنادقة عام ١٦٩٩م. وفي الفترة بين حصار العثمانيين لها واستيلائهم عليها، استطاع الملك دون جوان النمساوي في السابع من أكتوبر تشرين الأول- عام ١٥٧١م - على رأس اتحاد من القوى البحرية المسيحية: الاسبان والبنادقة والجنويين- أن يحرز في خليج كورنث في اليونان على العثمانيين نصراً كان له اثر بعيد في مستقبل القوى البحرية التي سيطرت على البحر الأبيض المتوسط. انظر كتاب «تراث الإسلام» م. س، ج١، ص٦٠؛ ومعجم «لاروس القرن العشرين» (بالفرنسية)(المترجم)

٤١. جان الثالث سوبيسكي، ملك بولونيا (بولندا) ولد عام ١٦٢٩م، وتوفي فرصوفيا عام ١٦٩٦م، واعظم اعماله الحربية انه استطاع إيقاف جيش من ٣٠٠ ألف تركي وتتري عند أسوار فيينا ومعه جيش قليل، وذلك في عام ١٦٨٣م، وكان قد تمكن في عام ١٦٦٧م من رد هجوم جيش من الأتراك والتتار والقوقازيين عدده ١٠٠ ألف جندي. (المترجم).

٤٢. لعل المقصود قوله تعالى في سورة محمد، الآية ٧. (يا ايها الذين امنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)؛ أو قوله تعالى في سورة آل عمران، الآية ١٦٠: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم...). (المترجم).

٤٣. قاعة السلاح في متحف الارسنال في البندقية، روما، ١٩٠٨م- وأدين بترجمة هذه الفقرة لـ ب. ف. هانزوني دي ميخيتاريست دو فينيسيا. P. V. Hanzoni des Mékhitaristes de Venise انظر كتاب رضا نور، «تاريخ الهلال» (النص الفرنسي) ص٧٣، ٧٤، الحاشية رقم (٣). ولدى لوسيا حسب ما ورد هناك هو قائد سفينة له كتاب بعنوان (قاعة الجيش في متحف السلاح في البندقية، وقد ظهر الكتاب في روما عام ١٩٠٨م بعناية المجلة البحرية الإيطالية(المترجم).

٤٤- يلفت نظري M. W. Marçais مارسيه إلى أن هذه الأشكال موجودة على راية مرينية كما يشير إلى ذلك امادور دو لوس ريو AMADOR DE LOS RIO في كتابه: «الغنائم العسكرية في معارك استرجاع الأندلس». مدريد، ١٨٩٨م. وواقع الأمر ان تلك الأهلة المقلفة نفسها مع الكتابات كما نراها على راية معركة ليبانت (الشكل ١) موجودة على الشعار المريني الذي يعود إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي. انظر المصدر السابق. وعلى وجه الخصوص الاشكال التي تتلو الصفحات ١١٦ و ١٢٦.

٤٥. نحو ٧٣٧هـ/١٣٣٦م- ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، ولد قرب سمرقند، وهو أبو التيموريين. ادّعى انه من سلالة جنكيز خان. هزم المغوليين عام ١٣٦٣م. وفقد في حربه معهم إحدى ساقيه فعُرف بالأعرج، انطلق من عاصمته سمرقند غازياً فارس وجنوب روسية والهند. استولى على دلهي، ثم اكتسح بلاد الكرج (جورجيا) وسورية الشمالية، كما استولى على حلب ودمشق، وزحف على بغداد فآسية الصغرى حيث تقابل مع السلطان بايزيد، توفي في أثناء غزوه الصين. تقاسم إمبراطوريته الشاسعة خلفاؤه الأربعة من اولاد وأحفاد. انظر المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية. م. س. ص ٧٠. (المترجم)

٤٦. غونزاليس دو كلافيجو رحالة إسباني توفي عام ١٤١٢م، ارسله الملك هنري الثالث في عام ١٤٠٣م في سفارة إلى تيمورلنك ووصل إلى سمرقند، وعاد إلى مدريد عام ١٤٠٦م. وقصة رحلته في غاية الأهمية التاريخية. (المترجم).

٤٧. قصة سفارة غونزالس دو كلافيجو في بلاط تيمورلنك في سمرقند، بين سنتي ١٤٠٣- ١٤٠٦م، لندن، ١٨٦٩، ص ١٢٤

٤٨. ف- برزيزدزيكي و راستاويكي A. PRZEZDZIECKI et F. RASTAWIECKI مروج القرون الوسطى وعصر النهضة في بولونيا القديمة، صورها و باريس، ١٨٥٣، ١٨٥٥، مج١

٤٩- أشكر للسيدة أوهانيس باشا غويومجيان Ohannès Pacha Couyoumgian تفضلها بالحصول لي على صورة ملونة لتلك الراية.

٥٠- بارون دو توت، م. س، ١، ص ٨٠، الحاشية ١

٥١- قال مصطفى عبد الكريم الخطيب في «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية»، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٥٤: اورطة: اسم وحدة عسكرية من العصر العثماني، يوازيها في أيامنا اسم كتيبة، وفق المصطلحات العسكرية المعاصرة. واللفظ فارسي أصله اردو بمعنى: المعسكر (المترجم).

٥٢. مرادجا دوهسون Mouradja D'Ohsson، لوحة عامة للامبراطورية العثمانية، مج ٣، ١٨٢٠م، ص ٤٠٤

٥٣. ج. هيجيون، المجموعة الكليكية، بلا تاريخ، اللوحة ٢٣

٥٤. م. س، الشكل ٢٣

٥٥. يقال طوغ وطوخ، كلمة صينية الأصل. دخلت التركية بمعنى راية من نوع خاص. كانت تتخذ من القماش تحمل على عمود. ويعلق بها ذيل ثور أو حصان يسمى: شاليش، وعلى رأس العمود كرة مذهبة يعلوها هلال. كانت في العهد المملوكي رمزاً للسلطة. وفي العهد العثماني أصبح للسلطان سبع رايات منها، وللوزير الأعظم خمس، وللوزير ثلاث، ولشيخ الإسلام اثنتان. ولقاضي العسكر طوغ واحدة بلا كرة. انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب، ص٣١٠؛ والمعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. د. سهيل صابان، ط. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٤٩. (المترجم).

٥٦. برزيبزديكي و راستافيكي. م. س. الشكل ١-c.

٥٧- البارون أنطوان جان غرو: رسام تاريخي فرنسي ولد في باريس عام ١٧٧١م وتوفي في مودون Meudon عام ١٨٣٥م. وقد اشتهر بلوحاته التاريخية. ومنها لوحته المشار إليها هنا، وعرضت في عام ١٨٠٦م (المترجم).

م. س. الشكل ١٠.

٥٨- Chronique anonyme de Tubingue حوليات تاريخية لمؤلف مجهول محفوظة في توبنغن. اقتبسها فاسيلي بارتولد. م. س. ص ٤٧٧. وإنه لمن المهم أن نلاحظ أن الحافر الذي يذكّر بالهلال، والذي كان الخلفاء الفاطميون يصنعونه على تسريحات شعرهم مصنوعاً من الياقوت الأحمر. هذا الحافر ظهر في عام ١٥١٧م في دمشق على راية المماليك. ويبدو أن الحافر ذو طبيعة دينية تعود إلى فرس النبي (صلى الله عليه وسلم). في الموضع نفسه.

٥٩. لويس. فيرديناند كونت دو مارسيغلي، عالم بحريات وعلوم طبيعية وجنرال إيطالي ولد وتوفي في مدينة بولونيا الإيطالية (١٦٥٨- ١٧٣٠م). وقع في أسر العثمانيين عام ١٦٨٤م، وما يذكره كاتب البحث يعني أن الكتاب ظهر بعد وفاته وجعل منه كتابه الذي ترجم إلى الفرنسية عام ١٧٣٥م بعنوان: التاريخ المادي للبحر المؤسس الحقيقي لعلم البحريات (المترجم).

٦٠. مراجعا دوهسون. م. س. ص ٤٠٤.

٦١. أ. ساكسيان. الرسم في إستانبول، ونيد الله بخاري، مزين المخطوطات التركي من القرن الثامن عشر. مجلة الفن. نوفمبر تشرين الثاني ١٩٢٨م. الشكل ٢. وأدين للسيد تحسين أوز مدير متحف السراي القديم بالصورة الفوتوغرافية الجديدة لتلك المنمنمة، وأرجو أن يجد في هذه الإشارة هنا تعبيراً عن شكري العميق.

٦٢. قال س. موستراس في المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية. م. س. ص ٤٨٦: وان (أرتميته). مدينة في تركية الأسيوية (الأناضول) على الضفة الشرقية للبحيرة التي تحمل الاسم نفسه. مركز ولاية ولواء وان. فيها نحو ٣٠٠٠٠ نسمة أسواق جميلة. قلعة. وهي تقع اليوم على حدود إيران (المترجم).

٦٣. ربما يكون كتابا في الأنساب (المترجم).

٦٤. قال الدكتور صابان: إنها تتحدث عن شمائل السلاطين العثمانيين ومزاياهم الأخلاقية.

٦٥. قال الدكتور سهيل صابان: إنها كتب تتحدث عن أمزجة السلاطين العثمانيين.

٦٦. سبق القول إن السلطان محمد الثاني (الفاتح) استدعاه إلى استانبول عام ١٤٧٩م، ويبدو أنه رسم هذا البورتريه في تلك الأثناء، لأنه كان بارعا جدا في هذا الضرب من الرسم. (المترجم).

٦٧. في الأصل: Ikonium - أيكونيم، وهو الاسم القديم لقونية، وقد كانت قاعدة بيزنطية في أثناء قرون التوسع الإسلامي. انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٢٦، ص ٨١٣١ (مادة: قونية)؛ والمعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية. م. س. ص ٤١٢ (المترجم).

٦٨. مدينة في تركية الأسيوية (الأناضول)، تقع على البحر الأسود. وفي العصور الوسطى أسس فيها أفراد أسرة الكومنيس (Comnène) وباليونانية Komnénos البيزنطية التي حكمت من عام ١٠٥٧ حتى عام ١٠٥٩م، ومن عام ١٠٨١ إلى عام ١١٨٥م. وكان عهدها عهد انحطاط الإمبراطورية البيزنطية، أسسوا في طرابزون. إمبراطورية بعد أن استولى اللاتينيون على القسطنطينية (١٢٠٤م)، وبقوا فيها حتى فتحها العثمانيون عام ١٤٦١م. وفتح محمد الثاني (الفاتح) طربزون عام ١٤٦٠م. انظر: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية. م. س. ص ١١٤، ٣٤٥، ٣٤٦. (المترجم).

٦٩- أ. ساكسيان. الرسوم الشخصية (البورتريه) لمحمد الثاني. في مجلة بورلنغتون The Burlington Magazine. أبريل نيسان ١٩٣٩م. الشكل ٢ سي.

٧٠. المكتبة الوطنية. القسم اللاتيني ٦٠٦٧.

٧١. ابن السلطان محمد الثاني (الفاتح). (المترجم).

٧٢. أ. ساكسيان. المنمنمات الفارسية من القرن الثاني عشر إلى القرن السابع عشر. ص ٩٦، لحاشية(١).

٧٣. إسهام في دراسة فن الشعارات في الشرق، لندن، ١٩٠٢م، ص ١٥٨، ١٥٩.

٧٤. جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية. ج٣٢. ص ١٠٠٦١: - ولم يدخل الهلال كرمز رسمي إلا حين غزو السلطان سليم الثالث في القرن التاسع عشر الميلادي تكوين جيش نظامي على غرار الجيوش الأوربية، وجعل العلم الامبراطوري على شكل هلال مع نجمة على أرضية حمراء محاكاة للأعلام الرسمية الأوربية. واستمر العلم التركي بهذا الشكل في تركيا عندما أصبحت جمهورية عام ١٩٢٣م. كما استخدم الهلال لتزيين الفرمانات الصادرة عن السلاطين. مثال ذلك فرمانات محمد الرابع التي يزينها هلال مزدان بأزهار. وأقدم رسم للهلال على قماش وجد على سروال السلطان سليم مما يدل على أنه لم يكن رمزاً دينيا في العهد العثماني (المترجم).

٧٥. محمود الثاني (١٧٨٥- ١٨٣٩م). تولى السلطنة بين عامي (١٨٠٨- ١٨٣٩م). وأهم أعماله أنه قضى على الانكشارية عام ١٨٢٦م (المترجم).

٧٦. المصدر السابق.

٧٧- يسمى بالفرنسية كما ذكر في الأصل: Ordre du Croissant (المترجم).

٧٨. الموسوعة الكبرى. تحت كلمة هلال. لغوردون دو جنكوياك GOURDON DE.

٧٩- جاء في معجم لاروس القرن العشرين. مج٢. ص٣٩ (بالفرنسية) GENOUILLAC. وهو وسام أمر بإحداثه السلطان سليم الثالث عام ١٧٩٩م، ثم ألغاه السلطان محمود الثاني. واستبدل به نيشان افتخار (المترجم).

٨٠. فاسيلي بارتولد. م. س. ص ٤٧٦.

٨١. يستخدم الأتراك لذلك الكلمة العربية هلال كما أخبرني الدكتور سهيل صابان. (المترجم).

٨٢. انظر حول تأثير طراز لويس الخامس عشر في تركيا. أ. ساكسيان. منقل من الـ Duplessis في السراي القديم في إستانبول. جريدة الفنون التشكيلية. فبراير شباط ١٩٤١م.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٥٠) شعبان ١٤٢٦هـ / سبتمبر ٢٠٠٥م.

الفائز الأول: عمر محمد علي رمضان . الزرقاء . الأردن.
الفائز الثاني: صالح مهدي علي . المنامة . البحرين .
الفائز الثالث: حسن حسن السيد . كفر سنباط . مصر .
الفائز الرابع: سعاد حسن أحمد سعد . اليمن . صنعاء .
الفائز الخامس: جواهر خليل سلطان . الدوحة . قطر .
الفائز السادس: نور الدين مروان . الدار البيضاء . المغرب.
الفائز السابع: أحمد طاهر الأحمد . معرة النعمان . سورية .
الفائز الثامن: رضا عشي . جندوبة . تونس.

حل مسابقة العدد (٣٥٠)

١- شاعر عربي أندلسي لقب بـ «متنبي المغرب» هو: ابن هانئ الأندلسي.

٢- كاتب رواية «لوليتا» هو الروائي والشاعر الأمريكي (الروسي الأصل) فلاديمير نابكوني.

٣- «دون خوان» شخصية خيالية ابتكرها المسرحي الإسباني دي مولينا. والمسرحية التي ولدت بها هذه الشخصية هي مسرحية «خداع إشبيليا».

أسئلة مسابقة العدد (٣٥٣)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) «عرار» لقب اشتهر به أحد الشعراء العرب المعاصرين.. اذكر اسم هذا الشاعر؟

(٢) «مجنون النساء» لقب اشتهر به أحد الشعراء الفرنسيين.. اذكر اسم هذا الشاعر؟

(٣) «شخصية مصر» كتاب شهير.. اذكر اسم مؤلفه؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير ابوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

تفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوما من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- ان يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

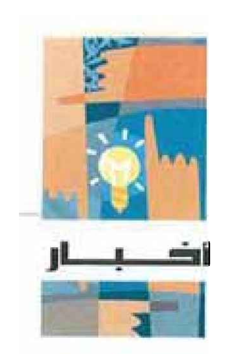


الملف الثقافي

الجمال: جيمس تيسوت

- الترشيح لجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج
- مكتبة الملك فهد الوطنية وحماية التراث المخطوط
- انعقاد مؤتمر رؤساء الأندية الأدبية
- ويبرغان ينال جائزة غونكور

●● خاتمة المطاف: تغيير عناوين الكتب عند المؤلفين المعاصرين



فتح باب الترشيح لجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج

برعاية الأمير سلمان والشيخ خليفة وحاكم الشارقة أقر وزراء التربية والتعليم الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي استمرارية برنامج: جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج للبحوث التربوية. وذلك ضمن برامج المكتب للدورة المالية (١٤٢٦ - ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م)، بهدف تشجيع البحث العلمي التربوي، وحفز التنافس الشريف بين المفكرين في هذا المجال بالدول الأعضاء.

ودعا المكتب للترشيح لهذه الجائزة ابتداء من ٢٩ شعبان عام ١٤٢٦هـ حتى ٢٩ شعبان من عام ١٤٢٧هـ الموافق من ٣ أكتوبر عام ٢٠٠٥م حتى ٢٣ سبتمبر من عام ٢٠٠٦م.

وأفاد الدكتور سعيد بن محمد المليص ـ المدير العام المكلف لمكتب التربية العربي لدول الخليج ـ أن الترشيح يتم عن طريق المؤسسات العلمية، والهيئات العامة البحثية والتربوية، خصوصاً الجهات ذات العلاقة، من أجل فائدة أكبر وأعم، ونتائج تصب في خدمة البحث العلمي، والتشجيع على الإنتاج الفكري التربوي.

وأشار المليص إلى أن الأثر المعنوي والأدبي للجائزة أسمى وأعظم من قيمتها المادية، وبخاصة أنها جائزة تفوق تخدم مجالات رفيعة في المجال التربوي.

وتمنح الجائزة وقدرها ١٠٠ ألف ريال سعودي، وشهادة التميز للفائز في احتفال يقام بهذه المناسبة، مع نشر البحث الفائز، كما أن البحوث التي لم تفز على الرغم من مستواها الجيد، لديها


الأمير سلمان بن عبد العزيز

فرصة للصدور والطباعة ضمن إصدارات المكتب.

وموضوع الجائزة هذا العام يتناول «إدارة مدرسة المستقبل»، ويمكن أن يعتمد أحد المحاور أو جميعها مما يأتي: إعداد القيادات التربوية لإدارة مدرسة المستقبل، واقتصاديات التعليم بمدارس المستقبل، وتوظيف التقنية ومدارس المستقبل، والمشاركة المجتمعية في إدارة مدرسة المستقبل، ونموذج مدرسة المستقبل في الدول الأعضاء. ومن شروط الجائزة أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج، وألاّ يكون قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم أو حصل به على شهادة علمية، ويمكن أن يقبل عمل مشترك تقوم به مجموعة من المؤلفين، شريطة أن يكونوا من مواطني الدول الأعضاء، ويشترط كذلك أن يمثل البحث نظرية تعليمية أو تربوية، أو يقدم إسهاماً مبتكراً في مجال البحث التربوي، والبحث الذي ينشر بغير اللغة

العربية يلزم أن يرفق بمستخلص باللغة العربية، وأن يلتزم البحث المقدم معايير المنهج العلمي. وتقبل الكتب المترجمة المتميزة من تلك التي تخدم الثقافة والتربية والتعليم في الدول الأعضاء، ولم تتجاوز طبعتها الأولى في اللغة الأصلية خمس سنوات عند نشر الإعلان عن الجائزة.

وأهاب المكتب بالمشاركين أن يقدموا عشر نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، مع السيرة الذاتية للمرشح، وبيان بمؤلفاته المنشورة. وما يتبع ذلك من عناوين وصور فوتوغرافية شخصية. وطلب للترشيح يقدم باسم معالي المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج.

وقد ذكر الدكتور المليص أنه تم استقطاب شخصيات متميزة، ومتخصصة في العلوم ذات الصلة للقيام بأعمال لجنة الجائزة.

وهذه الجائزة سبق أن نالها عدد من الأساتذة المتميزين في البحوث العلمية والأدبية والفكرية والتربوية. فقد نالها عام ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ الدكتور عبدالله بن محمد الغذامي عن كتابه «الخطيئة والتكفير». وفاز بها عام ١٤٠٦ - ١٤٠٧هـ الدكتور أسعد عبده عن كتابه معجم الأسماء الجغرافية. وفاز بها أيضاً الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك عن كتابه «الفصحى ونظرية الفكر العامي». وفاز بها عام ١٤١٣هـ الدكتور محمد بن شحات الخطيب. وفاز بها عام ١٤١٥هـ الدكتور عبداللطيف بن محمد الحميد. وفاز بها عام ١٤١٩هـ فريق من الباحثين تحت إشراف مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية في مجال برامج الكشف عن الموهوبين.

وحظيت الجائزة في احتفالاتها برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في (الرياض)، ورعاية الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة في مملكة البحرين، وبرعاية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة في إمارة الشارقة.

مكتبة الملك فهد الوطنية تنفذ مشروعًا طموحًا لحماية التراث المخطوط

ضمن مشروع طموح لحماية التراث المخطوط قامت مكتبة الملك فهد الوطنية بفهرسة وتسجيل وتصوير ما يقرب من ٢٠٠ مخطوطة من المجموعات الخاصة لدى الأفراد، كما تم مسح وأرشفة أكثر من ٢٨٠٠ مخطوطة أصلية تقع في مليون صفحة، وتم تخزينها رقميًا بواسطة الحاسب الآلي بدرجة إيضاحية عالية، لتمكين الباحثين والمحققين من تصفحها وطباعتها واسترجاعها بسهولة ويسر، ثم العمل على نشرها وطباعتها للباحثين على أقراص مدمجة وعبر شبكة الإنترنت. وتعتزم المكتبة توثيق ما يقرب من ١٠٠ ألف مخطوطة محفوظة لدى الأفراد والهيئات.

وكانت المكتبة، تنفيذاً لمتطلبات نظام حماية التراث المخطوط في المملكة، الصادر في سنة ١٤٢٢هـ، قد بدأت بجهود ذاتية لتطبيق ما يستلزمه النظام من إنشاء إدارة خاصة لحماية التراث المخطوط، وجمع المعلومات، والمسح الوطني للمخطوطات العربية المتوافرة في المكتبات والهيئات، كما بدأت بتسجيل وفهرسة وإيداع صور المخطوطات المحفوظة لدى الأفراد.

انعقاد مؤتمر رؤساء الأندية الأدبية



إياد مدني

افتتح معالي وزير الثقافة والإعلام الأستاذ إياد مدني مساء يوم ١٢ شوال الماضي فعاليات مؤتمر رؤساء الأندية الأدبية في مقر نادي مكة الثقافي الأدبي. وفي بداية الاجتماع ألقى كلمة ترحيبية، ثم قال: إن ضم الشأن الثقافي في ظل وزارة الثقافة ليس تأطيراً، ولا منهجة للثقافة، وإنما وكالة الوزارة للثقافة لا تقنن الثقافة، بل تجعل من الثقافة أمراً فعالاً وجيداً. وأضاف: على الرغم من حداثة الوزارة الوليدة إلا أنها ستؤدي - بحول الله - ما نيط بها من مهام.

وقال: إن مقرات الأندية الأدبية مهمة، ومحل اعتبار، ولابد من مبان تصمم للأندية الأدبية، وتسعى الوزارة إلى رصد عشرة ملايين ريال لكل ناد أدبي من أجل إنشاء مبان.

أما فيما يخص الميزانيات، فهناك ميزانية تشغيلية ثابتة لكل ناد، وهناك ميزانية للنشاط، مثل: الإصدارات، والدوريات، والأمسيات، وغيرها.

وعن تكرار الأسماء في مشاركات الأندية الأدبية، قال: لا احب التكرار، ولابد من التجديد وتفعيل المشاركات. وعن البرامج الإعلامية قال: مما يؤسف أن الوزارة لا تستفيد بشكل جيد من طاقات الأندية الأدبية، ولكن سيتم تغيير ذلك، وهناك آلية للاستفادة من هذه الطاقات وتفعيلها.

وعن صندوق الأديب السعودي ومعونة الأديب، قال وزير الثقافة والإعلام: فعلاً الأديب يحتاج، والإنسان مبتلى وممتحن، ومطلوب منكم خلال مؤتمركم مناقشة ذلك. وأضاف أن الوزارة ستكلف الأدباء بحيث يقومون بأعمال أدبية، على سبيل المثال: الكتابة الإبداعية، وستوفر الوزارة الدعم، وستفرغ أدباء وفنانين

٢٠ ورقة عمل في ندوة الإعلام والحوار الوطني

عقد مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ندوة (الإعلام والحوار الوطني: العلاقة بين المضمون والوسيلة) بالرياض في يوم السبت ٢٦ من شوال الماضي، التي هدفت إلى التعرف إلى الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام السعودية في ترسيخ قيم الحوار في أوساط المجتمع، وتوثيق العلاقة بين وسائل الإعلام (المرئية، المسموعة، المقروءة) ومركز الحوار الوطني، وتوضيح أدوار المركز على المستويات الإعلامية المحلية والدولية، وكذلك مناقشة تطوير آليات العلاقة بين المضمون والوسيلة خلال فعاليات الحوار الوطني بالمملكة، وأيضاً استثمار وسائل الإعلام المحلية للوصول إلى مستقبل أفضل للعمل الإعلامي الذي يناقش آليات الحوار الوطني وفعالياته.

وطرح في الندوة أكثر من ٢٠ ورقة عمل تقدم بها عدد من المختصين، والمهتمين، وكانت هناك مشاركة واسعة من رؤساء

وباحثين لفرص العمل الإبداعي.

وقال: أريد من النادي الأدبي أن يزور القرى والهجر في منطقته لتفعيل الثقافة. وقال: إن الناس يتشوقون إلى هذه الزيارات في القرى والهجر. وحمل الأندية الأدبية القصور، وهي تجري أنشطتها فقط في مقارها.

وعبر مدني عن تقديره لدور المرأة بقوله: سنحدث القوائم الثقافية والأدبية لأدباء المملكة وأديباتها، مطالبًا كل ناد بتحديث هذه البيانات، والتواصل معها وجعلها في متناول الجميع.

وأعرب رئيس نادي مكة الثقافي الأدبي الدكتور راشد الراجح عن سعادته بعقد مؤتمر الأندية الأدبية في رحاب نادي مكة الثقافي الأدبي، ومرحباً بمعالي الوزير، وحضور رؤساء الأندية الأدبية.

وتفاءل بوجود الوزارة الجديدة، التي استحدثت وكالة الثقافة، ونادى باستحداث مجلس أعلى للآداب، لمناقشة القضايا الأدبية، وطالب بطباعة المطبوعات بشكل جيد، لكون ميزانيات الأندية الأدبية لا تسمح بذلك.

وقد دعا الوزير رؤساء الأندية الأدبية، وكوكبة من الإعلاميين والمهتمين بالشأن الثقافي إلى مأدبة عشاء خلت من الطابع الرسمي، ودار نقاش تعددت جوانبه، فتناول أهمية طباعة المنتج الثقافي والفكري السعودي في داخل البلاد، وذلك على خلفية الجدل الدائر حول رواية «بنات الرياض» للكاتبة رجاء الصانع، كما تطرق النقاش إلى أحوال الأدباء للثقافة، وأهمية صندوق الأدباء، وسعودة موظفي الأندية الأدبية، وأهمية حضور المرأة للمشاركة في فعاليات الأندية الأدبية، وأهمية إشراف وزارة الثقافة والإعلام على معارض الكتاب بالمملكة، وإحياء فكرة المسرح، وإيجاد صالات للسينما، والتركيز في أدب الطفل، وتخصيص قناة للطفل تهدف إلى صقل مواهب الأطفال، وتنمية أفكارهم.



تحرير الصحف المحلية، ونخبة من الكتاب والإعلاميين والمثقفين السعوديين من الجنسين، من مختلف مناطق المملكة، يمثلون الصحافة اليومية في المملكة وخارجها، إلى جانب المهتمين بقضايا الحوار وموضوعاته من أساتذة الإعلام، سواء في الجامعات أو المؤسسات الإعلامية.

وعقدت الندوة على فترتين: صباحية ومسائية، متضمنة أربع جلسات، فتناولت الجلسة الأولى الإعلام والحوار الوطني: نظرة عامة، ورأس الجلسة نائب رئيس اللقاء الوطني للحوار الفكري الدكتور راشد الراجح، بينما رأس الجلسة الثانية نائب رئيس اللقاء الوطني للحوار الفكري الدكتور عبدالله بن عمر نصيف وكان موضوعها الاتصال الشخصي والجمعي والحوار الوطني، وناقشت الجلسة الثالثة خلال الفترة الثانية في المساء موضوع الإنترنت والحوار الوطن، أما الجلسة الأخيرة فكانت عن موضوع الاتصال الجماهيري والحوار الوطني، ورأسها الأمين العام لمركز الحوار الوطني الأستاذ فيصل بن معمر.


مصطفى العقاد

رحيل العقاد مخرج (الرسالة) و(عمر المختار)

توفي المخرج العربي العالمي مصطفى العقاد في مستشفى المركز العربي بعمّان متأثرا بجراحه التي أصيب بها في التفجيرات التي تبناها تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين في بيان أصدره.

ويعدّ الراحل الذي توفي عن عمر ناهز الثامنة والستين، وعرفه الجمهور العربي والعالمي، من أبرز السينمائيين الذين ناصروا ودافعوا عن الإسلام، وحاولوا تقديم صورته الحقيقية للآخرين، ومن أفلامه الشهيرة الرسالة، the message وأسد الصحراء: عمر المختار lion of the desert .

وكان قد بدأ ولعه بالسينما منذ طفولته، حين كان يزور جاره المتخصص في عرض الأفلام السينمائية، عندها بدأ يفكر في دراسة الإخراج السينمائي في هوليود، وقد فاجأ عائلته بهذا الطلب الجريء عند بلوغه سن الثامنة عشرة، ومبعث الجرأة والمفاجأة في هذا أنه ينتمي إلى عائلة محدودة الدخل، لا تملك ما يمكنها من إرسال ابنها الشاب إلى أمريكا للدراسة في مجال لا يبدو أنه سيقدم ربحاً في المستقبل، لكن العقاد صمم على الذهاب، وعمل مدة سنة كاملة كي يستطيع توفير قيمة التذكرة إلى أمريكا، وهناك وبدءًا من عام ١٩٥٤ درس الإخراج حتى تخرج في عام ١٩٥٨م من جامعة كاليفورنيا؛ ليبدأ حينها عمله في عاصمة السينما العالمية هوليود.

جدل حول جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي

أعلنت مؤخرا في الخرطوم نتيجة جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي في دورتها الثالثة، وكانت الجائزة الأولى مناصفة بين الروائيين منصور الصويم عن روايته «ذاكرة شرير»، وأحمد الرفاعي عن روايته «كي لا يستيقظ النمل». والكاتب الرفاعي كان قد فاز بالجائزة الأولى في العام الماضي، عن روايته «قبيلة من وراء خط الأفق»، لذا كانت نتيجة العام الحالي مثار جدل، فهل يحق للكاتب نفسه أن يفوز بالجائزة عامين متتابعين، وهي تعد سابقة في المهرجانات الأدبية.

وبلغ عدد النصوص المشاركة في جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي، وهي الوحيدة من نوعها في البلاد، ٢٣ نصًا، وجاء في كلمة رئيس لجنة المحكمين مجذوب عيدروس: «أن معظم الأعمال المشاركة جاءت لأقلام شابة، إلا أن طغيان النزعات الأيديولوجية، والتعصب لأفكار سياسية محددة هو السائد بينها، وهذا يعود إلى تأثير الأوضاع السياسية في البلاد، ولكن من الإيجابيات الملاحظة تناول بعضها لوقائع معاصرة او تاريخية محلية، تعد من المسكوت عنها، كما أن هناك مواهب حقيقية، وقدرة على السرد ظهرت في مشاركات، ولكنها تعثرت بسبب قلة الخبرة»، وتميزت رواية "ذاكرة شرير" لمنصور الصويم، بكونها تناولت فئة مهمشة من المجتمع، وهي أولاد الشوارع، أو من يعرفون في السودان بـ«الشماشة»، لتكون بذلك أول رواية سودانية تتناول هذه الشريحة، وتكتب عنها.

أما الرواية الفائزة بالجائزة الأولى «كي لا يستيقظ النمل»

وكان فيلم الرسالة الذي أخرجه في عام ١٩٦٧م بداية الانطلاقة الحقيقية للعقاد. وقد أثار الفيلم جدلاً كبيراً لحظة عرضه، إذ جُوبه بموجة اعتراض من كثير من الدول الإسلامية، بينما رحبت به دول أخرى. وكان الفيلم مفاجأة للجمهور الغربي الذي اعتاد صورة معينة في تقديم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد صنع العقاد نسختين من الفيلم، واحدة عربية، والأخرى إنجليزية، قام ببطولة النسخة العربية الممثل المصري الراحل عبدالله غيث. أما الإنجليزية فأدى دور البطولة فيها الممثل العالمي أنتوني كوين، وكلاهما أدى شخصية حمزة بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم.

وقام العقاد بإخراج فيلمه الثاني (أسد الصحراء: عمر المختار lion of the desert) من بطولة أنتوني كوين أيضًا، الذي استطاع رسم شخصية الثائر الليبي عمر المختار بتمكن ودقة.

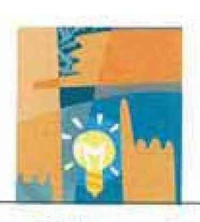
ويبرغان ينال جائزة غونكور

فاز الروائي فرانسوا ويبرغان بجائزة «غونكور» لهذه السنة، عن روايته «ثلاثة أيام في ضيافة أمي»، بعد تنافس محموم للفائز مع الأديبين فيليب توسانت، وميشال ويلبيك، الذي كان إلى وقت قريب المرشح القوي، بل ومن دون منازع، للفوز بالجائزة. وانحصر الصراع في النهاية بين ويبرغان وويلبيك، وقد حسمه الأول بفارق صوتين: (ستة أصوات مقابل أربعة)؛ وذلك على الرغم من الحملة الدعائية التي ناصرت ويلبيك.

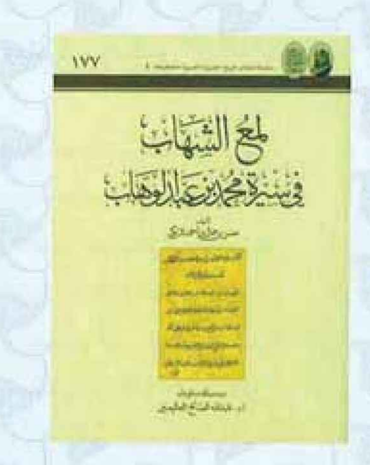
وجائزة «غونكور» الفرنسية رمزية، إذ لا تتعدى عشرة يورو تقريبًا، ولكنها تضمن على الأقل مبيعات تتجاوز المئتي ألف نسخة، ويذكر أن رواية «العشيق» للروائية الفرنسية مارغريت ديراس قد تجاوزت مبيعاتها المليون نسخة، إلى جانب ما لازمها من ذيوع.



لأحمد الرفاعي، فتعتمد على تقنية الحوار، لإبراز الصراع بين الشمال والجنوب، بين لندن وقرية قوز قرافي بالسودان. وعلى الرغم من المحلية، فللشخصيات دور مستتير في الإلمام بالمعرفة الإنسانية، وفلسفاتها المتباينة، والمتصارعة، وتأثيراتها، وبطلها «حسون» عالم فذ، يعيش في لندن بعقلية قوز قرافي، ويعيش في قوز قرافي بعقلية لندن. وهناك من أوجد أوجه شبه بين كتابة الرفاعي وكتابة الطيب صالح، سواء من حيث بيئة الشخوص، أو الشخوص أنفسها. وانطلقت جائزة الطيب صالح عام ٢٠٠٣م، من خلال لجنة تشكلت في القاهرة لتكريم الطيب صالح، تضم الدكتور حسن أبشر، والدكتور بشير البكري، والقاص المصري محمود سالم، وتم جمع ٢٠ ألف دولار، ساهم فيها نخبة من أصدقاء الطيب صالح، ومحبي أدبه.







الريكي، حسن بن جمال بن أحمد/ لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: عبدالله الصالح العثيمين. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٣٢٥ص.

يتعرض هذا الكتاب لسيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - صاحب الدعوة الإصلاحية، التي نفع الله بها العباد والبلاد، وجدد بها ما اندرس من قيم الدين وتعاليمه، متناولاً نشأة الدولة السعودية الأولى، والحروب التي خاضتها في سبيل نشر الدعوة الإصلاحية، ومحاولة توحيد الشتات، وتأمين طرق الحج، إلى جانب الحديث عن بعض القبائل العربية، وعقد المؤلف فصلين لمناقشة دعوة الشيخ وأصولها ومحاولة الرد عليها، وقد وقع المؤلف في أخطاء تاريخية، وأتى بعجائب ليس لها سند.

وحوى الكتاب أيضًا عددًا من الأخبار والحوادث غير الصحيحة، التي لا يوجد ما يؤيدها من مصدر معلوم، أو خبر أكيد، وقد حرص المحقق على المقارنة بين ما ورد في هذا التحقيق، وما ورد في الكتب التاريخية الموثوق بها، حرصًا على نشر الحقيقة، وتوضيح ما قد يلبس ما تضمنه الكتاب.

يتضمن الكتاب خمسة أبواب رئيسة: تناول الأول بداية ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبيان أحواله، وما هو عليه، قبل الاتباع، وإظهار نسب وحسبه.

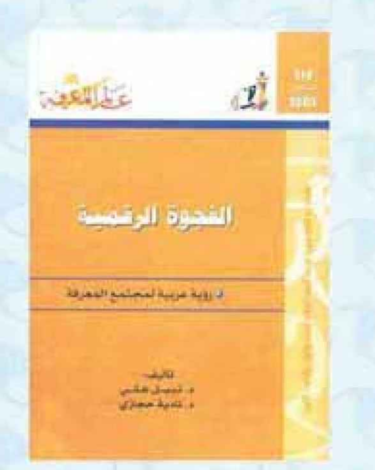
وبيّن الثاني أسباب شيوع دعوته في نجد، ومواقف الإمام محمد بن سعود آل سعود.

وجاء الباب الثالث عن نسب محمد بن سعود وحسبه، وما كان عليه قبل اتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ويركز الباب الرابع في سلطنة محمد بن سعود، وابنه عبدالعزيز، وولديه سعود وعبدالله في بلدان نجد وأطرافها.

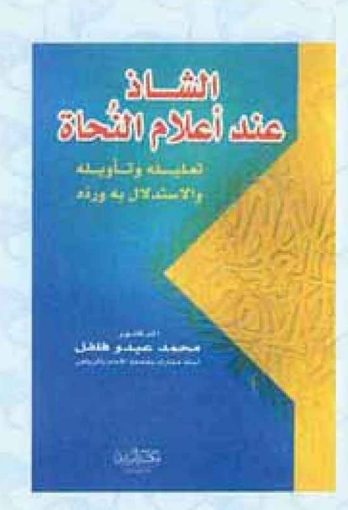
وبيّن الباب الخامس تملّك الحجاز، وتهامة، وبلاد اليمن، وبيان حدود نجد والحجاز وتهامة واليمن، وأرض بني خالد، وقطر، وعمان وما يتعلق من أسماء قبائل الحجاز وتهامة واليمن وعمان، وأسماء قبائل بني خالد، ومن كانوا عليه من الرياسة قبل ظهور محمد بن عبدالوهاب.

نبيل علي، ونادية حجازي/ الفجوة الرقمية: رؤية عربية لمجتمع المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٥م، ٤٠٩ص



(سلسلة عالم المعرفة، ٣١٨).

شاع استخدام مصطلح «الفجوة الرقمية» في خطاب التنمية المعلوماتية، ويقصد به تلك الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة، والدول النامية في النفاذ إلى مصادر المعلومات والمعرفة، والقدرة على استغلالها لأغراض التنمية المجتمعية بمعناها الشامل. وقد سادت وجهة النظر الغربية، خاصة الأمريكية، خطاب «الفجوة الرقمية»، علاوة على كونه ما زال موجودًا بصيغة تكنولوجية، واقتصادية، تعمي بصرته عن رؤية الأبعاد الاجتماعية والثقافية، والخطاب في معظمه إما من صنع مفكري الدول المتقدمة، وإما من إنتاج «ماكينة توليد الوثائق» بالمنظمات الإقليمية والدولية، وكثير من هذه الوثائق باستثناء عدد قليل من الدراسات الرائدة تتغذى على نفسها، وتكرر مقولاتها، وتزخر بالتوصيات والتصورات الفوقية، والقوالب الاستراتيجية النمطية، وتشكو من عجز شديد في تناول القضايا المحلية، وما أكثر الحديث عن الإبداع في عصر المعلومات! وما أندر العثور عليها في فيض المعلومات الزائد لخطاب الفجوة الرقمية! لقد أصبحنا نحن العرب في أمس الحاجة إلى خطاب مغاير قادر على تناول هذه القضية المحورية بصورة مبتكرة وواقعية، وعلى طرح رؤية واضحة، وحلول مقترحة محددة لعدد من المشكلات والتحديات، وكثير منها يمثل قضايا خلافية لا سبيل لحسمها إلا بأن يجازف البعض بطرح رؤيته بوضوح استثارة لفكر المعارضين قبل المؤيدين، ثم تفريغ الفجوة إلى فجوة شق المحتوى، وفجوة شق الاتصالات، بوصف هذين الشقين المكونين الأساسيين لمجتمع المعلومات واقتصاد المعرفة، توطئةً لتفريغها إلى ثلاث فجوات نوعية، هي: فجوة العقل، وتشمل: فجوات الفكر والعلم والتكنولوجيا، وفجوة التعلم، وفجوة اللغة، وثلاثتها تصب في فجوة اقتصاد المعرفة.



فلفل، محمد عبدو/ الشاذ عند أعلام النحاة. تعليله وتأويله والاستدلال به وردّه. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ١٤٢٦هـ، ١٦٠ص.

يقول المؤلف إن المادة اللغوية الخارجة عن أصول اللغويين . أيا كانت تسميتهم لها . كانت محط عنايتهم على مر العصور، ولعلنا ندرك صحة هذه المقولة إذا ما تتبعنا نشأة الدرس اللغوي عند العرب، وتطوره وطبيعته، فمن أسباب نشأة هذا الدرس، كما هو معروف، تفشي اللحن في الحياة اللغوية؛

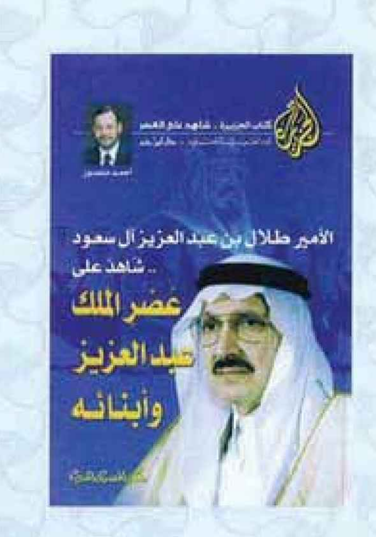
مما دعا إلى تجريد القواعد، التي تضبط الأمور، وتعين على تعلم اللغة العربية وتعليمها.

تتضمن هذه الدراسة أربعة فصول رئيسة، جاء الفصل الأول عن تعليل النحاة للشاذ متناولاً موقف النحاة من تعليل الشاذ والمرتكزات التي يقوم عليها تعليلهم لها.

وأوضح الفصل الثاني أن النحاة يستدلون أحيانًا على أصولهم وآرائهم وقواعدهم بما أقروا بشذوذه وعدم جواز القياس عليه، وفي ذلك دعوة صريحة إلى التريث في اتهام المحدثين لنحاة العربية بالمغالاة في المعيارية الطاغية على منهجهم. ويوضح الفصل الثالث مدى حرص النحاة على تأويل الشاذ؛ مما جعل كثيرًا من المحدثين يعيبون عليهم ذلك.

وجاء الفصل الأخير عن ردّ النحاة للشاذ إذ تمثلت معالجة النحاة أحيانًا لما شذّ عن أصولهم برد النصوص التي جاءت به، وتمثل هذا الرد بتلحين قائله حينًا، وبرد الرواية التي جاءت به حينًا ثانيًا، كما ردّوا بعض النصوص بحجة الجهل بقائلها.

منصور، أحمد/ الأمير طلال بن عبدالعزيز آل سعود: شاهد على عصر، الملك عبدالعزيز وأبنائه.. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٣٧٩ص.



يضم هذا الكتاب: اللقاءات التي قام بها الصحفي أحمد منصور عبر برنامجه «شاهد على العصر» الذي أجرته قناة الجزيرة القطرية مع صاحب السمو الملكي الأمير طلال ابن عبدالعزيز، والذي يتناول فيه شهادته على عصر الملك عبدالعزيز وأبنائه.

ويتكون من تسع حلقات، بدأت بقصة هذه الشهادة وما دار وراء الكواليس طوال عام ونصف بين الصحفي أحمد منصور والأمير طلال، وفي الحلقة الأولى يدلي الأمير طلال بشهادته على مرحلة الطفولة والصبا حيث ولد في الطائف، وتحدث عن الأيام الأولى لقيام المملكة العربية السعودية، والحروب التي خاضها المؤسس الملك عبدالعزيز، والقوات التي اعتمد عليها من البداية، وهي قوات الإخوان، والعلاقات الأولى للملك عبدالعزيز مع البريطانيين والأتراك، ومجلس الحكم الذي كان يستشيره، واكتشاف النفط في المملكة، وأسباب اختيار الملك عبدالعزيز لشركات أمريكية بدلاً من البريطانية، وتحدث عن لقاء الملك عبدالعزيز مع روزفلت عام ١٩٤٦م، وما دار بينهما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

ويدلي الأمير في الحلقة الثانية بشهادته حول عدة جوانب، أهمها: وصفه ليوم من حياة الملك عبدالعزيز، وكيف كانت حياته داخل بيته؟ كما تحدث الأمير طلال عن توليه أول وزارة للمواصلات عام ١٩٥٢م وعمره تسعة عشر عامًا، وعن البنية التحتية للمملكة في الخمسينيات، وتطرق إلى الحديث عن ثورة يوليو في مصر عام ١٩٥٢م، وتأثيرها في نظام الحكم في السعودية.

ويدلي الأمير في الحلقة الثالثة بشهادته بشكل مختصر عن الفترة بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٤م، ولقائه المهم مع عبدالناصر عام ١٩٥٨م، وقصة لجوء الأمير إلى مصر، والحديث عن تنظيم «الأمراء الأحرار».

وفي الحلقة الرابعة تحدث الأمير بشيء من التفصيل حول علاقة السعودية والملك عبدالعزيز مع رجال الثورة في مصر، ثم العلاقات الأمريكية السعودية في عهد الملك سعود، وأثرها في العلاقة بين سعود وعبدالناصر، ويتطرق إلى موضوع مؤامرة القضاء على الوحدة بين مصر وسورية.

ويدلي الأمير في الحلقة الخامسة بشهادته حول تنازل الملك سعود عن صلاحياته بضغوط من إخوانه إلى ولي العهد الأمير فيصل عام ١٩٥٨م، وتولى الأمير السلطة كوزير للمالية، وقصة إلغاء القاعدة الأمريكية في المملكة.

ويتطرق الأمير في الحلقة السادسة إلى فترة مشاركته في السلطة كوزير للمالية في عهد الملك سعود، ثم خروجه إلى بيروت، ولجوئه إلى مصر، وتفاصيل عن تنظيم الأمراء الأحرار. وفي الحلقة السابعة يدلي الأمير بشهادته حول وساطة الصلح التي قام بها بعض الوسطاء من أجل عودته إلى السعودية، ثم تنازل الملك سعود عن السلطة لفيصل ويقيم تلك الفترة.

كما يدلي الأمير بشهادته في الحلقة الثامنة حول هزيمة يونيو عام ١٩٦٧م، وأثرها في المملكة العربية السعودية والواقع العربي بشكل عام، ثم يتحدث عن أيلول الأسود وأثرها في القضية الفلسطينية، ثم عن الرئيس السادات، وعلاقته بالملك فيصل.

وفي الحلقة التاسعة يدلي الأمير بشهادته حول مستقبل النفط، وآراء الخبراء والمختصين، ومستقبل العالم العربي بعد النفط، ثم يتحدث عن شهادته حول الحادث المفجع، وهو مقتل الملك فيصل عام ١٩٧٥م، وملابسته، ودوافع القاتل.

كما تحدث عن الطبيعة الشخصية للملك فيصل وأسلوبه في الحكم، وطبيعة العلاقة التي تربطه مع الملك فيصل، كما تحدث عن العلاقات الأمريكية في عهد الملك فيصل، ثم تحدث عن فترة حكم الملك خالد، وفترة حكم الملك فهد، وتطور المملكة بعد عام ١٩٨٢م، وإقرار النظام الأساسي للحكم، ومجلس الشورى.



دوريـــــات





مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية (مج١١، ع٢ - رجب - ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥ - يناير ٢٠٠٦م)

مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية، زخر هذا العدد من المجلة بموضوعات متنوعة، ففي مجال الدراسات، كتب ناصر بن محمد السويدان دراسة عن الموارد المالية للمكتبات العربية في البيئة الاقتصادية العالمية، وتناول منصور بن عبدالله الزامل واقع إفادة الجامعات العربية من خدمات المعلومات المقدمة عبر شبكة الإنترنت لبرامج التعليم عن بعد.

وبيّنت مسفرة بنت دخيل الله الخثعمي أثر استخدام الحاسب الآلي على الأداء في المكتبات العامة بالمكتبة العربية السعودية.

وكتب سالم بن حمد السالم عن تطويع التقنية في المكتبات السعودية، وتناول حشمت قاسم دور المكتبات الوطنية وتضافر الجهود العربية لمواجهة تحديات التراث الإلكتروني. وناقشت ناريمان إسماعيل متولي تطوير قياسات تقييم جودة الأداء والخدمة والمقتنيات بالمكتبات ومراكز المعلومات في بيئة القرن الحادي والعشرين. وقدم سمير قدوري بحثًا تاريخيًا عن رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت ٦٥٦هـ) في المغرب والمشرق ومؤلفاته العلمية، وترجم محمد إبراهيم حسن محمد بحثًا بعنوان «حقوق المؤلفين والنشر الإلكتروني في بيئة الإنترنت: فرص البقاء واحتمالات الاندثار».

وفي مجال الببليوجرافيا، قدم محمد بن يحيى الفيفي حصرًا ببليوجرافيًا عن محمد بن أحمد العقيلي.

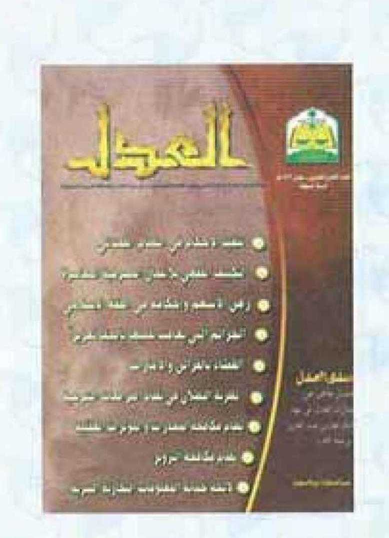
وقدم أحمد بن عبدالرحمن المقحم حصرًا ببليوجرافيًا عن الكتب المترجمة في المملكة خلال عامي (٢٠٠٢ و ٢٠٠٣م) والمدونة في مكتبة الملك فهد.

وفي باب المراجعات قدم الدكتور سهيل صابان مراجعة لرحلة عبدالرحمن الغياري حج في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري.

وراجع الدكتور أحمد بن علي تمراز دراسة بعنوان «البنى الأساسية الوطنية للمعلومات: الرؤية ورسم السياسات».

وقدم أمين سليمان سيدو أضواء على كتب حديثة، وقدم عبدالله محمد حسين العبد المحسن حصرًا للبحوث الجارية.

العنوان:
ص.ب ٧٥٧٢ . الرياض ١١٤٧٢
هاتف ٢٦٢٤٨٨٨
ناسوخ ٤٦٤٥٢٤١١
Email - lournolga kfnl. cow. sa



العدل (ع٢٨، س٧ . شوال ١٤٢٦هـ)

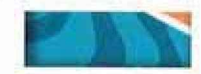
مجلة فصلية علمية محكمة تعنى بشؤون الفقه والقضاء تصدر عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية.

زخر هذا العدد بموضوعات متنوعة، بدأها الدكتور محمد بن عبدالله ولد محمد بن الشنقيطي ببحث عن تنفيذ الأحكام في النظام القضائي، وكتب الدكتور مسفر بن علي بن محمد القحطاني عن التكيف الفقهي للأعمال المصرفية المعاصرة، وتناول الدكتور خالد بن زيد الوذيناني عن رهن الإسلام وأحكامه في الفقه الإسلامي، وتطرق الدكتور حسن بن عبده بن محمد العسيري إلى الجرائم التي يعاقب عليها بالجلد تعزيرًا، وأوضح عبدالعزيز بن سعد الدغيثر القضاء بالقرائن والأمارات في الفقه الإسلامي، وناقش بكر بن عبداللطيف الهبوب نظرية البطلان في نظام المرافعات الشرعية.

وتضمن العدد أنظمة وزارة العدل مثل نظام مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية، ونظام مكافحة التزوير، ولائحة حماية المعلومات التجارية السرية.

كما احتوى العدد على باب إجراءات قضائية من إعداد: ناصر بن إبراهيم المحيميد، وقضايا وأحكام من إعداد وعرض الشيخ عبدالله بن محمد بن سعد آل خنين، وجاء باب أعلام القضاء عن الشيخ فرناس بن عبدالرحمن الفرناس من إعداد: قبلان بن صالح القبلان، وكان لقاء العدد مع فضيلة الشيخ هاشم بن سعيد بن علي النعمي، أعده: أحمد بن عبدالله بن خنين، وختم العدد بباب صدى العدل الذي جاء في إصدار خاص عن إنجازات العدل في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز . يرحمه الله ..

العنوان:
الرياض . وزارة العدل
الرياض ١١١٣٧
هاتف وناسوخ: ٤٠٢٢٢٦٥ (٠١)

تغيير عناوين الكتب عند المؤلفين المعاصرين

أحمد العلاونة
إربد ـــ الأردن

حين يطبع المؤلف كتابًا من كتبه، ويعاود طباعته، قد يعمد إلى تغيير عنوانه لسبب يراه، كأن يستملح التسمية الجديدة، ويراها أقرب إلى موضوع كتابه، أو يزيد فيه قليلاً. أو قد يجمع كتابين أو ثلاثة كتب في كتاب واحد، وقد يعمد الناشر أو ورثة المؤلف ـ بعد وفاته ـ إلى تغيير عنوان الكتاب. وعندما يذكر الباحثون كتابه قد يذكرونه مرتين أو ثلاث مرات بعناوين مختلفة، ظنًا منهم أنها كتب مختلفة، والحقيقة أنها كتاب واحد. وأحببت أن أنشر في هذا المقال ما اجتمع عندي من هذه الكتب مرتبة تحت أسماء مصنفيها، ومن الله أستمد العون.

ـ إبراهيم العريض (١٩٠٨ ـ ٢٠٠٢م) الشاعر البحريني المعروف. طبع كتبه: (الأساليب الشعرية)، و(الشعر وقضيته في الأدب العربي الحديث)، و(جولة في الشعر العربي المعاصر)، ثم أعاد طبعها بعنوان (نظرات جديدة في الفن الشعري).

ـ أحمد السباعي (١٩٠٥ ـ ١٩٨٤م) الأديب الصحفي السعودي. نشر كتابًا بعنوان: (أبو زامل)، ثم أعاد نشره بعنوان (أيامي).

ـ أحمد عبد الغفور عطار (١٩١٥ ـ ١٩٩١م) الأديب الشاعر، والباحث السعودي. طبع كتاب (الصحاح ومدارس المعجمات العربية)، ثم جعله (مقدمة الصحاح)، التي طبعت مع الصحاح في مجلد مستقل.

ـ أحمد محمد جمال (١٩٢٥ ـ ١٩٩٣م) المفكر والعالم السعودي. أصدر ديوانه (الطلائع)، وعندما أعاد طبعه غيّر عنوانه إلى (وداعًا أيها الشعر).

ـ جاذبية صدقي (١٩٢٠ ـ ٢٠٠١م) القاصّة المصرية، نشرت رواية لها باسم (أمنا الأرض)، ثم أعادت نشرها باسم (صابرين).

ـ جواد علي (١٩٠٧ ـ ١٩٨٧م) المؤرخ العراقي المشهور. أصدر كتابًا باسم (تاريخ العرب قبل الإسلام) في ثمانية مجلدات، وعندما أعاد إصداره عدل عن تسميته وسماه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) في عشرة مجلدات.

ـ خيــــر الدين الزركلي (١٨٩٣ ـ ١٩٧٦م) المؤرخ الأديب الشاعر، الصحفي الدبلوماسي، صاحب كتاب (الأعلام). ألف كتابًا عن الملك عبدالعزيز سماه في ترجمته التي ألحقها في آخر كتاب الأعلام (الطبعة الثانية ـ المستدرك ص٢٦١): (الملك عبدالعزيز في ذمة التاريخ)، ولكنه عندما طبعه اختار له تسمية أخرى (شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز) وكل من ترجم للزركلي ذكر له هذين الكتابين، منهم كاتب هذا المقال.

ـ راضي صدوق (١٩٣٨ ـ ......) الأديب الشاعر الصحفي.

أصدر كتاب (ديوان الشعر العربي في القرن العشرين)، ثم أصدره باسم (موسوعة الشعر العربي).

ـ سعيد الأفغاني (١٩٠٩ ـ ١٩٩٧م) العالم النحوي المعروف. نشر كتابه (من حاضر اللغة العربية في الشام)، ثم أعاد نشره باسم (من حاضر اللغة العربية).

ـ طاهر الطناحي (١٩٠٣ ـ ١٩٦٧م) الأديب الصحفي المصري. أصدر كتابًا عنوانه: (على فراش الموت) تحدث فيه عن نهايات الأدباء، وعندما أعاد طبعه غيّر عنوانه

إلى (الساعات الأخيرة).

ـ طه حسين (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م) الأديب المصري الشهير الذي أحدث ضجة بصدور كتابه (في الشعر الجاهلي)، فلجأ إلى تغيير عنوانه إلى (في الأدب الجاهلي) بتصرف.

ـ عبدالحليم عباس (١٩١٣ ـ ١٩٧٩م) الأديب الأردني، طبع كتاب (البرامكة في بلاط الرشيد)، ثم أعاد طبعه باسم (البرامكة في التاريخ).

ـ عبدالحي الحسني (١٨٦٩ ـ ١٩٢٣م) المؤرخ الهندي، ووالد الداعية أبي الحسن الندوي، طبع كتابه (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ولما أعيد طبعه ارتأى ولد المصنف (أبو الحسن) أن يسميه (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)؛لأنه أدل على موضوع الكتاب ومادته، ولعبد الحي كتاب (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف) طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق ـ بمشورة أبي الحسن ـ بعنوان (الثقافة الإسلامية في الهند)، وله أيضًا كتاب (جنة المشرق ومطلع النور المشرق) طبع بعد وفاته بعنوان (الهند في العهد الإسلامي).

ـ عبدالله البستاني (١٨٥٤ ـ ١٩٣٠م) اللغوي الأديب صاحب معجم (البستان)، اختصره باسم (فاكهة البستان)، ثم أعادت مكتبة لبنان طبعه مؤخرًا باسم (الوافي).

ـ عبدالله الطنطاوي (١٩٣٦ ـ) الأديب الداعية السوري، نشر رواية بعنوان (القسام)، ثم أعاد نشرها بعنوان (الوادي الأحمر).

ـ عمر عبدالجبار (١٩٠٠ ـ ١٩٧١م) المربي الباحث السعودي، طبع كتاب (دروس من ماضي التعليم وحاضره)، ثم أعيد طبعه بعنوان (سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة).

ـ عمر فروخ (١٩٠٤ ـ ١٩٨٧م) العالم باللغة والأدب والفلسفة، والمؤلف الموسوعي، أصدر كتاب (أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوربية) ثم أعاد إصداره بمسمى (الثقافة الإسلامية)

ـ فردينان توتل (١٨٨٧ ـ ١٩٧٧م) الراهب الباحث، أصدر معجم (المنجد في الأدب والعلوم)، الذي طبع مع معجم (المنجد)، ثم أعيد طبعه مع (المنجد) بعنوان (المنجد في الأعلام).

ـ محمد بن أحمد العقيلي (١٩١٦ ـ ٢٠٠٢م) المؤرخ السعودي، نشر كتابًا بعنوان (معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان)، وعندما أعاد طبعه غيّر عنوانه إلى (معجم اللهجات المحلية).

ـ محمد العدناني (١٩٠٣ ـ ١٩٨١م) اللغوي الشاعر، كان يعدّ كتابًا بعنوان (عثرات الأدباء) كما ذكر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجلة الأديب، ونشر نماذج منها فيهما أو في إحداهما، ولكنه طبع بعنوان (معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة).

ـ محمد المبارك (١٩١٢ ـ ١٩٨١م) المفكر الإسلامي الأديب.

نشر كتاب (الدولة عند ابن تيمية)، ثم عدل عنه في طبعة لاحقة إلى (آراء ابن تيمية في الدولة ومدى تدخلها في المجال الاقتصادي)، ونشر من كتبه أيضًا (فقه اللغة)، و(خصائص العربية)، ثم جمعهما في كتاب واحد (فقه اللغة وخصائص العربية).

ـ مصطفى طلاس (١٩٣٢ .....) وزير الدفاع السوري السابق، طبع كتابًا بعنوان (شاعر وقصيدة)، ولما أعاد طبعه غيّره إلى (ديوان العرب، شاعر وقصيدة).

ـ ناصر الدين الأسد (١٩٢٣ ـ ....) اللغوي الأديب المفكر الشاعر، أصدر كتاب (الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن)، ثم أعاد طبعهما بعنوان (الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى عام ١٩٥٠م) بعد أن نفى عنه التكرار الذي كان لا بد منه في الكتابين السابقين.

ـ هشام الحمصي، العالم الدمشقي الخطيب المفوّه الشاعر، طبع كتاب (قبس من الإعجاز) و(توجيهات قرآنية)، وأعدّ كتاب (تأملات قرآنية)، ثم جمعها في كتاب (نظرات في كتاب الله تعالى).

